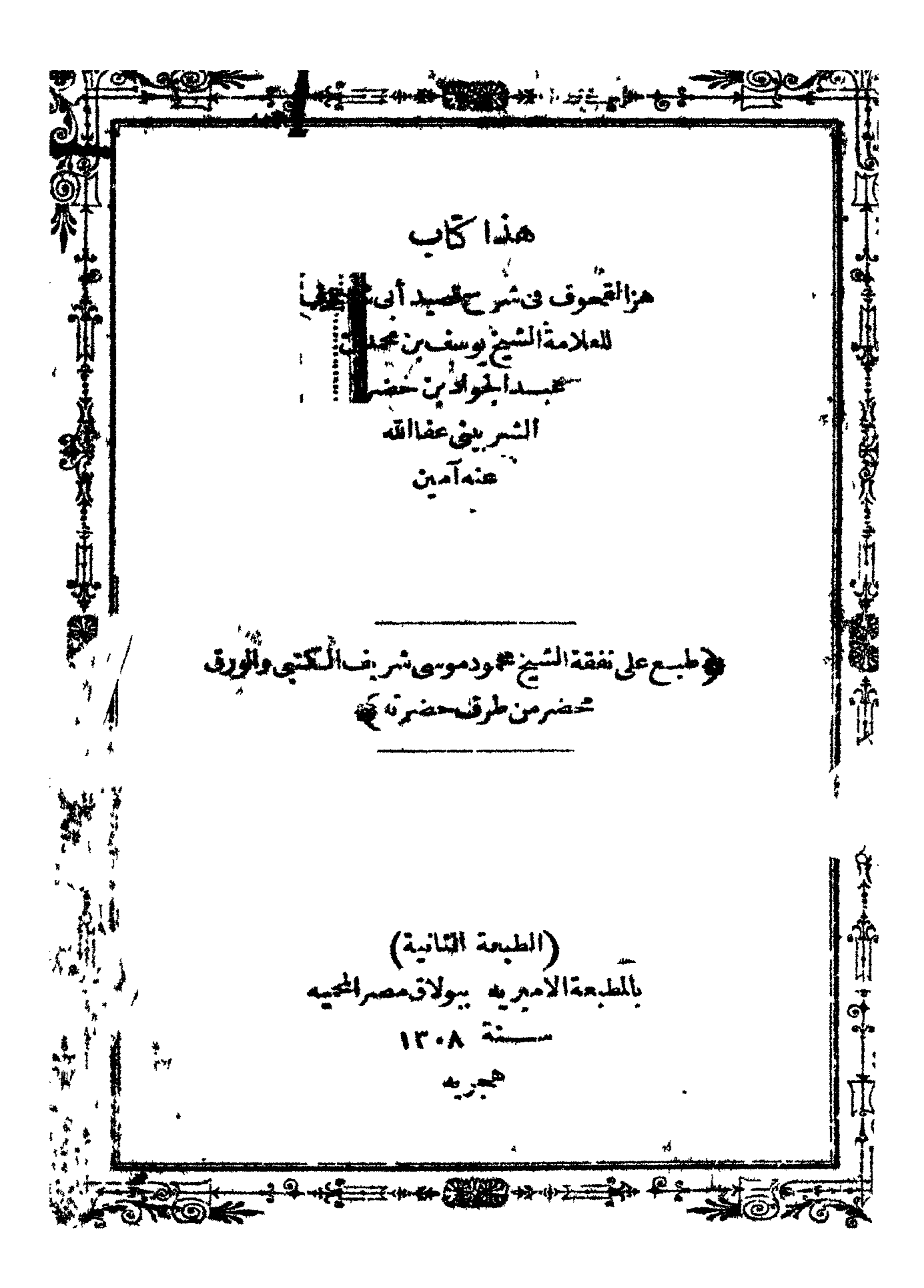


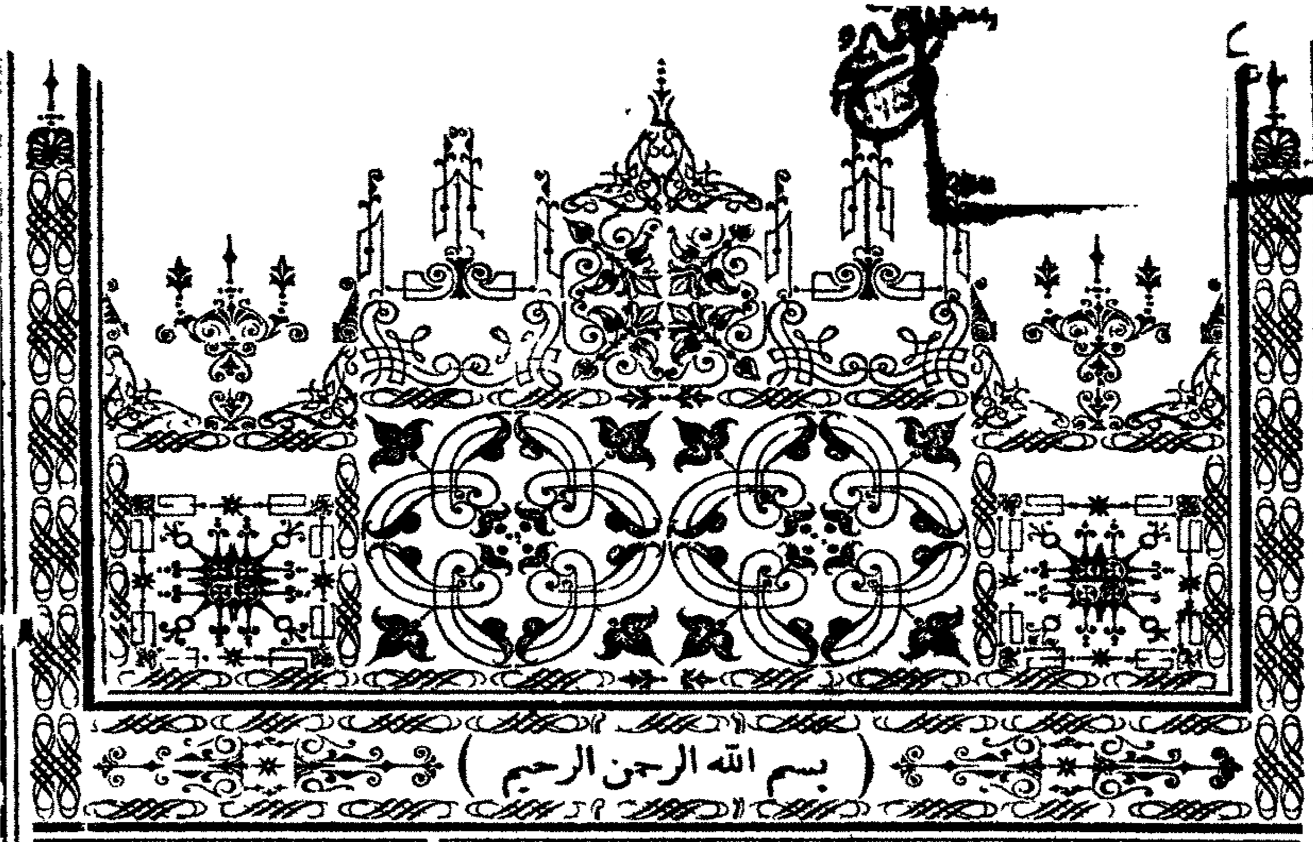
هذا كتاب

هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف

للعلامة الشيخ يوسف بن محمد بن
عبد الجواد بن خضر
الشربيني عفا الله
عنه آمين

(طبع على نفقة الشيخ محمود موسى شريف الكتبي والورق
حضر من طرف حضرته)

(الطبعة الثانية)
بالمطبعة الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٠٨
هجريه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرف نوع الانسان بنطق اللسان وخصه بعموم الفضل والامتنان وهيأه لادراك حقائق المعرفة والبيان وتوجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان وجعل الطبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممر الازمان وميز صاحب الذوق السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان وخص أضداده بسوء الخلق وكثافة الطبع كعوام الريف أراذل الجدران والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من أفضل جرثومة العرب من عدنان المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله لاقتطاف جواهر العلم أفنان صلاة وسلاما دائمين متلازمين فى كل وقت وأوان ﴿وبعد﴾ فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه ان ممامرّ علىّ من نظم شعر الارياف الموصوف بكثافة اللفظ بلاخلاف المشابه فى رصه لطين الجوالس وجرى ذكره فى بعض المجالس قصيد أبى شادوف الحاكى لبعر الحروف أوطين الجروف فوجدته قصيدا باله من قصيد كأنه عمل من حديد أوريس من نحوف الجريد فالتمس منى من لا تسعنى مخالفته ولا يمكننى الا طاعته أن أضع عليه شرحا كريش الفراخ أو غبار العفاش وزوابع السباخ يحل ألفاظه السخيمه ويبين معانيه الذميمه ويكشف القناع عن وجه لغاته النشرويه ومصادره الفشكليه ومعانيه الركيكه ومبانيه الدكيكه ومقاصده العبيطه وألفاظه الحويطه وأن أتمه بحكايات غريبه ومسائل هبالية عجيبه وأبتدأ تحفه بشرح لغات الارياف التى هى فى معنى ضراط النمل بلاخلاف وأشعارهم المقترفة

من

من بحر التخابيط واشتقاق بعض كلماتها التي هي في الصفات تشبه الشراميط ووقائع وقعت لبعضهم باتفاق في القاهرة ومصر وثغر بولاق وذكر فقهائهم الجهال وعلمائهم الذي يشبه ماء الخال وفقرائهم الاجلاف وأحوال الاوباش منهم والاطراف وذكر نسائهم عند الهراش وملاعبتهن في الفراش التي هي شبيه نط القرود أو بربرة الهنود وأن أورد بول كلام المتن في اذا ذقته أيها السامع يحكي طعم البول واذا اقتطفت من يانع ثمار لفظه أيها الناظر فكأنك قد قطفت زبل الغول واذا نظرت الى أشعاره فكأنها رص القلقيل واذا تأملت عفاشة كلامه فكأنك تناولت زبل الخيل وأن أصرح فيه ببعض نكيتات هزليه وحكم هباليه على سبيل المجون والخلاعه والدبدبة والصقاعه حتى يشتهر شرح هذا القصيد من دمياط الى الصعيد وأرجو أن لا يخلو منه اقليم بل ولا بلد من بلاد العبيد وقل أن يخلو سامعه من نواتر الالفاظ التي كالولاش وربما اعترى قارئه ضرب من الطراش فهو ان مر على المسامع يمر كالريح وان مجه الطبع كالمريض للصحيح كما قال الشاعر الفصيح الملتقط شعره من الدر الوضيح

اذا حققت أن اللفظ صوت * وأن الصوت معنى يا فصيح
فحقق أن تأليفي كلام * تلذ به المسامع وهو ريح

(وفي المثل) في البحر سمك يفسي نار قالوا كان الماء يطفيه قال هذا كلام اسمعه والاخليه ولا بأس بوصف هذا الشرح بأبيات. كأنها بول البنات فأقول

كتاب قد حوى فن الولاش * كتاب قد أتى مثل الفراش
كتاب فيه أوراق وحبر * وقول صادق مع قول لاش
وفيه يا أخي من كل معنى * اذا ما ذقته طعم العفاش
وألفاظ به تحكي لبول * عليها رونق مثل العماش
وفيه مسائل حازت هبالا * عليها سابل مثل القماش
وفيه النظم شبه الطوب رصا * وفيه مسائل جاءت بلاش
اذا طالعته حقا وصدقا * فلا تأمن سريعا من طراش

وكل هذا لمناسبة ألفاظ القصيد وحل معانيه التي تحكي خوف الجريد فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن كما هو عادة القاطن في هذا الفن والطاعن فياله من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك ولو نقش على عامود الصواري لتحرك ولو مس به حجر لتشطر ولو ألقي في اليم لتكدر فهو جدير بأن يرقم ببول الخوش على جدران الكنائس وحقيق بأن يسطر على بيوت الاخلية ببول العرائس وأن يلقى على رؤس المزابل وأحق بأن يرقم على جدران المكاسل فهو شرح عديم النظير في الكثافه لكونه في معنى أوصاف الريافه وليس له شبيه في الثقاله لكونه في

والطين وعدم اكتراثهم بالصلاة والدين اذ الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنبوت والنقز والبنتوت والساقية والقرقله وشيل الطين والجله والعياط والغاره والطبله والزماره والحدوة خلف قفاه ومزراقه وهزرداه وحزامه الليف والتبن والشنيف وخلقته المشرمطه وشورته المخلبطه وطربوشه الدنس وزرته الغلس وطرده للغارات والدواهي والبليات ومشيه حافي في الحر والحلافي وعياطه في الظلام يا لسعد أو يا لحرام فتجتمع عليه اللوم ويقع منهم على البلاد الهجوم وهم سعد أو حرام ويخرج اليهم الآخرون بالتمام فيقع بينهم الحرب والعناد وتخرب بسببهم البلاد وتقطع الطريق على العدو والصديق ويترتب على ذلك المفاسد وتمتنع عن بلادهم الفوائد وكل هذا من قلة عقلهم وكثرة جهلهم وسوء أخلاقهم وعدم اتفاقهم اذ كلهم في الظاهر مسلمون والقتل عندهم مثل الديون وأيضا عندهم قلة الوفا وعدم الانس والصفا لا يؤدون القرض ولا يعرفون السنة من الفرض ان عاملتهم أكلوك وان نصحتهم أبغضوك وان أقمت لهم الشرع رفضوك وان ألنت لهم الجانب مقتوك العالم عندهم حقير والظالم عندهم كبير أمورهم معاند وليس عندهم فوائد عندهم قابض المال أعز من العم والخال سود الوجوه اذا رأوا معروفا أنكروه كما قال الشاعر في المعنى

أهل الفلاحة لا تكرمهم أبدا * فان اكرامهم في عقبه ندم
يبدوا الصياح بلا ضرب ولا ألم * سود الوجوه اذا لم يظلموا ظلموا

اذا أقاموا أفراح لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح وشدة الاضطراب والكرب وربما وقع فيها البطح والضرب وشاهدنا كثيرا من أفراحهم وما يقع فيها من عدم نجاحهم وستأتي كيفية أفراحهم وأعراسهم وعدم ذوقهم مع جلاسهم وأما اكرامهم للضيوف فهو هز الاردية والتعوف والجلوس على المساطب ونفش اللحى والشوارب وان حصل منهم الكرم بالاضطرار يكون العدس والبيسار والكشك الحامض بالفول أو نوع من المدمس والبقول ولو مكث الشخص منهم مدة في مصر ودمياط لم يكتسب من اللطافة قيراط وبعض أكابرهم المشار اليه والمعول في الامور عليه اذا طلع مصر لمقابلة الامير أو قضاء حاجة من الوزير ترى عليه لبس محبوب ومع ذلك يمشي حافي بلا مركوب وأمورهم ليس لها انضباط وأحوالهم شياط وعياط وورد هم عند الاسحار التفكر في الغنم والابقار وتسبيحهم في الظلام هات النبوت والحزام وحط العلف وهات الكلف قال الشاعر في المعنى

لا تسكن الارياف ان رمت العلا * ان المذلة في القرى ميراث
تسبيحهم هات العلف حط الكلف * علق لثورك جاءك الحراث

لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا عوراتهم عند الاستنجاء على الفساقي مكشوفه وثيابهم بالنجاسة

محفوفه يجتمعون لحساب المال فى المساجد وليس فيهم راكع ولا ساجد أولادهم دائما عريانين وتراهم فى صورة المجانين الرحمة فيهم قليله والرأفة متروكة ذليله كأنه يكتب لطرد النمل بلا مرا ارحل أيها النمل كما رحلت الرحمة من قلوب شيوخ القرى ومن وصايا الامام مالك للامام الشافعى رضى الله تعالى عنهما لا تسكن القرى فيضيع علمك وجاهك وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك بسكنى المدن فان المقت اذا نزل فى بلاد الريف طوفانا يكون فى المدن كخيال الرجل قلت واذا صحفت لفظة ريف مع قلب حروفها كانت قبر فالساكن فى الريف معدوم اللذات لانه دائما فى انقباض وطر وجرى وكروفر وحبس وضرب ولعن وسب وهوان وشحار وشيل تراب وحفر آبار وخروج للعونة على جهة السخره وتعب شديد بلا أجره واذا كان ذو فضل ضاع فضله أو ذو عقل ذهب عقله أو ذو مال أغروا عليه الحكام أو ذو تجارة نهبوه فى الظلام فالحق عندهم مضاع والباطل عندهم مذاع وحكم الله ليس له اندفاع ﴿ ولنذكر طرفا يسيرا من أسمائهم وما يكنون به فنقول (أما أسماؤهم) فانها كأسماء العفاريت أو رقع الشلاتيت فيسموا جنيجل وجليجل وعفر ودعموم وزعيط ومعيط وقسيط وشلاطه ولهاطه وشقليط ومقليط وصفار وبهوار وجمار وعمران وشعوان وسمنوت وبرغوت والعفش والنبش وكسبر وقنندر وجنين وبنين ومحمد بكسر الميم والحاء المهملة ومحمدين بكسرهما أيضا وغير ذلك من الاسماء وان كانت لا تعلل فان أسماءهم هذه تشبه التلقيب وقد يسموا بالفال كما اتفق أن رجلا ولدله غلام فسمع رجلا آخر يقول يا أعمش العين فقال نسميه عموش فسمى بذلك واتفق أن رجلا ولدت زوجته انثى فسمع رجلا يقول لآخر هات الزبل فقال لامها نسميها زبيله فسميت بذلك وزبيلة تصغير زبلة وزبلة فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من الزبالة والزبلة على وزن عجلة أو نخلة أو غلة أو قلة وقال بعضهم فى هذا المعنى

وورن زبلة لديهم عجله ✽ وغلة ورسلة ونخله

وقد ذكرت بالتسمية بهذا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم ان زوجته ولدت غلاما فسمع رجلا يقول لآخر دم الحس فقال نسميه بذلك ثم ولدله ولد ثان فسمع رجلا يقول لآخر شار بك فى الخرا فسماه بذلك ثم ان دم الحس فقال كبروا ونشئ وكذلك شار بك فى الخرا بلغ من العمر عشر سنين فأرسلهما والدهما الى الكتاب فقرأ دم الحس فقال القرآن وبرع فيه وكذلك شار بك فى الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق فى يوم من الايام أن دم الحس فقال قال لاخيه شار بك فى الخرا اقصد يا أخى الذهاب لبحر النيل نسبح فيه فقال شار بك فى الخرا مليح السمع والطاعة فتوجه دم الحس فقال هو وأخوه شار بك فى الخرا الى أن أشرفا على بحر النيل ونزلا فيه وكان دم الحس فقال ماهر فى العوم وأخوه شار بك فى الخرا عومه قليل فسبق دم الحس فقال أخاه شار بك فى الخرا

فتضايق شاربك في الخراوا شتد به الامر وأشرف على الغرق فالتفت اليه دم الحس فقال فرأى شاربك في الخرا في شدة عظيمة فأقبل عليه ووضع يده تحت ابطه وأسنده على ظهره ولم يزل يتلطف به حتى أوصله الى البر فلولا أن دم الحس قفال سبق والا كان شاربك في الخرا غرق (ومر) رجل فرأى ولدا يضرب أباه ويسخر به ويسبه فقال له يا غلام ان لابيك عليك حقا أن لا تنهره ولا تؤذيه وأن تحسن الادب معه ولو كان كافرا فقال له يا سيدى وأنا الآخر لى عليه حق فقال له وما حقك عليه فقال له أن يحسن اسمى و يعلمنى القرآن وأن يرشدنى الى أحسن الصنائع وهذا سمانى دبوس وعلمنى لسان المجوس وصيرنى بين الناس خلبوس أفلا أنهزبه وأسخر به وأسبه فقال له بل صكه بالنعال فانه مستحق لاقبح النعال (ومر رجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال له ما اسمك فقال تنور قال وأسمك قال شرارة قال وأبوك قال لهب قال وفى أى وادأنت قال فى وادى النار فقال له رضى الله تعالى عنه اذهب الى واديك فان أهلك قد احترقوا فلما مضى الرجل رأى الامر كما ذكره رضى الله تعالى عنه (والاسماء) تدل على لطافة المسمى أو على كثافته وفى كلام أهل العلم والتأديب كل أحد له من اسمه نصيب (وأما كناهم) فأبو شعره وأبو معره وأبو عنره وأبو دعوم وأبو شادوف وأبو جاروف وأبو مشكاح وأبو رماح وأبو بلاح وأبو بقر وأبو سطر وأبو هودج وأبو خرق النورج وأبو ضلام وأبو شقوير وأبو قشقوش وأبو قسيم وأبو جريده وأبو طعيمه وأبو بليله وأبو زغلول وأبو سيسى وأبو جاهل وأبو قصاله وأبو زباله وأبو بعبوص وأبو غوص وأبو لبده وأبو غده وأبو زعيط وأبو معيط وأبو بريطع وأبو زعيزع وأبو تعيتع وأبو شعبشع وأبو صابر وأبو خنافر وأبو هبول وأبو هوير وأبو طرطر وأبو عوكل وأبو حوقل وأبو عسقول وأبو ذبابه وأبو زغابه وأبو طريف وأبو فدح وأبو عريش وأبو كريش وأبو قتيشه وأبو دشيشه وأبو قزق وأبو قلوط وأبو جلاط وأبو جيص وأبو كانون وأبو مقلد وأبو جعباظ (ويلقبون) عمران القلبط وعمير القرط وقبرى وقنديسه وشعير وبعير وعنطوز الباب وشلاطة محلاب ومحمد القلاب وكسير التقلية وبربور الهبلة ولهاط الزبلة ومشالى الجلة ونحو ذلك كثير لا غاية له (ويجيبون السائل) بلفظه هاه وهيه وايش مالك واى مالك وايهاه مما هو مشهور بينهم (وأما أسماء نسائهم) فمن معنى أسمائهم فيسمون زعره وبعره وهيطله وميكله واخطيطه وحويطه ومعيكه ودعيكه ودكيكه وشباره وشراره وزراره وعلاره وعباره وشلبايه وعطايه وعليوه وحليوه وهديه وبليه ولبده وغده وشمه ولمه وبله وسروه وبروه وفيوه وخريوه (ويكنون) بأم جعيص وأم معيص وأم رميح وأم عزام وأم زقام وأم شقيره وأم صقيره وأم شواهى وأم دواهى (ويلقبون) بجلايه وكرسايه وغاسوله وفاره وفرفاره وغاره وغايره (فهذه) أسماء وألقاب وجودها كالعدم واغماهى ألفاظ ينعقونها

مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى وبعضهم اذانادى زوجته يقول لها ياداهيه ياداهيه تقول له
تجيلك من الحيط (كما اتفق) أن رجلا منهم دخل منزله فرأى زوجته عند الجيران فناداها ياداهيه
ياداهيه فقالت له تجيلك من الحيط فقال لها تعالى أتعشى فقالت له ابنك يخرى كل أنت وقال
شخص منهم لزوجته ياقطيعه قالت له تجيلك ياأبو عنطوز (وأما أولادهم) فانهم مثل أولاد الهنود
أو أولاد القرود دائما فى شلاتيت وشراميط ترى الواحد منهم دائما مكشوف الراس غارق فى الجله
والساس ونومه فى المدود وشربه من المترد وأكله من الجله ولعبه حول العجله يشخ ويخرى فى ثيابه
دائما فى سخامه وهبابه عمره فى الدناسه وأمه فى نجاسه واذا درج فى الحاره لايعرف غير الطبله
والزماره والطردورا الثور والفحل وسخامه فى الجله والوحل لايلبس على طهارة قميص وعيشه
دائما فى تنغيص خالى من التنظيف وكلهم خوف من خوف الريف (وأما نساؤهم) عند الجماع
فانهن فى حكم الضباع يدخلن الافران ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهم الدخان وتظهر لهم
روائح الدمس حتى يصيروا فى قلس ثم يضجعوا على شئ من القش وماتيسر من القصل والعفش
بعد أكلهم المدمس والبيسار حتى يصير الشخص منهم كأنه حمار ثم يضم زوجته اليه وهى
تتشقلب عليه فيظهر من بين الاثنين روائح الجله والطين وتعطيه رجليها وينظر الى عمشة عينيها
ويطرحها على جنبها فتستغيث بربها وتقول أحيه جتك داهيه أحيه جتك مصيبه أحيه جتك
غاره فغنجها بليه وجماعها رزيه وربما جامع الشخص منهم زوجته فى مدود الحاره أو فى الغيط
جنب العباره وقد تمكث المرأة منهن الجمعه لاتغسل من الجنابة لمعه وكذلك الرجل بتحقيق
فى أعظم الدناسة وعدم التوفيق (وأما اعراسهم) فانها مثل قيام الغارات أو نعفير الكلاب فى
الحارات يدوروا بالعريس دوره وهم فى غارة أو غوره وعائط وصراخات ودواهى وبليات وزعيق
وعفره وصياح وغبره والكلاب تنبح والشعراء تدح والطبل يضرب والمشاه حوله تلعب
والجدعان تخبط بالنبابيت والاولاد تنط بالشلاتيت وربما كانوا فى هزل صاروا فى الجد وربما
هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين ويحصل من ذلك الفرح الهم والشين
وتخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد ثم بعد هذه الدوره يفرشوا للعريس جنب الجوره
ويجلسوا على نخ أو حصير أو برش من أبراش البير ويأتوا له بالعروس كأنها فحل جاموس منقشة
بالحبر والهباب وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزغاريط تصيح والجدعان تمشى بالمصابيح
ويرشوا عليها الملح خوف النظره وقد خلطوا وجهها بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الجلا
وصارت بهذه الفعله مثله بين الملا وهذا من أقبح أفعالهم وأتعس أحوالهم اذلا يجوز هذا فى
الشرع ولا يقول به أصل ولا فرع ثم انهم يجلسوها على شئ عال ويأتى اليها الطبال وينشدوها
لاشعار مما هو مناسب لها بالاعتبار شعر

ياعروسه ياأم غالى * انجلى ولا تبالى انجلى ياوجه بومه * زاعقه وسط الليالى
وجهكى بالنقش يشبه * وجه ضبعه فى الرمال الا مسخة شعر ربط * فوق رأسك لا محال
تشبهى به آم جسير * دائره وسط التلال ياعريس قم خد عروستك * واطلع بها فوق العلالى
وافرشوا القبه وناموا * فوقها جنح الليالى واشخرى له واغنى له * بالد واهى والهبال
تصلحى له ياعروسه * تم أمرك بالكمال

(ثم انهم) يجتمعوا حول العروس وينادى بينهم رجل فلقوس بيده شعله من شرموط هاتوا النقوط صاحب العرس بقى فى أمان هاتوا يا ناس يا جدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذى يرخى نصف أو نصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كأنها وجود التيوس وينادوا قمح والاشعير والاسم مشقور غزير فان كانت مليحه قالوا قمح زريع أو سمسم مقشور وان كانت قبيحه قالوا شعير نبت فوق الجسور ثم انهم يدخلوهما الى الفرن أو البيت ويسرجوا لهم بشئ من عكار الزيت ويفرشوا لهم شئ من التبن أو القصل ويضعوا لهم وسائد محشوة من قشر البصل ويغلقوا عليهم الباب ويدقوا لهم بالحجارة على الاعتاب فان أخذ وجهها نوه والاجرسوه وهتكوه وقالوا الله شرقت البلاد وهتكتنا بين العباد فعرسهم هتيكه وفرحهم مصيبه وولمتهم الكشك والفول ونوع من البقول والارز بالعسل يشبه الطين والارز باللبن يشبه طعام المجانين وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب الدهكش حيث قال فى القصيد شعر

ويوم عملنا العرس ياما رقصنا * وياما حرقنا قش جوا المساطح
نمشيها بالسنط من فوق قتنا * وكان انهدم ياما قشعنا فضايح
وأخرجتها الضوء برا الزريبه * بقاشى يقول مشعور وشى يقول قامح
وصحت تهنينا أكابر بلدنا * علينا تقال العيش سبول سايح
هدا ديه نخبط على ثقل ركبتى * وانا بلا لبده قليل الملايح
وجاس يجنبى ابن جرو ابن كل خرا * وابن الغنسر وانا أروح روايح

أى جلس بجانبه مشايخ الكفر وهم هؤلاء المذكورون فلا يحتاج الى اعادتهم لان الاعادة فى ذكرهم ليس فيها افادة فقد أفردت عنهم مؤلف فراجعه ثم انهم عند الصباحيه يجتمعوا المشاة فى الظهريه ويجعلوا بينهم وبين العريس حكومه لا قدر لها ولا قيمه ويجتمعوا مع بعضهم البعض ويرحوا فى طولها والعرض ويقولوا حكمنا عليك يا فلان قوم هات العيش والمش ورطل دخان ويأكلوا ويلطوا ويشبلوا ويحطوا ويأتوا بحجارة الدخان مثل أرباع الكيل ويصيروا فى عياط وشياط الى الليل ويسموا هذا اليوم يوم الهروبه وأمورهم كلها مقلوبه وبعد ثلاثة أيام يخرجوا العروسه بالتمام ويكشفوا وجهها ثانى مرة ويجعلوها للناس شهره

ويأخذوا

ويأخذوا أيضا النقوط من الناس وأحوالهم في انعكاس (ذكروقائعهم) حكي ان بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا التنزه فمر على رجل فلاح يحرث وعلى رأسه لبده مشرمطه ولابس خلقه مقطعه ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتى غرقها ولم يبال من النجاسة وقد اسودّ قفاه من الحر وتشققت قدماه من الحفا وشدّة البرد وهو في حالة مكربه فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل فقال له يا ملك هذا اس فلاحين الريف ينشأ الشخص منهم على التعب والنصب والهم والغم والطرد والجري وقلة الدين والجهل ولا يجد من يرشده للعبادة والصلاة فيصير في هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج لا يعرفون غير الثور والحرات فحكمهم حكم البهائم قال الشاعر

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حدّ سوا

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا أخذناه وعلمناه القرآن وشغلناه بالعلم وألبسناه ملابس النعم يتغير طبعه ويرق قلبه وتخف ذاته وينتقل من طور الكثافة الى طور اللطافة فقال الوزير أيها الملك أما سمعت قول الشاعر لايخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدرّ في ضرعه

من كان من جميزة أصله * لاينبت التفاح من فرعه

وقال آخر الطبع والروح في جسم لقد خلقا * لاينفد الطبع حتى تنفد الروح

وقال بعضهم يحوّل عن وكره ولا يحوّل عن طبعه وحكي أن رجلا اعرابيا مر بقارعة الطريق فرأى جرو ذئب صغيرا فرحمه وأخذه الى منزله وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى أن كبر فعدا يوما على الشاة فبقر بطنها وولغ في لحمها ودمها فلما رجع الاعرابي ورأى ما فعل أنشد [illegible]

غذيت بدرّها ونشأت فينا * فمن أنباك أن أباك ذيب

اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

ومن ذلك ما حكي أن جماعة قصدوا اصيد ضبعة فالتجأت الى أعرابي ودخلت منزله فخرج الاعرابي اليهم وبيده السيف مصلتا وقال لهم لاتتعرضوا الضيفي فانه قد استجار بي فقالوا يا هذا لاتحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون أبدا ولا أسلمه لكم أبدا وجعل يغذيها اللبن فتجرد الاعرابي يوما ليغتسل فلما أبصرته عريانا عدت عليه فشقت بطنه وولغت في لحمه ودمه فقيل لابن الاعرابي فانشد

ومن يفعل المعروف مع غير أهله * يجازى كما جوزي مجير أم عامر

أعدّ لها لما استجارت بقربه * من الدرّ ألبان اللقاح الدواسر

وأشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

ومن كلام الامام علي رضي الله عنه قال لاتعلموا أولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالي الامور فاذا نالوها اجتهدوا باذلة الاشراف وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن كتم المستوجبين فقد ظلم

وهذا الرجل لو علمته الحكمة وقيدت له من يعلمه لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصا طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم أجلاف غوف كأنهم خلقوا من صخر كما قيل

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه هل في الانام رأيتم * غفارقيق الحاشيه

فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الارذال خصوصا دنيء الاصل اذا ادعى العلم والفضل (كما اتفق) أن امرأة ذات حسن وجمال وقد واعتدال كانت متزوجة بابن عم لها وهي متضررة منه وراغبة في فراقه فأرسلت للعلماء في تدبير حيلة للفراق فلم تمكن من ذلك حتى وصلت الى وضيع دنيء الاصل تعلم العلم فدبرها أن تدعي أنها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتختفي الى أن تنقضي عدتها فتصل الى الحاكم الشرعي وتعترف بصدور ذلك منها وأنها تابت ورجعت الى دين الاسلام وأخذ على ذلك منها شيأ ففعلت ما أمرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا أن لا يصدر هذا التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه وفي هذا المعنى قول الامام الشافعي رضي الله عنه فمن منح الجهال الى آخره (وكذلك) يا ملك الحكاية المشهورة وهي أن رجلا دنيء الاصل سافر الى مدينة فاشتد به الجوع فرأى رجلا يبيع الزلابية فوقف قبالة دكانه حائرا فرق له قلب الزلابي ورحمه وقال له ادخل لاغديك صدقة عني فدخل فقدم له ما يكفيه من الزلابية والعسل فأكل حتى شبع واذا محتسب المدينة مار ينادي على أهل السوق ويزن عليهم ويحذرهم نقص الموازين وكذلك صناع الزلابية أن ينضجوها ولا يبيعوها طرية فقام هذا الرجل الكثيف الرذل وأخذ بعضا من الزلابية وعجنه بيده وقال للمحتسب نصرك الله على هذا الرجل يباع الزلابية انظر ما يفعله الناس من الغش قال فأخذ المحتسب صانع الزلابية وضربه ضربا مؤلما فالتفت الى هذا الرجل ردىء الحال والفعال وقال ماذنبي معك وأنا اشفقت عليك وأطعمتك حتى شبعت صدقة عني فسكت فقال له ما اسمك قال فلان قال له وأبوك قال فلان قال وأمك قال مرجانة جارية سوداء فقال صانع الزلابية لا ألومك أبدا جاءك الطبع الخبيث من جهة امك ثم انه أخرجه من دكانه ومضى الى سبيله وفي هذه الحكاية يا ملك مواعظ واعتبارات كثيرة فقال الملك لا بد من أخذه وتعليمه ولا أركن الى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدا لك فأخذ الفلاح وأنعم عليه وألبسه الملابس الحسنة الفاخرة وقيد له من يعلمه القرآن والعلم فحفظ القرآن وبرع في علم الرمل والحرف حتى صار يخرج الضمير ويبين الضائع قال فتذكر الملك ما قال الوزير في حق الفلاح ونصحه الملك في عدم أخذه وتعليمه فأرسل اليه فلما حضر قال له يا وزير خابت فراستك في الفلاح فانه الآن بقي على غاية من العلوم وصار له براعة في علم الرمل والحرف ويخرج الضمير ويبين الضائع فقال الوزير يا ملك اختبره وانظر طبعه وخلقه فأرسل اليه فحضر فقال له الملك بلغني أنه صار لك قوة في اخراج الضمير وبيان

الضائع

الصانع فقال له نعم ان شاء الله فقال له مرادى أن أضمر على شئ وتبينه لى فقال افعل قال فنوى الملك وقلع خاتمه وأطبق عليه يده وأتى اليه وقال له انظر مافى يدى قال فأقام الاشكال وقال فى يدك شئ مدور قال نعم قال وهو خالى الوسط قال صدقت ولكن ماهو فسكت ساعة زمانية ثم قال أظن والله أعلم أنه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال غلب عليه طبعه الاول يا ملك فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى حالته الاولى (وقيل) التزم بعض الامراء بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر أحوالها كما هو عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل فى دار الحكم وتسمى عندهم دار الشد أقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون وأمامهم شيخ كبير قد طعن فى السن وبيده عصا يتوكأ عليها قال فلما رآه الملتزم وهو أمام القوم قام اليه وأكرمه وأجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال فى نفسه لعله من أهل الصلاح لان مافى هذه القرية أكبر منه ثم ان الامير صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان والغرامة وأن يجتهدوا ويفيقوا الى أنفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند ذلك قام هذا الشيخ الكبير ووقف بين يدى الامير وقال له انى أريد ان أنصحك أيها الامير وأرشدك الى شئ تفعله فان أنت فعلته فاقوا الانفسهم وسدوا المال فقال له الامير تكلم ياشيخ فان مافيهم من هو أكبر منك سنا وأعلى قدرا فقال ان كان مرادك النصيحة اهدم دا الجامع اللى فى وسط البلد فانهم كل يوم يجتمعوا فيه للصلاة اللى يقولوا عليها الناس ويتركوا مصالحهم فاذا انهدم فاقوا للزرع والقلع وسدوا المال ولو أنى طاوعتهم ياأمير وصرت كل يوم أدخل دا الجامع كان انكسر علىّ مال السلطان وما نفعنى طول عمرى ماأعرف دى الصلاة اللى يقول عليها الناس ولا دخلت الجامع أبدا قال فتعجب الامير من طول عمره وقلة دينه وشدة جهله وقال له أنت رجل طال عمرك وساء عملك ثم انه علق فى رقبته الاوطية وأركبه حمارا معكوسا ونادى عليه حوالى البلد بعد أن ضربه ضربا موجعا وأخرجه من القرية على أسوا حال (ومما يحكى) أن أبا نواس جلس يوما هو والخليفة هرون الرشيد فى محل المداعبة والملاطفة فأحضر بين يدى أبى نواس صحن من الخشتنانك المحشوّ بالسكر وصار يأكل هو والخليفة فقال الخليفة ياأبا نواس هل يمكن أن أحدا من الناس لايعرف هذا قال نعم ياملك عوام الريف الفلاحون وأضرابهم فانهم أناس نشؤا فى أكل الدخن والذرة فضلا عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا غيره من المأكولات الا العدس والبيسار فقال له الخليفة لابد أن تحضر لى رجلا منهم فى هذه الساعة والا قتلتك قال فقام أبو نواس من عند الخليفة متحيرا يمشى فى شوارع بغداد فرأى رجلا يحاكى سارية الجبل من طوله وعليه جبة من صوف الى ركبته وقد اتسخت وتمزقت من سائر الجوانب واذا أراد أن يحزم عليها بات ايره وانكشفت عورته واذا بال بال عليها من غير مانع لكونه لايعرف الطهارة من النجاسة وعلى رأسه لبدة من الصوف طويلة مثل القفف دائر من غير سقف وقد ربط وطاه وجعله خلف قفاه وبيده رغيف ذرة يأكل فيه وهو ينظر الى الحوانيت

مثل المرتاب وهو فى حيرة لا يدرى أين يذهب ويأكل وهو ينظر الى الناس مثل المجانين قال فلما رآه أبو نواس فى هذه الحالة عرف أنه خفق من خوف الريف فسلم عليه فلم يرد عليه السلام وتحير فى نفسه ولم يعرف كلام ولا سلام بل ظن أنه يريد أن يأخذ الرغيف منه فحطه فى عبه وقال له يا جندى أنا ما معى شئ تأكله غير هذا الرغيف وأنا ان أعطيته لك قتلنى الجوع وأنا عمرى ما طلعت هذا الكفر وأنا بانظر فيه جنادى كثير مثلك ودورمثل دورنا وخايف من الجنادى لا يقطعوا راسى فقال أبو نواس فى نفسه الحمد لله الذى أوقعنى فى هذا فهو المطلوب الذى لم يعرف الكفر من المدينة ثم انه لاطفه بالكلام وقال له لا تخف ولا تنزع فالى حاجة برغيفك ولا أنا جيعان وأنا مرادى أغديك غدوة عظيمة فقال له حياك الله يا جندى وأنا الآخر لما تغدينى وتبيض وجهى أزورك بأربع بيضات وان فقست وزتنا أجيب لك وزه خضرا وأجعلك صاحبى ولا تخلى أحد يقطع راسى لانى خايف أروح الكفر بلا راس قال فضحك عليه أبو نواس وقال له امض معى فى هذه الساعة أغديك وأضافك قال فسار معه وهو لا يدرى أين يذهب حتى أقبل على دوان أمير المؤمنين هرون الرشيد قال فلما رأى الديوان وكثرة العسكر بهت وحار فى أمره واندهش وقال الله وكبر القيامة قامت وذا المحشر لا كلام ثم انه أراد الهروب فقبض عليه أبو نواس وقال له لا تخف ولا تخش من شئ وضمانك على فقال له يا جندى أخاف العرض على ربى من الحساب ليحاسبنى على ضرب البهايم وبيك الحمير فى الغيط لانى ما خليت حماره فى الغيط بلا نيك من خوف لا أهجم على نسوان الكفر عسكنى المشد يقطع راسى وباسمع الناس وهم يقولوا كل من نكح دابة يجى يوم القيامة وهو حاملها وأنا نكحت دواب كثير حتى الكلاب والقطط لا أقدر أحملهم فى هذا اليوم وأنت تشفع لى عند ربى يسامحنى فى هذا اليوم مما فعلت فقال له أبو نواس لا تظن أن هذا يوم القيامة وانما هو ديوان الخليفة هرون الرشيد السلطان فقال له يا جندى أنا ما رأيت مثل هذا المحل أبدا ولكن ما يكون الخليفة قال له هو السلطان الذى يقبض المال من بلاد الارياف والكفور فصرخ الفلاح وقال له يا جندى السلطان يقطع روس الفلاحين ولا يخلى فلاح من غير قطع راس وأراد الهروب فلما سمع الخليفة كلامه سأل عن القضية فأخبروه بها فضحك وأرسل يطلبه قال فأخذه أبو نواس وأقبل به على الخليفة وهو فى دهشة وحيرة مما رآه من كثرة الجند والعسكر حتى وقف بين يدى الخليفة فقال أنا فى جيرتك يا رسول الله يا أبو زعبل يا أبو عنطوز يا الله يا مشايخ الكفر خلصونى قال فأمر الملك أن يلاطفوه بالكلام فلاطفوه حتى سكن رعبه وروعه ثم انه نظر فرأى الخليفة جالسا على الكرسى وعلى راسه التاج الكسروى فقال له أنا فى جيرتك يا خطيب المسلمين قال فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح من أى البلاد أنت فقال له أنا من كفر أبو زعبل وأنا شيخ الكفر وعندى بيت ملآن تبن وقصل وعندى عنزومركوب أحمر وحياة راس السامعين وعندى فرختين وديك وشوتين عضم وخف طويل مثل خفك ذا

ياخطيب فضحك عليه الخليفة وقال له من أحضرك عندى قال ذا الجندى صبيك لاجزاه الله خيرا وكان مراده يأكل رغيفى دا ثم انه أخرج الرغيف من عبه وأراه للخليفة فقال له الخليفة أنت جيعان فقال ياخطيب صبيك أوعدنى بالغدوة فقال له الخليفة ماتشتهى قال العدس والبيسار هات لى عدس ومترد بيسار ورغيفين دره وانا أحلى أم خطيطة ندعى لك فقال له الخليفة اجلس يافلاح قال فقعد ومدّ رجليه بحضرة الخليفة وحط النبوت بجانبه والمركوب خلف قفاه وربطه فى حزامه خوفا عليه أن يقع من وراء ظهره فأمر الخليفة أن يقدّموا له الصحن الذى فيه الخشتنانك فقدّموه اليه فلما رأى الصحن قال ياخطيب المسلمين أعطنى من دا المتردكوره ألعب بها فى الكفر أنا وأبو دعموم وأولاد الكفر فضحك عليه الخليفة وقال له كل منهم كورة فقال ياخطيب المسلمين الكوره تتاكل فقال له كل على بركة الله تعالى قال فأخذ الفلاح واحدة ووضعها فى فمه ومضغها فلما استقرت حلاوتها فى جوفه صار يأكل أربع حبات سواو يجمنها فى يده ويقطع منها ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ وهو فى حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يافلاح مايكون هذا الذى تأكله وما اسمه فقال ياخطيب المسلمين طول عمرى آكل العدس والبيسار والكشك بالفول والمدمس ماريت مثل دا أبدا الا أنى سمعت أم معيكة جدتى تقول نعيم الدنيا الحمام والله أعلم ان داهو الحمام اللى يقولوا عليه الناس فضحك عليه الخليفة وقال له مرحبابك يافلاح كل واشبع فقال له ياخطيب المسلمين وحياة وجهك لما اروح الكفر أزورك بحمل جله ومحلاب ابن من بقرتنا الحمراء وخمس بيضات وأنت الآخر ماتحرمنى من نعيم الدنيا دا لما أحضر بالهدية فضحك الخليفة من كلامه وأنعم عليه وأذن له بالانصراف ومضى الى سبيله ﴿ولقى﴾ بعض أهل الارياف صديقا له وقد اشترى بردة من الصوف فقال له دى بردتك فقال له عبدك وجاريتك فقال له بكم اشتريتها فقال بدواهيه كبيره فقال له تلفك وتلف وليدا لك فى الشتاء ﴿وجلس﴾ بعض أهل الارياف بين أصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكى وقال يابويه فحل الفراخ مات فقال لاحول ولاقوة الا بالله العام الماضى ديك والعام داديك احنا ياولدى أصحاب الرزايا والمصايب ربنا يعوض علينا ثم ان أصحابه عزوه وصار كأنه مات له ميت (وولدت لشخص منهم حمارة) فلقيه صديق له وقال له حمارتك ولدت فقال له وسبعت فقال له ماجاب الله فقال له جحيش كيفك سواء بسواء فقال الله يخليه لك ويجعل جحش الحياه (وعطس) رجل منهم أيضا فقال له فقيه من أهل الريف يرحمك اللى عطسك ولوشاء لفطسك وأخرج العطسه من قبر قراقير اللى خلفك فقال له الفلاح يافقى لاعدت تنسانا من دى السورة تقراها علينا فى المسا والصباح وأعطيك أيام المقسات أربع بطيخات وتقرا السورة لام معيكة وتهديها لابو زعبل فانه مات من مدة شهرين فضحك عليه الرجل ومضى الى سبيله (وجلس) جماعة من أهل الارياف يتحادثون فى أحوال الزمان اقباله وادباره فقام رجل منهم يقال له أبو عنزه وسحب رداه واتكأ على عصاه

ثم ضرب بها الارض وقال لهم ياشيوخ الكفر زمن الفرح اللى ولى وراح ولا بقى فى الدنيا خير ولا
عاد يجى زمان مثل زماننا اللى كنا فيه وما تحصل أيام الاعياد والمواسم فقالوا له الله عليك يابوعفره
احكى لنا على زمن الفرح اللى شفته فقال لهم رحت يوم عيد الله وكبر أنا وابو معيكه وابو دعموم
وكان معى ابنى فرقع الليل ولد صغير واحنا بنجرى مثل الكلاب السعرانه وانا نافش وعلىَّ ردا من
محر الكتان شريته بنص فلوس جدد الدراع وجبة صوف خدتها بخمسه جدد الدراع ولبده خدتها
بعثمانى وأنا مزوق على العيد كيف عنز الضحية وتحزمت بسير وسكين خدتهم من سوق هريط
باربعة انصاص فلوس جدد وعلى راسى شد مشنبر خدته من سوق بيشله بنصين فلوس جدد ونبوت
كنت سرقته فى زمان الشطاره ومركوب احمر كيف وجوهكم ياشيوخ الكفر كانت سرقته ام
زعبل من واحد حضرى دخل دارنا اللى على البركة بالامارة يشترى بيض ورحت انا والجماعه نشترى
مصالح العيد على الطريق اللى تطلع على الكفر بتاع أبو عنطوز غشى عليها كيف كلاب الغنم وكنا
لقينا واحد بيع جدى بالتخمين خمسة ارطال لحم فوقفت انا واصحابى على راس صاحبه وهو عمال
يسلخ فيه فقال لى ما تطلب ياشيخ الكفر انت واصحابك فقلت له اسمع ياعرص ياراس الدقاق وحياة
ام زعبل ان كنت ما تكارمنى اليوم وتنوصابى والا ما عدت تدبح جدى ولا كلب فقال لى ياشيخ
الكفر تطلب من اللحم والا السقط فقلت له أطلب السقط اقسمه بينى وبين اصحابى كل واحد
يأخذ تلته فأخذت منه السقط بعد عياط وشياط وضراط وحياة لحاكم ياولاد كنا نحسبه بنص
فلوس جدد ولولا عينت له الضرب وقلت له ياعرص ياتيس وانا شيخ وتورد على الجدعان اليوم أطبخ
وأغرف وأنا عمود فى الكفر والا ما كان اعطانى السقط وقسمناه احنا التلاته كل واحد خد
بجديدين ولكن واحد من شركائى غار علىَّ وخد رجل زايده وانا سرقت ودن من ودان الجدى
وطلبت اسرق سنا من اسنانه اعلقها لابنى عفره على راسه تمنع عنه النضرة اتغلبوا علىَّ شركائى وقالوا
لى يابوعفره لا تخون الامانة ان جات الاسنان فى حصتنا خد ما تريد فتركت الامر ده وخدت حصتى
فى طرف ردايه وكل واحد من شركائى خد حصته وافعت نبوتى على كتفى وبقينا كيف الكلاب
السعرانه وانا اعفر بين الكيمان والكلاب تجرى ورانا على ريحة اللحم وكان حرقنى شخاخى
وحياة لحاكم ومن خوفى من الكلاب لا يخدوا منى السقط وكنت اشخ على ردايه حتى غرقته شخاخ
ولما دخلت الدار شفت ام زعبل حشا العيب قاعده فى جنب مدود الحماره كيف كلبة المشد تعمل
الحله عليها قميص من قطن مخطط كنت شريته لها من زمن الفرح بعشرة انصاص فلوس جدد
وفوق راسها طرحه كبيره مثل الردا خدتها باربعة انصاص فلوس جدد وسرموج أخضر واحمر
مصبوغ بحناء برسيم سابل للخوران وفى رجليها حجل نحاس مطلى بقزدير وفى يديها بابل نحاس
اصفر وفى اودانها حلق طارات فدخلت عليها مشنغر بدقن كيف دقن التيس وشوارب مطرطره

كل

كل من شافهم خري على روحه فقامت ام زعبل وسحبت يديها من الحلة ولا قتني بالحضن لا تقول الا بقينا كيف الكلاب الجياع وبعدما لاقشتها ولاقشتني ولاطعتها ولاطعتني وعملت معها ما تعمل الرجال مع النسوان يعني ديك القضيه وانتم تعرفوا الي حدق وشاطر وما يطلع من حنكي عيب وما انتم شفتم ايه من الفرح وبعد داودا فاني اغني البهايم والحمرات انعلت الغنام من ابويه وجدي وأنا فصيح قوي فقلت يا ام زعبل ربنا يخلي لي شلشولك وقامتك أنا بانطر حلقك بيشتم الناس وهو مايل على اودانك وأنا رايح اغني عليه فقالت لي يا ابو زعبل وحياة شاربك اللي كيف شارب الكلب الا تغني لان او حشنا غناك وقصايدك ومرادنا تسمعنا قصيدتك اللي تقولها في الحلق فنشدت لها قصيد ومن صلى على النبي يستفيد

ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

تبيع الورد في الصبحه * قصدك زين الطرحه عسى الله أنضرك لحه * تجمع عندنا الجلات

ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ألا يابو قيص هريط * عسى الله أنضرك في الغيط وأدى لك قدح مخيط * وأدى لك شمال كرات

ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وأعطى لك شمال خبيز * وأعطى لك قدح جبيز وأجعل لك على تميز * فطيره دخن في الصبحات

ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

أنا حبك كما العجله * ويا زينك حدا الحله تعالى الغيط بلا مهله * وتتفرج على العجلات

ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

تعا عندي وكل جعضيض * وجيب لك يامليح حيض وأقلى لك كماني بيض * بزيت حار من حدا الزيات

آلا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

أنا اخشى أن أقل تعال * تعاوني على دي الحال تعالى امشي وضال عمال * أروح بك دار ناو نبات

ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ودقس لك أنا القبه * وجيب لك فول من القضبه وكل واشرب كمان شربه * تخليك تشبه العنزات

ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وجيب لك عدس مع بسار * وكسرة عيش مع فول حار وجيب لك مسرجة زيت حار * تنور لك كما التمرات

ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وحطك جنب مدودنا * والا جنب جلتنا وو ريك بوز بقرتنا * وهي تترش من القصلات

الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وان شا الله أروح طلخه * وجيب لك يامليح فرخه وفي الدار ان ترى الشخه * عليها صب من بولات

ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وخليك كيف أبوبربر * وتملقش وتتشخشر وتتشقلب وتتغندر * وتبقى لى كما الكلبات
ألايابوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وتعطيه لى وتتبكه * وحطوفك واتكه وانا ابوعفر ابودكه * آبيع المش فى الحارات
ألايابوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وناشاعر وشيخ الكفر * نشدت قصيد كيف الزمر وقومى وارقصى بالعفر * ودايوم عيدوله طنات
ألايابوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحط اللحم والفشه * على الكانون والكرشه ونتغدا وتتعشه * ونعزم دار أبوكرات
ألايابوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ونختم قولنا الاباس * نصلى على النبى ياناس ويشنع لى وجع الناس * وينقذنا من الهلكات
ألايابوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هى وابنها عفره واخوه فرقع الليل حتى وقعت الرحى من على راسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يا ابوعفره سمعنا القصيد فسمعتم أول وثانى وقالوا غدا يسمع بك نصرانى البلد ويقربك وتبقى تجلس حداه ركبه بركبه ويقول لك ياعرص تقول له ياسيدى وان شاالله يعطيك كيله شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطانى شى أنعمت عليكم ولما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت ام عفره للسقط تطبخه فقالت لى يابوعفره بقا المليك الجخور فقلت لها وحياة شلشولك مابقى معى فلوس وانا قشلان فقالت لى من خلى شى لعقب الزمان ينفعه أنا خليت فى الصومعه اربع بيضات خدهم ولاتقل الحدفان الناس تحسد الناس وخصا اليوم عيد وانت اليوم ياابوعفره فى نعمه كبيره هات لنا ببيضه مرسين وببيضه محلب وبيضه نعناع وبالبيضه الرابعه عصفر نزعفر به ثياب ابنك عفره وأخوه فرقع الليل حتى يبانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام والحمدلله عندنا شويت زيت حار أدهن بها شعر راسى وتدهن بقيتها دقنك وشواربك وتنط بين الجدعان وتبط على شلشولك كيف شلشول العنز السمين فخدت الاربع بيضات وجبت لها ماطلبته ولقينا فى كرش الجدى شويته فول صحيح خدته ام عفره وفركته بالفراكه حتى بقى مثل البيسار وقلت للطعام بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقى مثل طعام المشد وجونى الشباب والجدعان يغنوا حولى ويخبطوا باالنبابيت ففرقت عليهم ام عفره لقانة طعام فأكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمرد بينهم وكان يوم ماعاد يجى مثله فقالوا له اصحابه زمانك يا ابوعفره ولى وراح وماتت الناس وجاروا علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يورد لاستاذه المال فأنزله فى محل فيه طاقه مفتوحه تشرف على حريم الامير فلما جاء الليل قال الفلاح فى نفسه ياترى يابومعيكه الامارة لما يختلوا بنسوانهم كيف يفعلوا ولكن انضر كيف مايفعل استادك مع امرأته ولما تروح الكفر احكى لام معيكه تعمل دالك

العمله مثل ماتعمل الاماره وتحضيك ام معيكه بدالك العمله ولابدما يرطنوا على بعضهم البعض بالتركي وانت تنضر طريقة ما يعملوا بحريتهم وتبقى تقول للجدعان أنا بقيت مثل الاماره وتبقى ام معيكه مثل امراة الامير استادا البلد ثم انه صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقة قال فريت الامير جالس على سرير من قفص والاعاج اللي يقولوا عليه الناس وعليه الفرش يلمع وجلست زوجته على سرير مثله وصار الامير يلاطفها ويحاكيها بالكلام اللين مايعرف يقولوا ايه شردم بردم بالتركي ومره بالعربي الى أن اشتهى منها قضاء الحاجه فخذ من جنبه ورده ورماها بها فجت له بحسنها وجمالها على أحسن حال وأتم سرور وعملوا دالك العمله وبعدها كل واحد منهم نام على سريره ثم لما اصبح الصباح أخذ الفلاح خاطر استاده وتوجه الى بلده فلما اطلع الكفر لاقته زوجته ام معيكه ومعها زلعه ملانه ماء من الفحيرة فسلمت عليه وجلست هي واياه في منادمة مثل منادمة القرود أو بربرة الهنود الى أن سألته عن المدينة وعن استادا البلد فقال يا ام معيكه المدينه مليحه ولاصعب غير الشحاخ فيها الانهم لايشخوا الا في نقره وهي مبنية كيف دارنا ولا مليح كاني الا امراة استادنا تشن وترن وعليها اخلقان ملاح كيف نوار الفول ونوار ابو النوم أحمر واصفر وعلى راسها خف مثل خفي اللي ألبسه في أيام العيد اللي شريته ايام الفرح بنص فضه جدد وفي ايديها اساور صفرا الله أعلم انهم من سباطا النخل ولابسه قميص احمر مخيط مثل الزكيبه اللي نعبي فيها الفول الاخضر وفي سيقانها حجل كيف حجل ام دعموم اللي شريته لها بنصف من فلوس جدد ولابسه شاية خضره الله أعلم انها اصبغتها ببرسيم ويا محسنها وقت دالك العمله اللي يعملوها الرجال مع النسوان نخاطري يا ام معيكه تعملي لي مثلها حتى يبقوا يقولوا الناس ومشايخ الكفر بقا أبو معيكه مثل الاماره فقالت له يا بو معيكه احكي على شفته من امراة استادك فقال لها لما رحت المدينه وطلعت للاستاد حطني في مطرح فيه طاقه تطل على الحريم وعلى المطرح اللي ينام فيه الامير فصبرت لما دخل الليل وبقيت أتخنس كيف الكلب فريت الامير استادنا قاعد على خشبه سوده مربطه بشراميط بيض لها أربع رجلين كيف عريش المقتات اللي نعملها أيام البطيخ في الغيط وقعدت امرأته على خشبه كيفها مثل جرافة الغيط وبقا يكلمها بكلام الجنادي يقول لها شلضم بلضم تقول له شقلب مقلب حتى اشتهى منها دالك العمله خدفها بنواره حمره مثل نوار أبو النوم فقامت تشن وترن حتى جت الى عنده وعمل فيها العمله فقالت له أم معيكه وحياة شاربك اللي مثل شارب التيس لاعمل لك مثل عمل الاماره وتنفش على مشايخ الكفر اصبر لما يجي الليل تبلغ مرادك قال فصبر الفلاح حتى دخل الليل فقال لها اقعدي في مدود الحماره وانا اقعد في مدود البقره قصادك ففعلت وقعدت في المدود وعليها الشلاتيت والشراميط وآثار الجله فيها وفيها الشحاخ أيضا قال فلما خطر للتعيس الناصيه قضاء الحاجه بعد أن صار ينادمها بكلام مثل نبيح الكلاب شياط وعياط وسؤالات عن البقره وعن العجله والتور والجله وغير ذلك

وخليك كيف أبوبربر * وتملقش وتتشخسر وتتشقلب وتتغندر * وتبقى لى كما الكلبات
ألا يابوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وتعطيه لى وتتبكه * وحطوفيك واتكه وانا ابوعفر ابودكه * أبيع المش فى الحارات
ألا يابوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وناشاعر وشيخ الكفر * نشدت قصيد كيف الزمر وقومى وارقصى بالعفر * ودا يوم عيدوله طنات
ألا يابوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحط اللحم والدشه * على الكانون والكرشه وتتغدا وتتعشه * ونعزم دار أبوكرات
ألا يابوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ونختم قولنا الاباس * نصلى على النبي ياناس ويشتع لى وجمع الناس * وينقذنا من الهلكات
ألا يابوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هى وابنها عفره واخوه فرقع الليل حتى وقعت الرحى من على راسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يا ابوعفره سمعنا القصيد فسمعتهم أول وتانى وقالوا غدا يسمع بك نصرانى البلدو يقربك وتبقى تجلس حداه ركبه بركبه و يقول لك يا عرص تقول له ياسيدى وان شاالله يعطيك كيلة شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطانى شى أنعمت عليكم ولما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت ام عفره للسقط تطبخه فقالت لى يابوعفره بقا عليك البخور فقلت لها وحياة شلشولك مابقى معى فلوس وانا فشلان فقالت لى من خلى شى لعقب الزمان ينفعه أنا خليت فى الصومعه اربع بيضات خدهم ولاتقل لحد فان الناس تحسد الناس وخصا اليوم عيدوانت اليوم يابوعفره فى نعمه كبيره هات لنا ببيضه مرسين و ببيضه محلب و ببيضه نعناع و بالبيضه الرابعه عصفر نزغفر به تياب ابنك عفره وأخوه فرقع الليل حتى يبانوا بين اولاد الكفر و يبقى لهم الكلام والحمد لله عندنا شويت زيت حار أدهن بها شعر راسى وتدهن بقيتها دقنك وشوار بك وتنط بين الجدعان وتنبط على شلشولك كيف شلشول العنز السمين فخدت الاربع بيضات وجبت لها ماطلبته ولقينا فى كرش الجدى شويتفول صحيح خدته ام عفره وفركته بالفراكه حتى بقى مثل البيسار وقلت للطعام بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقى مثل طعام المشد وجونى الشباب والجدعان يغنوا حولى ويخبطوا بالنبابيت ففرقت عليهم ام عفره لقانة طعام فأكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمرد بينهم وكان يوم ماعاد يجى مثله فقالوا له اصحابه زمانك يا ابوعفره ولى وراح وماتت الناس وجاروا علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يوردلاستاذه المال فأنزله فى محل فيه طاقه مفتوحه تشرف على حريم الامير فلما جاء الليل قال الفلاح فى نفسه ياترى يابومعيكه الامارهلما يختلوا بنسوانهم كيف يفعلوا ولكن انضر كيف ما يفعل استادك مع امراته ولما تروح الكفر احكى لام معيكه تعمل دالك

العمله مثل ماتعمل الاماره وتحضيك ام معيكه بدالذ العمله ولا بدما يرطنوا على بعضهم البعض بالتركى
وانت تنضر طريقة مايعملوا بحريمهم وتبقى تقول للجدعان أنا بقيت مثل الاماره وتبقى ام معيكه مثل
امراة الامير استادا البلد ثم انه صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقة قال
فرأيت الامير جالس على سرير بن قفص والاعاج اللى يقولوا عليه الناس وعليه الفرش يلمع
وجلست زوجته على سرير مثله وصار الامير يلاطفها ويحاكيها بالكلام اللاين مابعرف بيقولوا ايه
شردم بردم بالتركى ومره بالعربى الى أن اشتهى منها قضاء الحاجه فخدمن جنبه ورده ورماها بها فجت
له بحسنها وجمالها على أحسن حال وأتم سرور وعملوا داك العمله وبعدها كل واحد منهم نام على سريره
ثم لما اصبح الصباح أخذ الفلاح خاطر استاده وتوجه الى بلده فلما طلع الكفر لاقته زوجته ام معيكه
ومعها زلعه ملآنه ماء من الفحيرة فسلمت عليه وجلست هى واياه فى منادمة مثل منادمة القرود
أو بربرة الهنود الى أن سألته عن المدينة وعن استادا البلد فقال يا ام معيكه المدينه مليحه ولا صعب
غير الشحاخ فيها لانهم لايشخوا الا فى نقره وهى مبنية كيف دارنا ولا مليح كانى لا امراة استادنا تمشى
وترن وعليها اخلقات ملاح كيف نوار الفول ونوار ابو النوم أحمر واصفر وعلى راسها تخف مثل تخفى
اللى ألبسه فى أيام العيد اللى شريته ايام الفرح بنص فضه جدد وفى ايديها اساور صفر الله أعلم انهم
من ساط النخل ولابسه قميص احمر مخيط مثل الزكيبه اللى نعبى فيها الفول الاخضر وفى سيقانها
حجل كيف حجل ام دعموم اللى شريته لها بنص فلوس جدد ولابسه شابه خضره الله أعلم انها صبغتها
ببرسيم ويا محسنها وقت داك العمله اللى يعملوها الرجال مع النسوان فخاطرى يا ام معيكه تعملى لى مثلها
حتى يبقوا يقولوا الناس ومشايخ الكفر بقا أبو معيكه مثل الاماره فقالت له يا ابو معيكه احكى على
شفته من امراة استادك فقال لها لما رحت المدينه وطلعت للاستاد خطنى فى مطرح فيه طاقه تطل
على الحريم وعلى المطرح اللى ينام فيه الامير فصبرت لما دخل الليل وبقيت أتحنس كيف الكلاب
فرأيت الامير استادنا قعد لى خشبه سوده مربطه بشرا ميط بيض لها أربع رجلين كيف عريش
المقثات اللى نعمله أيام البطيخ فى الغيط وقعدت امراته على خشبه كيفها مثل جرافة الغيط وبقا
يكلمها بكلام الجنادى يقول لها شلضم بلضم تقول له شقلب مقلب حتى اشتهى منها داك العمله
فخدها بنواره حمره مثل نوار أبو النوم فقامت تمشى وترن حتى جت الى عنده وعمل فيها العمله فقالت
له أم معيكه وحياة شاربك اللى مثل شارب التيس لا عمل لك مثل عمل الاماره وتنفش على مشايخ
الكفر اصبر لما يجى الليل تبلغ مرادك قال فصبر الفلاح حتى دخل الليل فقال لها اقعدى فى مدود
الحماره وانا اقعد فى مدود البقره قصادك ففعلت وقعدت فى المدود وعليها الشلاتيت والشراميط
وآثار الجله فيها وفيها الشخاخ أيضا قال فلما خطر للتعيس الناصيه قضاء الحاجه بعد أن صار ينادمها
بكلام مثل نبيح الكلاب شياط وعياط وسؤالات عن البقره وعن العجله والتور والجله وغير ذلك

أراد أن يرميها بشئ مثل ما فعل الامير فحط يده على المدود فرأى قالب طوب محروق فخذه وحدفها به فوقع فى وسط راسها فبلتها وسال الدم فصرخت بأعلى صوتها فأقبلوا الجيران والمشايخ ووصل الحاكم الخبر فأقبل هو وطائفته وسأل عن القضية فأخبروه بها فأخذه وضربه نمرا موجعا وأحضروا للمرأة جرائحيا فقطب رأسها ومكث يعالجها شهرا كاملا الى أن برئت فانظر الى هذا التعيس النحيس وقلة عقله الخسيس كيف ظهر من ملاعبته لزوجته الهم والنكد وقيام الغارات فى البلد ﴿واتفق﴾ ثلاثة أنفار من كفوفة الريف أرادوا الطلوع الى المدينة فساروا حتى قربوا منها فقال كبيرهم وصاحب الرأى فيهم اعلموا ان مدينة مصر كلها اجنادى وعسكر يقطعوا الروس واحنا فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركى والا قطعوا روسنا فقالوا له اصحابه يابودعموم احنا ما نعرف شى بالتركى ولا غيره فقال لهم انا تعلمت التركى زمان من مدة ما كنت اقعد حدا المشد والنصرانى ركبه بركبه حتى تعلمته منهم فقالوا له اصحابه علمنا التركى فقال لهم اذا طلعنا المدينه نروح الحمام اللى يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحما فيه ونغسل جلودنا ويقولوا ان فيه نقره غويطه يشخوا ويخروا فيها وبعد ما نخرج من نعيم الدنيا ننقف ونلتف فى بردنا ونتم امرنا أقول لكم قرداش محمد قولوا هاه نوار أقول لكم معا كم شى برمنقار قولوا يوق يوق فيخاف صاحب الحمام ويقول لعقله دول جنادى غرب يقطعوا الروس ويخلينا نخرج من غير فلوس وتهيبنا الناس ونبقى فى مصر مثل الاماره ويشيع خبرنا عند الكفر اننا اماره نرطن بالتركى فيخافوا منا مشايخ الكفر ولا يبقى لهم علينا كلام أبدا فقالوا له اصحابه دى شوره صواب يابودعموم قال فساروا حتى وصلوا مصر وسألوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابيط ورموا البرد والشلاتيت وصاروا عريانين مثل ما يتعلوا فى البرك والابيار فقال لهم صاحب الحمام استروا أنفسكم فأرادوا أن ياخدوا بردهم ليستروا بها فرمى لهم صناع الحمام فوط قدم من رجيع الحمام فربطوها على عوراتهم غصبا عنهم وصارت عوراتهم فى الغالب مكشوفه وايورهم مدليه ودخلوا الحمام مثل فحول الجاموس أو المعز أو التيوس حتى بقوا داخل الحمام وغسلوا ما عليهم من الوسخ والصنان وغطسوا فى المغاطس مثل التيران والجديان وخرجوا مع بعضهم البعض وقد تزلزلت منهم الارض وهم فى حالة الاثوار وصور الابقار حتى لبسوا الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على الاكتاف وأرادوا الخروج بلا خلاف قال فصاح عليهم صاحب الحمام هاتوا الاجره يا عرصات فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرداش محمد فقالوا هاه نوار فقال لهم معا كم شى برمنقار يعنى جديد فقالوا يوق يوق يعنى ما معنا شى فقال لهم صاحب الحمام أى وقت يا تيوس تعلمتم التركى المعكوس وبقيتم أماره وما هذا التركى الذى يشبه الخرا أقسم بالله لا يخرج منكم عرص حتى يحط الاجره بزياده قال ثم انه أمر أصحابه بصكهم وضربهم وأخذ البرد منهم وخرجوا من عنده وتداركوا فى الاجرة

وقد اقترضوها من أهالى الكفر وخلصوا بردهم وتوجهوا الى حال سبيلهم ﴿ وطلع رجل منهم ﴾
المدينة فصادف الجلاد ينادى فى الاسواق على رجل يستحق القتل فظن أنه ينادى العونه يافلاحين
ففر هاربا الى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدون الذهاب الى المدينة فقال لهم لا تطلعوا المدينة
فانهم ينادوا فيها العونه والسخره فقيل انهم مكثوا ثلاث سنين ما يطلعوا مصر خوفا من العونه
والسخره فانظر الى قلة عقولهم وخساسة رأيهم ﴿ وطلع رجل منهم ﴾ قريه على شاطئ النيل يوم
الجمعة فرأى الناس قاصدين الى صلاة الجمعة فاعتقد أنهم ذاهبون الى ضيافة أو الى هروبة صنعها
لهم أمير البلد فذهب الناس الى أن دخلوا المسجد فذهب معهم وجلس فى بعض الصفوف الى أن
أقبل الخطيب وصعد على المنبر قال فصار الفلاح ينظر اليه وهو مرتاب وخائف ومتحير الى أن فرغ
الخطيب واقيمت الصلاة وسمع نحيبهم بالتكبير والتهليل فاعتقد أنها هرجة وقعت بينهم قال
فصاح الفلاح يالسعد يالحرام الله وكبر وسحب النبوت وخرج هاربا وهو يقول خدولك القوم
يا ابو كتكوت ولم يزل فى خوف وكرب حتى وصل الى الكفر فلاقاه أصحابه وسلموا عليه فرأوا أحواله
متغيرة فقالوا واله ايش أصابك ودهالك يا ابو كتكوت فقال لهم ياما قسيت فى دى السفره كانوا القوم
مرادهم ياخدونى ولولا انى سحبت النبوت وخرجت هارب والا كانوا اقتلونى فقالوا واله ايش الخبر
يا ابو كتكوت فقال لهم وقعت هرجه كبيره ولا سلمنى الا الله وبركة الشيخ أبو طيل فقالوا واله احكى لنا
على ما جرى لك فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فرأيت ناس كتير رايحين زى قطايع الغنم
فقلت لا بد ماهم رايحين لضيافه أو لهروبه فرحت معاهم حتى دخلت دار كبيره فيها حجاره طوال
منقامة زى الدعايم بتوع العريشه اللى نعملها فى الغيط وعليها قناطر مبنيه زى مناطر الصابون وفيها
حبال مدليه زى حبال التيران فى كل قنطره حبل وفى جنب حيط من حيطان الدار خشبه عاليه لها
سلالم زى سلالم الغرفه اللى نعملها على البيوت من الكرس والطين ونلطخها بالوحل من أولها
لآخرها والخشبه دى لها راس كبيره زى الناطور اللى نعمله فى المقات وقصادها عريشة صومعه زى
العريشه اللى نحرس عليها الذره والحمص فى الغيط ولها سلالم فطلع فوقها جماعه وقعدوا فيها
ساعه وقام واحد منهم وحط ايده فى ودنه وقال كلام ما حد يعرفه الا واحد خرج من حاصل فى
جنب الدار عليه عمامه كبيره الله أعلم انه قاضى ومعاه سيف ساحبه وشق من بين القوم بقلب قوى
ووجه كاشرى ووجه تيس الوسيه وما ضال طالع على السلالم سلم سلم حتى قعد على السلم الاحرانى
وهو آخر السلالم وبقت القبه فوق راسه ونضر للناس اللى تحته وبهت فيهم وكشر على أنيابه وهو
ساكت غضبان كل من شاف شواربه شخ على روحه وحياة الحاكم ولا عمرى شفت أقوى قلب منه
ولا أشد حيل ولولا انه راس صايبه ما كان عمل دى العمل وطلع وحده وسحب السيف على القوم
وبعدها واحد من الجماعه اللى على العريشه قصاده قام بقلب قوى وصار يشتمه ويسبه ويقول له

كلام كثير فانجمق لاخرسنه وشتمه ولعنه ووقعوا فى بعضهم البعض شتم وسب ولعن وبعدها نزل الراجل اللى على الخشبه وهو صاحب السيف يعارك فى الناس اللى تحته قاعدين فلما شافوه نازل لهم بالسيف قاموا على حيلهم وصرخوا وقالوا الله وكبر وقامت العيطه وكنت اصحب نبوتى وخرجت هارب وماسلمنى الا الله وبركة الشيخ ابو طبل فقالوا له أهل الكفر والله يا ابو كتكوت لولا عمرك طويل ماسلمت من القوم وكانوا اقتلوك وأنت تعرف ان بلاد البحر كلها قوم والقتل عندهم من خطوه فقال لهم ياشيوخ الكفر ماعدت اروح بلاد البحر طول عمرى فانظر الى قلة عقل هذا الفلاح ومن جهله وصقاعة ذقنه لايدرى الصلاة ولا الجامع من قيام الهرجه ﴿واتفق﴾ لثلاث نسوة من عواهر مصر خرجن يتفرجن فى أزقة المدينة فلقين رجلا من خوف الريف وهو فى حالة رذيلة وعلى راسه قفص ملآن من الفراخ يريد أن يبيعها او يسدّ بثمنها مال السلطان فقالت احداهن للأخرى ماتقولى فى اللى ياخد الفراخ من الفلاح ده فقالت الثانيه وأنا آخد تيابه وقالت الثالثة كل ده ماهو شطاره الشطاره فى اللى تبيعه بيع العبيد أو المقداف أو ابراقه (قال ثم ان الاولى) التى التزمت بأخذ فراخه أقبلت اليه ورغبته بزيادة فى الثمن قال فمضى معها الى أن أقبلت على درب من دروب مصر وبيت نافذ له باب ثان من جهة اخرى وقالت له اقعد هنا على الباب ده فانه باب بيتى واصبر حتى اجى لك بالفلوس ثم أخذت القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها من الباب الثانى ولم يزل الفلاح جالسا على الباب ولم يأته أحد ورأى الناس داخلين خارجين من ذلك الباب فتحير فى نفسه وقال لابدّ ان دى دار كبيره وسأل عن المرأة التى أخذت الفراخ فقال له الناس ياسقيع الدقن وقليل العقل البيت ده نافذ وكم ناس رجال ونسوان داخلين خارجين قال فتمشى الفلاح فرأى دربا كبيرا نافذا من الباب الثانى فاحتار وصاح ولطم على وجهه وأقام الصراخ فبينما هو فى هذه الحالة (اذ أقبلت عليه المرأة الثانية) وقالت له ايش صابك ودهاك يامسكين وانت راجل غريب وعليك مال السلطان وضحكت عليك دى العاهره وخدت منك الفراخ وتركتك فى دى الحاله فقال لها الفلاح وحياة عيونك يامليحه مامعى غيرهم فقالت له امشى معاى الى بيتنا وأنا أعطيك شى من الدراهم صدقة عنى فقال لها الفلاح الله يجزيكى خيرا وأنا الآخر لما اروح الكفر ازورك بحزمة حلاح وحزمة بصل وشوية قرله تبقى صاحبتى وان شا الله اجيب لك كمان عشرين قرص جله قال فأخذته وسارت الى أن أقبلت الى بيت كبير عالى البنيان فسألت عن صاحبه فقالوا لها هذا بيت الامير فلان وقد توجه هو وطائفته الى بعض المنتزهات قال فدخلت البيت فلم تر فيه أحدا سوى رجل كبير بواب فدخل الفلاح معها الى وسط البيت فرأت فيه بئرا من الماء تملأ منه الحريم قال فوقفت ونظرت فى البئر ثم انها ولولت وصرخت وبكت بكاء شديدا فقال لها الفلاح بتبكى ليه يامليحه فقالت له يافلاح كعبك مشوم وقعت اساورى الدهب فى البير فقال لها ماتخافيش أنا أنزل وطلعهم لكى من

البير فقالت له تعرف تغطس فى الماء فقال لها دى صنعتى وطول عمرى فى الهم والغم وخصادى السنه اللى تجرى فيها الضعيف والقوى ثم قال لها اربطينى فى حبل البكره ودلينى فى البير ثم انه قلع ثيابه التى كانت عليه ودلته فى البئر الى أن وصل الى الماء فأرخت الحبل عليه وأخذت ثيابه وتوجهت الى حال سبيلها (هذا ما كان منها) وأما ما كان من الفلاح فانه لم يزل يغوص فى الماء ويفتش فى قعر البئر حتى كل وملّ واسود جلده من برد الماء وكانت ايام شتاء ولم ير شيأ قال فلما اشتد به الامر صار يصيح و ينادى المرأة فلم يجبه أحد فبينما هو فى هذه الحالة اذ أقبل الامير وطائفته فسمعوا الفلاح يصيح فى البئر وينادى طلعينى يا صبيه طلعينى يا مليحه دا ماهوش مليح منك ودا عيب عليكى وانا مت من الصقيع والبرد فقال له الخدم أنت انسى ام جنى فقال لهم أنا ابو زعبل بن جنيجل بن كاب المش فقالوا دا عفريت لا كلام فقال لهم والله يا وجوه الخير ما عفريت أنا راجل فلاح وحكى لهم قصته قال فدلوا له الحبل فتعلق فيه فلما رآه الخدم وعلموا أنه انسى قالوا دا حرامى وقع فى البير فنزلوا عليه بالضرب والصك وطردوه وراح يجرى وهو عريان بردان جيعان سقعان وهو لا يعرف أين يذهب (قال فأقبلت عليه المرأة الثالثة) وهو فى هذه الحالة وقد صارت الاولاد تضربه و يقولون مجنون فوضعت يدها على ظهره وسترت وجهه بمنديل كان معها وسترته بفوطة وقالت له أمرك الى الله يا مسكين يا حزين ضحكت عليك نسوان مصر العواهر وخلوك فى دى الحاله وانت راجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى الفلاح وشكى وقال لها يا مليحه وحياة شلشولك خدوا فراخى وثيابى وحزامى الليف وشدى ومركوبى وما عدت أصدق كلام نسوان أبدا فقالت له لا تظن أنى من عواهر مصر أنا عمرى ما خرجت من بيتى غير النهارده ولما رأيتك فى دى الحاله شفقت عليك ومرادى أعمل معك جميل وآخذك الى بيتى والبسك لبس مليح وخليك شلبى ظريف وأعملك مملوك وحط لك خنجر فى حزامك وعلمك التركى وتبقى تقول شندى بندى على فلاص جعاص فقال لها الفلاح أنا فى عرضك يا مليحه تعملينى جندى وتعلمينى التركى وأنا علىّ الحلال من ام شحيبر كل من عاد يقول لى كانى مانى فى رمانى قطعت راسه ولو كان أبوعو كل شيخ الكفر فقالت له سر بنا يا فلاح على بركة الله تعالى قال فسار معها الى أن أقبلت الى منزلها فأدخلته فيه ووضعت بين يديه الطعام فأكل وشرب وارتاح فى نفسه ثم انها أتته بماء ساخن وغسلته بالليف والصابون وألبسته قميص وزبون وشخشير جوخ وقاووق قطيفه وشاش قصب وحزمته بحياصة وخنجر فى حزامه وحلقت لحيته وشواربه وجعلته مملوك حليق وأعطته بابوج جديد ومحرمة فى حزامه وقالت له اذا كلمك حد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا الح عليك حد فى الكلام بالحاقه وشدد عليك قول له كرته هريف بولئ عه ولا تزيد عليه غير دلك فان الكلمه دى أصل التركى اذا عرفتها ما يعضى عليك شهر من الاوان صنجق و يبقى لك طبل وزمر فقال لها الفلاح أنا فى جيرتك يا مليحه تخلينى أبقى صنجق

و يصير لى سطوه فى الكفر وكل من قال لى كل خره اقطع رأسه وأبقى ان شاالله أزورك بربع كشك وعشر طور كعك من اللى تعمله ام شعيبر واعمل لك قاعه واكبسها لك بالوحل والجله وافرشها بالتبن والتصل وتبقى تنامى فيها و يبقوا يقولوا الجدعان أبو شعيبر طلع المدينه فلاح ورجع جندى يقول شندى بندى و يقطع الروس قال ثم انها أخذته ونزلت من منزلها تمشى وهو يمشى خلفها الى أن أقبلت على سوق خان الخليلى وجلست على دكان من الدكاكين وصاحب الدكان تاجر من عمد التجار وعنده أنواع الاقمشة من الخز والديباج والاطلس والشاشات وغير ذلك فقالت له أريد منك كذا وكذا مما يساوى ألف دينار فأحضر لها ما قالت عليه وربطته فى بقجة كانت معها وقالت له ياسيدى يكون المملوك ده عندك رهن حتى اروح الى بيت الامير وأعرض على حريمه القماش واجيب لك الدراهم فقال لها التاجر توجهى على بركة الله تعالى قال فأخذت الحوايج وتركت الفلاح عنده جالس (هذا ما كان منها) وأما ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار ولم تأته المرأة فتضايق والتفت الى الفلاح وهو فى هذه الحالة فقال له ستك بطت علينا فهز راسه حكم ما أوصته فكرر عليه التاجر الكلام فهز راسه أول وثانى ولم يتكلم فتضايق التاجر من الكلام وقال لجيرانه من التجار ماهذه البلية فى هذا المملوك كلما اكلمه يهز راسه كأنه ما يعرف الا بالتركى قال فبينما التاجر على هذه الحالة اذ أقبل عليه رجل عسكرى فقال له التاجر بالله عليك ياسيدى تكلم لنا هذا المملوك بالتركى وعرفنا عن حاله قال فكلمه الجندى بالتركى فهز راسه فاغتاظ منه وسل عليه السيف وأراد أن يضربه به فلما رآه يريد ذلك واشتد عليه الامر صرخ الفلاح فقال له كرته هريف بولك يعه قال فلما سمع منه ذلك نزل عليه بالضرب فصار الفلاح يتكلم و يصيح بكلام الفلاحين و يقول أنا فى جيرتك يا ابو زعبل فضحك عليه الجندى وبقية التجار واستخبروه فحكى لهم على القضية فعرفوا انها حيلة عملت على التاجر والفلاح قال فقام التاجر وعراه وأخذ جميع ما عليه وأراد بيعه للمقداف فتشفع له الحاضرون فتركه ومضى الى حال سبيله عريان محلوق اللحية وهو فى أتعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدة حتى طلعت لحيته ولم يطلع المدينة بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للمقداف بعشرين دينارا ومكث سنة وخلص روحه بالهروب ليلا اه ۞ وطلع رجل من الارياف الى المدينة فحصره البول والغائط فسأل عن عطفة يخرا فيها فدلوه على الازهر فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة فرأى الناس مزدحمين على بيوت الاخلية فوقف على باب كنيف يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة ما هو فيه من الحصر فطال عليه الوقوف واشتد به الامر فهجم على الرجل الذى فى الكنيف وقبض على أطواقه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دى نقره غويطة طو بلد أخرى أنا واياك فيها كل واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضى حاجته على عجل وقام يجرى من غير استنجاء والناس يضحكون عليه حتى غاب عن أعينهم

﴿وطلع رجل آخر من الارياف الى المدينة فأدركه الغائط فتحير ولم يعرف له عطفة يخرا فيها فلما اشتد به الامر شكى الى ابن مصر حرسها الله تعالى وقال له تضايقت من البول والخره كلما أردت أن أشخ قدام دكان يمنعونى الناس ويشتمونى فقال له يافلاح المدينه ما يخرا فيها أحد الا بفلوس ان كان معك فلوس دليتك على عطفه أونقره تخرا فيها والا تخرى على روحك فقال له وحياة ذقنك مامعايا الا نصين فلوس جدد كنت بعت بهم بعض خدهم ودلنى على محل الخره وأبقى أزورك بعشرين بيضه وجانب كبير قال فأخذ منه النصفين ودخل به الى جامع وأتى به الى بيوت الاخلية وأوقفه على بيت الخلاء وقال له اذا خرج الرجل ادخل انت تجد شق طويل ونقره غويطه شخ واخرا فيها قال فوقف الفلاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله يخرا ويقول قطن قطن قطن ويكرر هذه الكلمة قال فسمع الفلاح مقالته فظن فى نفسه أن الشخص فى مصر لا يسهل عليه خروج الخارج الا ان قال هذه الكلمة وصار يكررها الرجل مع الحزق الشديد فأكدت مع الفلاح وكان السبب فى تكرير هذه الكلمة التى يكررها الرجل فى بيت الخلاء هو أن زوجته لما خرج من عندها قالت له اشترى لنا قطن وكان كثير النسيان فصار يكرر اسم القطن حتى لا ينساه ودخل بيت الخلاء وهو يكرر اسمه حتى وقف عليه الفلاح وسمع كلامه قال فلما قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح وجلس على كرسى بيت الخلاء وصار يقول قطن قطن مثل الرجل فبينما هو فى هذه الحالة اذ أقبل رجل عسكرى وطرق الباب على الفلاح فقال الفلاح قطن قطن فتضايق الجندى وتحنح له أول وثانى وثالث والفلاح يقول أنا ما بقول قطن قطن فهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح والجندى يقول له يا أنجس الفلاحين ايش قطن قطن وأنت فى بيت الخلاء ولم يزل يضربه حتى أقبل عليه الناس وخلصوه منه ولم يزل يجرى حتى خرج من المدينة ودخل بلده فلاقاه أهل البلد وسلموا عليه وقالوا له كيف حال المدينة يا ابو دعموم فقال لهم المدينة مليحه الا أنك تاكل فيها بجديد وتخرى فيها بنصين وان قلت قطن قطنوا عينيك من الضرب ﴿وطلع آخر المدينة﴾ فصادف رجلا من غلمان استاذه فعزمه الى منزله وأحضر له سمكا صغيرا مقليا يسميه أهل مصر بساريه له لذة فى الطعم قال فصار الفلاح يسف منه ولم يعرف ماهو ثم قال فى نفسه دا شى عمرك ما أكلته ولا رأيته ولا بد يا ابو قريطم أظن انها الكنافه اللى يقولوا عليها تطلع فى المدينه ويأكلها الاماره وغدا تطلع الكفر ويلاقوك المشايخ والجدعان ويسلموا عليك وتقعد أنت واياهم على كوم أبو عنطوز تنفش الصوف وتبقى زى الكلاب الكواشر وتبقى بينهم تجعمص زى تيس الوسيه ويقولوا لك يا ابو قريطم قل لنا ما أكلت فى المدينة من الطعام اللى يأكلوه الاماره تقول لهم أكلت الكنافه فما يصدقوا قولك ويقولوا تكذب يا عرص فالصواب انك تاخذ لهم عضمتين من عضامها وتحطهم فى حجرك ولما يكابروك تقلع بالعضم عينيهم قال ثم انه حط فى حجره شيأ يسيرا حتى

طلع على الكفر فأقبل اليه مشايخ الكفر زى الكلاب السعرانة وهم دندوف وشضية وزعيبر وبعيبر وتر وفر وقناقد ولقالق وزرارة ونبالث الحمارة وسلموا عليه وقالوا له يا ابوقر يطم اطلع بنا الكوم وقل لنا على المدينه وما أكلت فيها فقال لهم المدينه مليحه قوى وفيها اجنادى كتير قوى وفيها الخيار الاصفر خدت منه بجديد وخدت بجديد مقيلى وخدت من اللى يقولوا عليه الخضر كرشه اللى يبيعوها على الخشبه العاليه العريضة زى الجرافة وأكلت وتنعمت واشبرقت حتى خدت كمان وحياة لحاكم بجديد ترمس مملح وأكلت فول حار فقالوا له يا ابوقر يطم كسرت عليك مال السلطان وعمايلك دى ماتخلى رزق وانت عمرك بتصرف ولا تحسب حساب الزمان فقال لهم الرزق على الله ياشيوخ الكفر وأقول لكم كانى أكلت الكنافه التى بتاكلها الاماره قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه فتلع خذنه من على راسه وأوراهم عضم السمك فلما رأوه صدقوه وصدقوا كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا حربى وزغرطت النسوان وقالوا له يا ابوقر يطم بقيت زى الاماره وغدا استاد الكفر يشلش عليك ويقول بقى ابوقر يطم سعيد ويا كل ما تاكل الاماره ومتى ما بلغه الخبر شيعك المتسداف او الجرافه وأنت تكتم السر ولا تقول لا القريب ولا الغريب أكلت الكنافه أبدا فقال لهم ياشيوخ الكفر أنتم تكتموا الخبر وتحلفوا الى على الشيخ أبو طبل فحلفوا كلهم ان لا احد يبيح بدى القضيه فانظر الى قلة عقولهم وشدة جهلهم ۞ وطلع رجل منهم المدينة يبيع بيض فاشتراه منه رجل جندى وقال له امضى معى الى المنزل خذ الفلوس فمضى معه فحصر الجندى البول فرأى فى طريقه كنيف فدخله ليقضى حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطأ عليه فدق عليه باب الكنيف فتنحنح الجندى فصاح الفلاح وقال اعطينى حقى يا جندى ما تحل لك من الله تاخد بيضى وتخلينى واقف على باب بيتك كلما كلمتك تتنحنح وأقام الفلاح الغارات والصياح فأقبل اليه الناس فخرج الجندى وهو قابض على سراويله ومسك أطواق الفلاح وصار يضربه بالحرمة التى فيها البيض حتى كسره على رأسه وسال على لحيته وشواربه والناس يضحكون عليه ثم خلصوه وفر هاربا ۞ وطلع آخر المدينة يبيع تبن فاشتراه منه رجل وأعطاه الدراهم فأراد أن يأتى الى رجل صيرفى لينقدها له فسأل عن دكانه فدلوه عليه فأتى اليه فلم يجده فسأل عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجة فقال للولد بالله دلنى عليه فأخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى أوقفه على بيت الخلاء والصيرفى من داخله يقضى حاجته قال فهجم الفلاح على الصيرفى وفى يده الدراهم وقال له خد دى الفلوس وبين لى منها المتصرص من النحاس لانى راجل فلاح وعلى مال السلطان ودلونى على بيتك ده قال فاندهش الصيرفى وقام وهو قابض على سراويله يضرب الفلاح والناس يضحكون عليه وصار لهم هيجة وضجة عظيمة فانظر الى عدم ذوق الفلاح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره ۞ ومما اتفق أن قيم الشام فى عدم الذوق سافر الى مصر ليزور

قيمها في عدم الذوق و يقتصر عليه بعلمه به حكم ما تلعب أولاد الفن قال فسافر حتى وصل الى مصر
واجتمع بقيمها في عدم الذوق فسلم عليه فقال له قيم مصر ما تريد يا قيم الشام قال أريد أن العب
معك في عدم الذوق وكل من كان اعدم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس بذلك يكون قيم مصر
والشام فقال له حبا وكرامه في غداة غد ان شاء الله تعالى تجمع أحد ابناء عدمين الذوق ونلعب انا
وانت في عدم الذوق وتبين شطارتك قال فلما أصبح الصباح جمع قيم مصر طائفته في عدم الذوق
وحضر قيم الشام وقالوا له العب واجتهد في عدم الذوق قال فذهب قيم الشام واحتطب حزمة
حطب كلها شوك وسنط وحملها على أكتافه وشق بها بين الناس في الزحام فصار الشوك والسنط
يشتبك في ثياب الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبوه و يلعنوه الى أن تم ملعوبه وأتى الى قيم مصر
وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر بقي شيء عندك من عدم الذوق غير دا بفعله قال لا
فقال له دي ماهي شطاره لان الناس استعدموا ذوقك لكونك أذيتهم وشوشت عليهم وأنا أفعل
أعجب من ده وهو أني اخلي الناس يستعدموا ذوقي بالورد والنسرين والريحان وأشباهها فقال قيم
الشام هذا شيء له ريحه طيبه وزي ما تعمل فقال له بكره تشوف ما أعمل فلما أصبح الصباح قال قيم مصر
لقيم الشام تعال معي وانظر ما اخبرتك عنه البارحه قال فمضوا جميعا حتى أقبلوا على بياع الزهور
فأخذ قيم مصر منه شيأ يسيرا من الورد والنسرين والريحان ومشى هو وقيم الشام و لطائفته حتى
أقبلوا على ميضأة المسجد والناس في ازدحام وقت الصلاة في بيوت الاخلية فصار قيم مصر يدخل
على الرجل وهو جالس في بيت الخلاء و بيده الورد والنسرين والريحان و يقول له خذ يا سيدي ثم
الورد و غيره يبقى نهارك مبارك واعطيني ما تيسر فيتنابى منه الرجل ويسبه و يلعنه ويستعدم ذوقه
و يقول له ما اعدم ذوقك انظر أنا في حرا والا في نبازه وصار يدخل على هذا وعلى هذا والناس تسبه
وتلعنه بهذه الفعلة قال فعند ذلك أقر على نفسه قيم الشام أنه عدم الذوق تحت حكم قيم مصر
وتحت امره وأخذ خاطره وتوجه الى بلاده (ونظير ذلك) ما اتفق أن ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل
الشام والمسامرة معه واللعب والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم
عليه فأخذه الى منزله ووضع بين يديه المأكل والمشرب ثم انه سأله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم
مدة ثلاثة أيام حتى أكل جميع ما كان عند ثقيل الشام مما جمعه من الثقالة والرذالة و بعد الثلاثة
أيام قال له يا اخي اخبرك عما حصل لي في الطريق وهو أني سافرت مع القافلة فعدنا الماء في بعض
المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منا فرأيت في جانبه بئرا مهجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابي
ونزلت فيها ولم أزل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمة على ثقيل الشام وهو نازل في الأكل والشرب
مدة ثلاثين يوما فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقي عندي شيء لا كله وآخر زوادك يا أخي ما فعلت في
البئر فقال له فلما انتهيت الى قاع البئر وجدت فيه حجرا طاحونة فوضعته على كتفي ولم أزل طالع طالع

وصار يكررها فقال له ثقيل الشام أمسك مامعك أنت مكثت مدة ثلاثين يوما وأنت نازل فى البئر من غير شىء فكيف طلوعك وأنت حامل حجر طاحونة أشهد لك أنك قيم الثقلاء فى مصر والشام وأنا من تحت يدك انصرف عنى قال فأخذ خاطره وانصرف بعد أن كتب له محضر بذلك أنه قيم مصر والشام فى الثقالة والرذالة وعدم الذوق (واعلم) أن أهل الثقالة على أنواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات قال الشاعر

وثقيل قال صفنى * قلت ايش فيك أصف كل مافيك ثقيل * حل عنى وانصرف

وقال آخر

وثقيل تبسما * أصبح الكون مظلما حط فى الشرق رجله * مالت الارض والسما

فمن كان فيه هذه الثقالة وحوى هذه الرذالة ينبغى الرحلة عنه والفرار منه قال الشاعر

لأرحل عن بلادك ألف عام * مسيرة كل عام ألف ميل

ولو كانت بلادك ألف مصر * ويروى كل مصر ألف نيل

تكدرت الخواطر منك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيل

وأنشد فى فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل

اذا حل الثقيل بأرض قوم * فمالساكنين سوى الرحيل

(واشتكى) بعض الفلاحين رجلا الى القاضى وادعى عليه أنه نزل غيطه بغير اذنه وحش منه برسيم الدابته فأحضر القاضى الرجل المدعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا أنه ضربنى وشوش على فقال القاضى للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح أنا بيك ياقاضى لو روأنت اذا نزلت غيطى ياهل ترى أضربك أكسر قرنك ولا اخليك تطلع سالم والاترعى غيطى فقال القاضى اخرج قبح الله ذاتك ما أجهلك وما أقبح هذا المثل الذى تشبهنى به ثم انه طرده ولم يسمع له كلاما (ويقرب) من هذا المعنى أن رجلا فلاحا دخل على الامير جار بن بقر وأنشد يقول

يا ابن بقر ما انت الا ثور * والناس حدالك عجاجيل لما تميل بقرونك هاش * بولوا الكل جفافيل

ومعنى هذا الكلام أنت أيها الامير فى هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل أى مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولوا من هيبتك مثل ما أن الثور اذا التفت بقرونه وهاش فى العجول ولت من بين يديه فأنشد هذا الفلاح على حسب ما لاءم حاله وناسب جهله وهباله أقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو فى القاموس الازرق والناموس الابلق واستعمالها فى هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا

رأيت ام زغابه فى المعاز يل * تطحن وتعجن وتغزل بالمغازيل

وحولها شفت سربه من عجاجيل * وهم ينطوا وهى تلعب حناجيل

والعجاجيل جمع عجل كما أن الحناجيل جمع حنجول على وزن هبول وهو مشتق من التحنجل وهى لغة ريفية فانهم يقولون فلان بيتحنجل أى يجرى جريا خفيفا وينط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام انى رأيت محبوبتى هذه وهى ام زغابة فى معزل من المعازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه أيضا وحولها العجول يلعبوا وينطوا وهى الاخرى تتحنجل بينهم وتلاعبهم فمدح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصور عليه وشبه الشئ منجذب اليه ﴿وطلع رجل﴾ منهم المدينة لقضاء حاجة من استاذه فلما قضاها ورجع الى بلده لاقاه أصحابه وسلموا عليه فقالوا له كيف حال المدينة فقال لهم المدينة مليحه فقالوا له يا بوعوكل اشبرقت فيها فقال لهم اشبرقت شبرقه مليحه والزلابية اللى يقولوا عليها الحضر خدت منها بجديدين وسمعت واحد ينادى فى المدينة ويقول حلو بارديا تين فخدت منه عشرين جميزة باط بجديد وحطيتهم فى مترد وعشتهم بيدى وشربت عليهم جرة موية من البحر فقالوا له هيا لك يا بوعوكل لكن تنشبع وتبعزق ولا تخلى فلوس واحنا خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم ياوحوه الخير الدنيا زايلة يا ماضيعنا وصرفنا فضانى وجدايد (وقال رجل فلاح) لصديق له يا فلان عملت السنة كعك فى العيد فقال له عملت ربعين بالكيل الكبير فقال له حطيت فيهم ايدام كتير فقال له حطيت بجديدين فقال له أفترت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقى شئ عندك منهم قال بقى معى واحدة أنخس بها الحمارة من كفر دنديط الى كفر هريط (وأرسل) بعض الامراء غلاما له فلاحا بنصف فضة وقال له اشترى انا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فأخذ النصف فضه واشترى بار بعة جدد كعك وأربعة جدد زعتر من غبردق ووضع الجميع بين يدى الامير فلما رأوه الحاضرين ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده وتوجه الى بلاده (وأرسل) بعض الامراء أيضا غلاما له فلاحا وقال له خد دى الدراهم واشترى لنا دبه (يعنى بطة جلد يوضع فيها السمن أو العسل) فتوجه الغلام الى الرميله وسأل عن بياع الدبب فدلوه على القرداتى فأتاه ورآه يلعب بالقرد والدبه والكلب فصبر عليه حتى فرغ من لعبه فتقدم اليه وقال له مرادى نشترى للامير دبه مليحه فقال له القرداتى عندى واحده مليحه روح بنا نفرج عليها الامير قال فمضى الغلام هو والقرداتى ومعهما القرد والكلب والدبه حتى دخلوا بيت الامير الذى ارسل هذا الغلام وكان فى ذلك الوقت الامير حاضرا هنالك وعنده جماعة من الاكابر جالسون فلما رآهم القرداتى قام يده فى الطار وسحب القرد والدبه والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتى ان خدامك ده جانى وأخبرنى أن مرادك تشترى دبه فجيتك بها وبالقرد والكلب تنضر لعبهم وتشترى ماتريد قال فضحكوا الامارة فأمر الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فأطلقه وطرده من عنده فتوجه الى بلاده وأحسن الامير للقرداتى وأمره بالانصراف فانصرف (ورأيت) رجلا فلاحا يتكلم مع صديق له ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا

قال له ابوه فقال له ايش هجاء بربق فقال له به ره به قاف واو فقال له ايش عرفك ان فيها واو فقال دلتني عليها النقطه اللي فوق الواو فقال له ان عشت تبقى فصيح لاخوالك (وقال رجل فلاح لآخر) اسمع ما قالوا العشاق فقال له ما قالوا يا ابو عموم فقال شعر مقعص لا له أول ولا آخر

لقد اقول جنيشن خلوت به أنت * منزلنا يا طالعة القمر وشن

فقال له دا كلام مون فقال له دا كلام هارين الرشاد اللي وقع في الجب لقفه التمساح نزل عليه الوحل في جامع الطيلون اللي النار بردو سلام فقال له يا نعم يا نعم كذلك عيسى بن أبو طالوب جرى له زي ما جرى (وصلى رجل فلاح) فلما نوى وقرأ الفاتحة حط يده على راسه وقال آه يا راسي فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له أنا ما باشكي الا أنا باشكي لربي وجع راسي ثم انه ركع وصلى وأتم صلاته ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف (وصلى رجل) آخر من الفلاحين فأحرم بالصلاة وقال يا رب خلي لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا وطلع لنا زرعنا وخلي لي ولدي عنطوز فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح أنا سمعت هذا الكلام من ابويه وجدي قبل موتهم (وصلى آخر) فلما ركع بان ايره لقصر ثوبه وانكشفت عورته فقبض عليه رجل آخر من خلفه فصرخ الفلاح بقوله اطلقني فضحك وأطلقه ثم انه أتم صلاته على هذه الحالة ولم يعرف الصحة من الفساد (وصلى آخر) فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا ابويا البقره روحت من الغيط فقال وهو متلبس بالصلاة روح وخد شعير يحلبها في المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلاة (وصلى رجل آخر) فلما جلس للتشهد جاء ولده وركب على أكتافه وصكه على قفاه وأمسك لحيته بيده وفيها الوحل والحلة فقال له يا ولدي انزل عني حتى أتم صلاتي ثم انه تشهد وأتم صلاته فقال له رجل عارف صلاتك باطلة فقال له الفلاح سمعت ابويه وجدي يقول حديث عن أم عازبه جدتنا القديمه من لا يسقع دقنه ما يربي ابنه وأولاده الصغار مثل أولاد المعزه وأبوهم كيف التيس ينطوا عليه فقال له الرجل قبح الله الابعد وجدته وأمثاله ثم تركه ومضى (وصلى رجل منهم) فلما كبر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر معيكه المجنون جيتك يا رب بلحيتي وجلتي وقفاي ومركوبي لا تردني يا رب خايب لا من رحمتك ولا من رجالك الله وكبر وركع وصلى وأتم الصلاة الفشروية (وصلى آخر) فلما قرأ الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم أبدل النون ميما وقال اهدموا الصراط المستقيم فقال له رجل عارف بطل وخلي الصراط بلا هدم قاتل الله الابعد (وصلى) فقيه ريف بجماعة فلما قرأ الفاتحة وأتى الى آخرها قال ولا الضالون فقال رجل من خلفه آمون فالتفت اليه الامام وقال له كفرت فقال له بل أنت كفرت (وحكي) أن رجلا من جهلة العرب صلى بآخر مثله فقال الامام هذا اللفظ شتير كيف بتير بما عدرا كبين فيل جتهم طير ابابيل خلتهم مثل الفطير ثم ركع وركع الآخر وأتماها لاتهما التي لا فيش ولا عليش (وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغته

عقرب فضرط من شدة اللدغة ثم رفع رأسه بسرعة وقال يارب أنت تعلم انى ماضرطت بخاطرى الا غصب عنى سامحنى يارب ثم انه تشهد وسلم (وصلى آخر) فلما سجد رأى تحت جبهته انخفاضا فأخذ قرص جلة ووضعه تحت جبهته وأتم صلاته عليه (وصلت امرأة من نساء الارياف) فلما تلبست بالصلاة جاء كلب وأخذ من جانبها رغيفا فأمسكته وقبضت على أذنه وشتمته ونهرته وخلصت الرغيف من فمه وأتمت صلاتها (وكان بعض الاولاد) يقرأ فى الكتاب فجاءت أمه واشتكته للمؤدب وقالت له ياسيدنا الولد ده يئذينى ويشوش على وأنا أصلى واذا ركعت شلح ثيابه وشخ على فقال له المؤدب أحق ماتقول امك قال نعم ياسيدنا فقال له ما السبب فى أنك تؤذيها وهى فى الصلاة فقال له ياسيدنا الان عبادتها باطلة لافش ولا عليش لكن اسألها أنت ماتقول وما تقرأ فى صلاتها فقال لها المؤدب أنت تحسنى الصلاة فقالت كيف لا احسنها وانا اعرفها من امى وجدتى وجدة جدتى فقال لها اقرئى الفاتحة فقالت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اذا جاك الحج نصر الدين افتح له الباب يدخل ولو كان طواب فقال لها المؤدب قاتلك الله ماهذا قرآن ماعدا البسملة والحمدلة فقال الولد اسألها ياسيدنا ماتقول بعد الصلاة فسألها فقالت أقول زى ما كانت تقول امى وجدتى سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله قال فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرت يا ملعونة ثم انه التفت الى الولد وقال له أمرتك أن تخرا عليها فصلا عن الشخاخ ثم انه زجرها وطردها وخرجت من عنده (وصلى رجل فلاح) فلما كبر وأراد أن يقرأ دعاء الافتتاح قال لقعت وجهى للى شرح السموات والارض لابى لاحنيفا ولا مسلما ولا من القوم الكافرين فقال له رجل عارف فى أى ملة أنت قاتل الله الابعد فقال أنا من بنى عقبة فضحك عليه ثم تركه ومضى (وأما أحوالهم) فمشهورة وأضرابهم كثيرة وأمورهم لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم) وما يقع منهم من الجهل المركب وقلة العقل والخبط فى الدين ونحو ذلك فنقول (سئل) فقيه ريفى عن تفسير قوله تعالى يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى مامعنى أقلعى فقال هذا الجاهل اى سيرى مثل المراكب المقلعة (وتولى) بعض فقهاء الريف عقد نكاح فقال للولى قل أنكحتك بنتى خطيطه البيضة اللون الشقرة الشعر اللى عينها اليمين حولا وعينها الشمال بلا حول بشرط أن تكون فى طاعتك وتصبى لدارك وتزق لك الجلة وتفرش لك فراشها وتسرج لك فتيلتها على عينك ثم قال للخاطب قول قبلت نكاحها ونكاحها وفراشها وفرشتها (وقال شيخنا العلامة) الشيخ شهاب الدين القليوبى نفعنا الله به زرنا سنة من السنين سيدنا أحمد البدوى عمت بركاته ونفعنا الله به فى الدنيا والاخرة فلما رجعنا من الزيارة أدركنا المبيت فى قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه مثل زريبة البقر فيه آثار الجلة والوحل وهو مفروش بيسير من الحشيش وجانب منه خال فيه بعض مجول بقرموطة فجلسنا تحت المسقوف منه بعيدا عن المجول نتذاكر فى العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومعهم رجل

طويل القامة غليظ الساقين محزم على بشت من الصوف من غير قميص حافى الرجلين من غير مركوب وعلى رأسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة فقال لنا ما تكونوا فقلنا فقراء من الجامع الازهر فقال لنا تقروا القرآن قلنا نعم فقال أسألكم على سؤال قدام مشايخ بلدى ان قلتوا الى عليه ورديتم جوابى عشيتكم و بيتكم وان لم تردوا على الجواب طردتكم من البلد فانى فقيه البلد وامامها وخطيبها وما عمر حد غلبنى ولا عرف سؤالى قال فضحكنا عليه وقلنا له اسأل عما بدالك فقال يا فقهاء الازهر الصلاه لها كام عنصر وفين عنصرها الاولانى وعنصرها الاخرانى قال الشيخ عفا الله عنه فقال له رجل من أتباعنا الصلاة لها تلتماية وستين عنصر الاولانى من عناصرها رجليك والتانى ايديك والتالت طيزك والاخرانى دقنك قال فسكت واحتار فى أمره فقالوا له أهل بلده غلبوك مشايخ الازهر يا بو حنجول فقال لهم طول عمرى أسأل الفقها وغيرهم السؤال ده ما شفت حد جاوبنى عنه الادوله وأنا أقول لكم يا مشايخ البلد الحق انهم غلبونى قال الشيخ سامحه الله ثم انه توجه الى منزله وأحضر لنا ستردين لبن دشيش وخبز ذره فأكلناه وغنا فى مكاننا الى أن أصبح الصباح فحضر عندنا ورحب بنا وأخذنا خاطره وتوجهنا والحال أننا لم نعرف السؤال ولا الجواب وما عرفنا هذا الكلام غير أن تابعنا الشدة حذقه أجابه من معنى سؤاله وأعطاه كلام قصاد كلام (وسأل بعض الفلاحين أخانا فى الله تعالى الشيخ عبد العزيز الدخيهى رحمه الله تعالى فين هى قبلة طيزك فقال له دقنك فخجل الفلاح وضحك عليه الحاضرون (قلت) ونظير ذلك ما حكاه شيخنا أن مما اتفق فى بعض السنين أنه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة واجتمع بوزيرها وأخبره أنه من علماء العجم ولا أحد يقاومه فى العلم ودخل على عقل الوزير بالكلام وغيره حتى مال اليه وصار عنده فى منزلة عظيمة فقال له الوزير هل فيك قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم أسألهم بحضرتك سؤالا فان أجابونى فانا من تحت أمرهم والا يكون لى الفخار عليهم قال فأرسل الوزير الى علماء الازهر فلما حضروا بين يديه وغص المجلس بأهله عرض عليهم الامر فقالوا يسأل العجمى عما بداله فقام العجمى بين أيديهم وسألهم بالاشارة من غير كلام يتلفظ به فقالوا له يا وزير الاشارة لا تكون الا للاخرس ولا نعرف مقصوده فقال لهم لا بد أن تجيبوه عن سؤاله وألزمهم بتلك المسألة لميله للعجمى ومحبته له فقالوا له أمهلنا ثلاثة ايام حتى ننظر بقية مشايخنا فأمهلهم الوزير فتوجهوا من عنده فقالوا لبعضهم كيف الرأى فى دفع هذا العجمى ورده الى بلده مقهورا فقال رجل منهم الرأى عندى أننا نظر لنا رجلا من أجلاف الريف وخوفهم لا يعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا ونلبسه لبس العلماء ونمشيه قدامنا ونمشى خلفه ونطلع به الى الوزير ونقول له هذا شيخنا وهو الذى يجيب العجمى ونعامله بما يناسب مقامه ونسلط الكلب على الخنزير قال فذهب هو وجماعة منهم ليفتشوا على من بهذه الصفة فرأوا رجلا من أجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ

السافين كبير اللحية على رأسه لبد طويل وعليه جبة من الصوف لركبته وهو جالس فى حانوت يأكل بيض مسلوق فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة واحدة فلما رآهم ظن أنهم يريدون أخذ البيضة منه فأخذها ووضعها فى لحنه من داخله وأراد الهروب منهم فقبضوا عليه فقال لهم أنا فى جيرتكم ياشعرا فقالوا والله لاتخف يافلاح ولاتخش من شئ فقال لهم أنا خايف تحدونى لاستادى يقطع راسى وأنا عمرى ماضيعت ولا طلعت مسرغير السنادى وانا كنت جيعان ووجبت معايه أربع بيضات شويتهم آكلت تلاته وفضلت معايه واحده خفتت منكم وشلتها فى لحنى وأنا على مكسور من مال السلطان قرشين فقالوا والله احنا مراد نانعمل معك خير وان طاوعتنا أعطيناك القرشين اللى عليك وغديناك وبسطناك فقال لهم انا الاخر كل ما امرتونى به فعلته من أمر حفر بير أو هدم حيط أو شيل طين أو جله عملتها لكم فى ساعه أو ان كنتم رايحين فى عركه خلى عنكم وهاتوا الى بوت اضرب لكم القوم ولو كانوا ألف راجل أطحنهم فقالوا امامراد نا الا انعملك شيخنا ونطلع بك على واحد عجمى يسألك تجيبه عن سؤاله وتغلبه ولكن لاتتكلم أبدا الا بالاشارة حكم مايكلمك بالاشاره فقال لهم خدونى للعرص ده وان طلبتم اضربه خ طه بلكاميه قتلته ولو كان عند السلطان والوزير وأنا ياما قتلت وياما سرقت وانا على مال السلطان وعلى انى أرد العجمى ده مغلوب (قال) فأخذوه وألبسوه لبس الفقهاء وعمموه على لحنه عمامة مدورة وحط البيضة من داخل عبه فقالوا له خليها هنا لما ترجع فقال لهم وحيا تكم لم أخليها الانها بيضة فرختى واول بيضها ولما أجوع آكلها فقالوا له خليها معك ومضوا الى حالهم حتى أقبلوا على الوزير فلما رآهم الوزير قام اليهم وأعظم منزلتهم فقالوا له هذا شيخنا الذى يجيب العجمى فى سؤاله قال فجلس العجمى متأدبا جلوس طلبة العلم وجلس الفلاح ومد رجله لم يعتبر من حضر كأنه قاعد فى زريبة بقر فلما رآه العجمى على هذه الحالة استعظمه وقال فى نفسه لولا أنه من العلماء الاجلاء ماحتقر المجلس ثم ان العجمى أشار اليه بالسؤال يريد منه الجواب وأقام اصبعا من اصابعه الى نحو الفلاح فاقام الفلاح له اصبعين اثنين فرفع العجمى يده الى السماء فوضع الفلاح يده على الارض فأخرج العجمى من عبه علبة وفتحها وأخرج منها فروجا صغيرا ورماه الى الفلاح فأخرج الفلاح البيضة من عبه وأراها الى العجمى فعند ذلك هز العجمى رأسه وتعجب منه وقال للوزير ولبقية العلماء قد أجابنى عن سؤالى الذى أشرت به اليه وأشهدكم أنى سرت من بلادنا ومن أتباعه قال ثم ان الوزير أكرم الفلاح والعلماء كراما زائدا وانصرفوا منصورين مؤيدين ثم انهم قالوا للفلاح بعد ما نزلوا الى منزلهم نحن ماعرفنا حقيقة السؤال والجواب فأخبرنا عنه فقال لهم الفلاح ياخساره عليكم أنتم فقهاء ولكن ماتعرفوا تردوا للناس جوابهم أنا لما قعدت قصاد وجهه رأيت عينيه احمرت وزاد به الغضب وشاور لى بصباعه كأنه يقول لى احمى انفسك والا خرقت عينك بصباعى ده فأشرت له أنا الاخر قل

له ان لم تصح لنفسك والا خرقت عينيك بصباعيني دول ورفعتهم له فرفع ايده الى السما كانه يقول لى ان لم اطيعه والا صلبني في السقف فخطيت ايدى أنا الا آخر على الارض أقول له ان ردت تنعل معي ما تقول خبطتك في الارض خبطه طاعت عفاريتك فلما رآني غالبه وظافر عليه أخرج لى فروج دجاج صغير يوريني انه يأكل كل يوم فراخ وانه متنعم في المأكل والمشرب فاخرجت له من عبي أنا الآخر البيضة المصلوقة اوريه أني متنعم في أكل البيض المصلوق كل يوم فغلبته ورديت سؤاله قال فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى العجمي وسألوه عن الجواب فقال لهم طول عمري أسأل العلماء بهذا السؤال وأناظرهم فما عرف أحد جوابي الا شيخكم هذا فقالوا له أخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم أقمت له أولا اصبعي اشير اليه بقولي ان الله واحد أحد فأشار الي باصبعين يشير الي انه ليس له ثان فرفعت له يدي أشير اليه أنه رفع السماء بغير عمد فخفض يده الى الارض يقول لى وبسط الارض على ماء جمد فأخرجت اليه علبة وفيها فروج صغير اشير اليه أن الله يخرج الحي من الميت فأخرج الي البيضة يقول لى ويخرج الميت من الحي فأجابني جوابا شافيا فما رأيت أعلم منه فعرفوا أن العجمي كان في مقصد والفلاح في مقصد آخر على حد قول القائل

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة (كما اتفق) أن رجلا أمسك لحيته فضرط حماره فقال صادفت النكتة (وخطب فقيه) من فقهاء الريف فقال أيها الناس الى كم تلتهوا في الحصيدة وفي الزرع والقلع وغدا تجيكم الاموم ويحضر لكم القوم فاستعدوا لقتالهم بالمزاريق فالكم عند الله عذر ولا تعويق واعلموا يا أهل بلدنا اللي وراه عدو ماوراه هدو قواكم الله يا قوم قدامكم جيش حرام فأنتم تحترسوا الا يجيكم العدو من جنب النقره فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصره وقولوا يا حنان يا منان انصر شيخ بلدنا عمران قولوا آمين فقالوا آمين ثم نزل وصلى بهم صلاة معزاويه لا فرض ولا سنه (وخطب آخر) فلما صعد المنبر قال اعلموا يا أهل بلدنا ان عندكم قمح كثير وتبن وشعير وأنتم في خير من رب العالمين فانتم تفيقوا الزرع الوسيه والاصحكم الكاشف بداهيه وبليه فغدا تسرحوا للعونة والسخرة وفيقوا للغنم والبقر والحتوا ا بياركم وفيقوا الدور كم وجدار كم واكرموا الخطار بالعدس والبيسار تنجوا من عذاب النار على ايش يا حبايب تهجرونا بلا سبب الله الله قولوا لا اله الا الله من وحد الله ما خيبه الله آمين والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم (وخطب آخر) فلما شرع في الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط في حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا للخطيب وعدوا انه كلب ينبح (وتوجه فقيه) هو وجماعة على أنه يسرقوا ياهم فول اخضر من الغيط فذهبوا معه ليلا حتى اتوا الى غيط رجل من القرية وأخذ كل واحد منهم غمرا كبيرا من الفول وأخذ هو غمرين ثم دخل الجامع يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة وقال أيها الناس

قال رجل من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل مالك وما للناس لما كنا وإياك في السرقة خذ كل واحد منا غمر واحد وأنت خذت غمرين فقام اليه الفلاحون وركبوه من على المنبر وطردوه من البلد لما ثبتت سرقته (وسأل فقيه ريف بعض العلماء) وقال له مرادي أقرأ الآجرومية على مذهب الامام الشافعي فضحك عليه من جهله وطرده (ودخل على العلامة الحميدي رحمه الله تعالى) رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان الشيخ الحميدي شيخ الصحافين بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى أنظره لك فجلس عنده وإذا برجل أقبل على الشيخ وقال له عندك ياسيدي مختصر مسلم فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لا كلام وطرده من عنده قال فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن فقال لهم أنا فقيه الريف أقرئ الاولاد في بلدي القرآن وقد ثقل عليهم لطوله فقلت لعل أحدا اختصره فيكون أسهل على الاولاد ويحفظوه بالسرعة فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله (وسعى رجل) من الاكابر عند قاضي القضاة بمصر المحروسة أن يأخذ لرجل فقيه نيابة في بعض الاحكام ومدحه عنده فقال ائتني به فلما حضر بين يديه قال له القاضي هل تحفظ القرآن قال نعم أيد الله مولانا القاضي وعندي مصحف مليح بخط المؤلف فتحقق القاضي جهله وضحك عليه وطرده (ودخل بعض فقهاء الريف الجهال) على أبي حنيفة رضي الله عنه ورجل الامام ممدودة لوجع أصابها فلما رآه الامام في هيئة حسنة وثياب فاخرة لم رجله وكان الامام يقرر في مسئلة صلاة الصبح ما حكمها اذا طلعت الشمس ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال الامام آن لأبي حنيفة أن يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه (واتفق) أن اثنين اختصما في آية من كلام الله تعالى فقال أحدهما لعلهم يتفكرون وقال الآخر لعلهم يشكرون فبينما هم في المشاجرة اذ طلع عليهم فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم أنه يحفظ القرآن هل هي يتفكرون أو يشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى أننا نأخذ من كل كلمة جانبا ونجعلها لعلهم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكم فقالا له قاتلك الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل رجل) من علماء المسلمين قرية من قرى الريف فرأى رجلا يدرس في مسجدها ويخبط خبط عشواء وسمعه يروي حديثا باطلا فقال له رأيت هذا الحديث في أي كتاب فقال له في كتاب عندي يسمى الدلهمة والبطال فقال أضعفت حين أسندت ثم قام عليه وأبطله التدريس ومضى الى سبيله (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت في نفسي أسأل عن فقيه البلد وأنام عنده قال فسألت عنه فقالوا لي انظره على الكوم العالي في وسط البلد مات له حمار وهو يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده ويبيعه فتوجهت اليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب ويمنعهم عن حماره الميت حكم ما ذكر لي أهل بلده وهو في حالة رذلة وثياب دنسة حافي القدم

تعيس الناسية فسلمت عليه فرد على السلام بتكلف وهو مشغول بما هو فيه وهو يقول اخص بجر روح يا مشوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو في كرب كأنه يغازي القوم قال فجلست ساعة أنظر في حاله واذا برجل أقبل عليه من أهالي قريته وقال له ياسيدنا أنا قلت لامرأتي انت طالق بالثلاثة وسألت فما حد رد عالي وقالوا لي ما عادت تحل لك حتى ينكحها زوج غيرك وأنا خاطري تردها لي وتخلصني من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال فالتفت اليه وقال له ان كان مرادك اخلصك من اليمين ما آخذ الا كيلتين شعير فقال له اعطيك ما تطلب فقال له خذ مراتك وقت السحر وروح بها بركة الماء اللي في المحل الفلاني وخليها تشلح ثيابها وتخوض في الماء حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تضم رجليها حتى يدخل الماء فرجها فان الماء ملك والملك ذكر فصدق عليه أنه نكحها قال الله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت ما قاله لهذا الرجل أخذتني الغيرة في دين الله تعالى وقمت عليه بالسب واللعن وقلت له قاتلك الله وعلمك وقريتك ونهيت السائل عن هذه الفعلة وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاث ولا يجوز لك أن تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت اني لا أبيت في هذه القرية لاجل هذا اللئيم ثم مضيت الى بلد أخرى ونمت بمسجدها الى أن طلع النهار وتوجهت الى سبيلي (وقال بعض فقهاء الريف) لتلامذته قد ظهر لي في القرآن بحث وهو قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك انه وجه ضعيف لانه محكي بقيل (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف بساحل البحر بنواحي الجبل فرأى محلا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد به الجوع فجلس يقرأ سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية ليسمعوا قراءته الى أن وصل الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم فقالوا له يا شيخ نجست القرآن كلام الله ما فيه كلاب وأنت تجعل فيه كلاب اخرج من بلدنا والا قتلناك قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل الى فقي بلدنا الحاج مخالف الله ونسأله فان قال لنا القرآن فيه كلاب تركناه والا قتلناه قال فأرسلوا خلف هذا الرجل فحضر شخص كأنه سارية الجبل من طوله أو عمود من عواميد الصواري من غلظه وثقل ذاته ورؤيته تقشعر منها الجلود وهو ملتفح بحرام ابيض دنس لا غسر فلما حضر وجلس أخبروه بالقضية فنظر يمينا وشمالا وقال اصبروا حتى ابين لكم واكشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا على الحرام فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه قام بسرعة عريان مكشوف الراس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو السماء وهو في وجد وكرب ثم دعا بحرامه فالتف فيه وجلس وقال لهم طلعت العشر سماوات اللي خلقها الله تعالى فرأيت أول سما فيها بقر وثاني سما فيها جاموس وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها ثيران وخامس سما فيها كذا وسادس سما فيها كذا وصار يعدد أصناف من الحيوانات الى أن قال وشفت السما العاشرة مليانة غنم وأنتم يا مشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم تعوز الكلاب ولا تفارقها وراعي

الغنم

الغنم لابد له من كلب يحرس غنمه خلوا الراجل يروح ولا تقتلوه وأعطوه رغيفين دره قال فأخذ الرغيفين ومضى وهو يحمد الله تعالى الذى خلصه من هؤلاء الجهلة (وكان بعض فقهاء الريف) يدرس فى قريه من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة أجاب عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف فى الجواب لشدة جراءته فى الكلام من غير معرفة الى أن حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ورأوا سرعة جوابه فى المسائل واتيانه بكلام ليس هو فى كتب الفقه الا أن فيه رائحة المناسبة فقالوا أمر هذا المدرس عجيب فقال رجل منهم أنا أخبره لكم وأبين لكم صدقه من كذبه كل شخص منكم يأخذ له حرفا من حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها فقالوا هذا الرأى صواب فأخذوا الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم جلسوا حوله وقت الدرس فلما فرغ من الدرس قالوا له يامولانا رأينا فى بعض الكتب خذ الخنفشار وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع فى أرض الصين يعقد به اللبن قال الشاعر

لقد عقدت محبتكم بقلبى * كما عقد الحليب الخنفشار

وقال صلى الله عليه وسلم وأراد أن يذكر حديثا باطلا فقالوا له أمسك ما معك قبحك الله أما كلامك فى حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك فى الكذب عليهم وأما الكذب فى الحديث فلا نسلم لك فيه ثم انهم قاموا عليه وأبطلوه الدرس (قلت) ولهذا ذكروا أن العلم أمانة وأن الشخص لا يجوز له أن يتكلم الا عن خبر واطلاع وشدة احتياط باصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء العوام (فقد سأل بعضهم) رجلا من أهل العلم عن وصف كلب أهل الكهف فقال لا أعرف وأتى والده وكان من العلماء فقال له انى سئلت اليوم عن وصف كلب أهل الكهف فقلت انا لا أعرفه ولم يبلغنى فى وصفه شئ ثابت فقال له أبوه لاى شئ توقفت فى الجواب كنت تقول لهم صفته كذا وكذا ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظا شديدا وأصبح ينادى عليه فى الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدى فانه رجل كذاب مدلس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة (وأوصى لقمان ابنه) فقال له يابنى اذا سألك الناس فقل لهم لا أدرى فانك اذا قلت لهم لا أدرى لا يسألونك حتى تدرى وان قلت أدرى سألوك حتى لا تدرى (وقرأ بعض) جهلة فقهاء الريف واذا بطشتم بطشتم خبازين يريد بطشتم بطشتم جبارين (وقرأ آخر منهم) وثمه ميزاب السمرات فقيل له ما معنى ميزاب قال الذى ينزل منه المطر (وادعى فقيه) حفظ القرآن فقيل له الحمد لله لا شريك له من لم يقلها النفسه ظلما فى أى سورة فأطرق ساعة ثم قال فى سورة الدخان (واشتكى) رجل ولده للقاضى وقال له أصلح الله مولانا القاضى هذا ولدى يشرب الخمر ولا يصلى فقال له القاضى ما تقول قال فانه يقول غير صحيح فانى أصلى ولا أشرب الخمر فقال له أبوه انه يزعم أنه يقرأ القرآن وأنه فقيه البلد فقل له يقرأ شيأ منه قال له القاضى اقرأ يا غلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب الزنابا * بعدما شابت وشابا   ان دين الله حق * لا نغيره ارتيابا

فقال أبوه هذه سورة كنت حفظتها من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضي وانا الآخر كنت احفظ فيه آية آخرى وهي   ارحمي صبا كئيبا * قد رأى البعد عذابا

ثم قال القاضي للرجل خذ ابنك فانه ماهر في القرآن فانظر أيها المتأمل الى جهل الغلام وأبيه وتعجب من جهل القاضي الذي لم يفرق بين الشعر والقرآن (وكان بعض العلماء) كلما سئل عن مسئلة يقول من جهله فيها قولان فقال له رجل أفي الله شك فقال فيه قولان فكفر بحسب عبارته وبعضهم أجاب عنه بأن فيها قولين من جهة النحو (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف وكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلي فرأى أهل القرية جميعا داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من خوص وفيها مغرفة وخشبة وسكين من حديد وفأر ميت معلق في عنقه فتعجب من فعلهم وقال لا بد أني أسأل فقيه البلد عن ذلك الامر فبينما هو متعجب من فعلهم واذا بالفقيه داخل الى المسجد للخطابة وهو أيضا مثلهم حامل قفة فيها مغرفة وخشبة وسكين ومعلق في رقبته فارا ميتا ورآهم كلهم يصلون بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب وسأله عن هذا الامر ومن أمر أهل القرية بهذه الفعلة فقال له أنا أمرتهم بذلك فقال له هذا الامر باطل والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك فقال حديث رأيته في كتاب عندي واسمه كتاب التيه وانظمه حدثني يحيى بن يحيى عن شعبان النوري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بقفة ومغرفة وخشبة وسكينة وفار فطلب منه الكتاب فرآه كتاب التنبيه تصحفت عليه بالتيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بعفة تصحف بقفة وسكينة تصحفت بسكينة وخشية تصحفت بخشبة ومعرفة تصحفت بمغرفة ووقار تصحفت بفار وأما سند الحديث فهو حدثني يحيى بن يحيى عن سفيان الثوري فتصحفت مثل مامر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى أهل القرية وأبطلهم هذا الامر وسعى في خروج هذا الفقيه الجاهل من القرية لعدم معرفته وجهله وقلة عقله فأخرجوه من البلد بيد أمير البلد وطردوه (ودخل بعضهم) قرية من قرى الشام فسمع المؤذن يؤذن ولم ينطق بالشهادتين بل يقول وأنتم يا أهل هذا البلد تشهدون أن محمدا رسول الله قال فتعجب من ذلك ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شيء يباع فيه فاذا هو خمر قد صبوه في اناء ويناول رجل منهم للناس ويقول هاتوا الثمن ويقبضه منهم فقال هذه أعجب ثم مضى الى المحراب ليسأل الامام فوجده قد أقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى مرفوعة وأقيمت الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته سأله عن القضية وعن رفع رجله في الصلاة وسبب الاذان والخمر فقال له اعلم ياسيدي أن المؤذن الذي سمعته لا ينطق بالشهادتين نصراني احتجنا اليه لمرض أصاب المؤذن ورأيناه صيتا فأقمناه مقامه فهو لا يقدر ينطق بالشهادتين وأما الخمر الذي رأيته يباع في المسجد فان المسجد له كرم عنب موقوف عليه

واذا بعناه من غير عصير لا يقوم ثمنه بالمستحقين وأرباب الوظائف وأما رفع رجلي التي رأيتها فقد أصابتها نجاسة وأنا داخل المسجد وأدركتني الصلاة فقلت أرفعها وأصلي على رجل واحدة لاجل صحة الصلاة لانى خشيت من المشى عليها فيحصل التلويث للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل وأتى القاضى فدخل عليه ليسأله عن هذا الامر فوجد غلاما يلوط فيه فتحير فى أمره وقال له ماهذا يا مولانا القاضى قضيتك أغرب مما رأيت وأعجب فقال له لا تعجب ان هذا الغلام يدعى أهله أنه بلغ الحلم وجماعة يقولون انه قاصر فأخذته لاختبره وقلت ان فعل وأنزل فانه يكون قد بلغ الحلم والا فهو قاصر فرأيته قد أنزل المنى وتحققت بحلمه وبلوغه وهذا من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله أنتم وقريتكم جميعا وحلف أن لا يعود اليها بقية عمره (ونولى) بعض فقهاء الريف الجهال القضاء فأرسل الى من ولاه هديه وأرسل معها مكتوبا مضمونه بعد السلام على مولانا الافندى ان الواصل لكم هدية خروفين وسرموجتين الافندى خروف وسرموجة والنايب خروف وسرموجة قال فلما وصل القاضى مكتوبه أمر بعزله وتحقيره واخراجه من القرية (ونظيره) مكتوب فشنى الذى ذكره سيدى على بن سودون فى ديوانه الذى ارسله لاهله من الصعيد قال فى عنوانه يصل ان شاء الله تعالى الى دربنا المحروس الذى خشبته سنط واقية ويسلم ليد أهل بيت فشنى وفى داخل المكتوب السلام عليكم بعدد ما فى النخيل من الاوراق سلام لا يسعه طبق ولا طبقين ولا اطباق أطول من مقود زرافة ولو كان طاق أو طاقين أو طاقات من كل بدو سبب وفى هذا المعنى أقول لكم كمان شعر

ان كان ابى مامات وامى تعيش * فبلغهم ياربي عنى السلامات
وروح قل لهم انى مع الناس فى البلد * وياما جرى لى بعدكم من نكبات
وانكم لفى غفله كبيره عن ابنكم * وانا ان مت قولوا الاحله فشنى مات

والذى نعلمكم به ان كنتم للسع طيبين بالحياه انى ارسلت لكم صحبة القاصد على جوز وز فقس الصيف من ديك الوزه وأيضا خروف ابلق وخروف بلا بلاق وسبحان الله تبقوا تكلموا جزاف ارسلتم تطلبوا حبل تنشروا عليه الغسيل وقلتم لنا على طوله ولا قلتم لنا على عرضه وأرسلتم تطلبوا كشك وأنا ان ارسلته لكم من غير طبيخ فضيحه وان طبخته ما يوصل لكم حتى يبرد وطلبتم تيده وما قلتم لى بعسل أو بلاشى وطلبتم قليلات والفلاحين ما زرعوا الاقرع طويل فيكون ذلك فى خاطركم من حقه وبلغنى ان امراتى حبله من بعدى فلا تخلوها تولد حتى أجى وان ولدت قبل ذلك لا يكون الا صبى وسموه دار الخطيب فانى دخلت دار الخطيب ورأيت فيها من الطعام شى كثير أعجبنى وجرت لى فيه حكاية ولكن ما تقولوها لحد أبدا بقى فضيحه وذلك انى أكلت يوم بطيخ ونمت حشا كم العيب فى بيت الفلاحين فشخيت فى ثيابى وانا معذور بزيادة فان البطيخ يكثر الشخاخ فغسلت قميصى ونشرته فى

السطوح فقام بالامر المقدور ضربه الهوا فوقع من فوق لتحت وارتجفت بسلامتي رجفة خلتني ضعفت ضعفة لوضعفها غيري كان مات وعرفت انها ماهي بشارة خير وانها تدل على موت امي وأبويه والحمد لله اللي كانوا فداية واني صليت وصمت لله تعالى اللي ما كنت في قيمصي ولو كنت فيه كنت انكسرت فتلت حوالينا ولا علينا ولكن من الرجفه وبجعتني عيني التي تبقى ناحية المشد وقت ما اخرج من دارنا والذي نعلم به الوالد زوج الوالده اني دخلت يوم البستان أنا والخولي فرأيت فيه نخل شي طويل وشي قصير وشي ما يشبه شي فقلت له دي ايه قال لي توت ودي ايه قال نخله ورأيت يا ابويه نخله كل ورقه قدر الصنة اللي تخذت امي فيها فقلت ودي ايه فقال لي موز فعجبني قوي وقلت له الموز يطلع في البستان فقال لي ايوه فقلت له والجبن المقلي يطلع فين قال يطلع في طاجن الجبان وأنا كل يوم اجي واطل من الطاقه وعمري ما شفت في طاجن الجبان جبن مقلي فوعدت الخولي وراهنته من امرأتي الحبله لامراته اللي بلاحبل بأنه يعمل امراتي يوم وانا اعمل امراته يوم فلا تخلاه يغلبني ويا خذامراتي وابقى يتيم وكأني وودن الشيطان مسدوده اصبحت اكتب لي محضر وآخذ خاطر الجيران ما رأوا انخله تجبن مقلي في طاجن الجبان والذي نعرفكم به اني لما طلعت البلد واقيت الصابون غالي فبعت الحماره البيضه واشتريت لي حماره سوده على شان ما تتوسخش وكان كلام كثير فاني لو كتبت لكم اللي في خاطري لكان كلام يجي من خد عندكم لحد عندي وبعد السلام على أهل الحاره كل واحد باسمه كثير كثير بتاريخ عن صبيحة يوم الجمعه الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشورا السابع والتلاتين من جماد الاوسط سنة ما اعرف شي اللي تقولوا عليه بالاماره مطرت المطره وأهل البلد يعرفوا ذلك (ونظير هذا المكتوب كثير لا يحصى) فقد أرسل بعض فقهاء الريف مكتوبا سنة سبع واربعين وألف يقول فيه السلام من الفقي أبو علي اللي اسمه محمد على حضرة صاحبنا اللي يطالع في القرآن زي ما يطلع الزرع في الغيطان ويتكلم بالفهامه ويا ماله علينا شهامه اللي يبيع الكتب المنظومه من الكلام زي قصة الجارية والتوددوا لورد في الاكمام حاوي الكتابة في السطور ومن يعرف كتاب الفخ والعصفور وانا في شوق واشتياقه لا يحمله جمل ولا ناقه ولا جمار ولا حمارين ولا بغل ولا بغلين ولا زرافه وفي هذا المعنى أقول لك كمان

السلام عليك يا سيدى والرحمه * سلام من هولا يا كل بعدك لقمه
الاصايم عن الزاد وهو زي الاعمه * وانا قصدي اشوفك ولو في الضلمه

وانا كنت اريد اجيك وحياة راسك ما عوقني الا سرموجتي مقطعه وانا اقول لك شوف لي كتاب كنت شفته من زمان وسمعت به آه عليه ويا ما قالوا لي عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وما جرى فيها من العجايب والغرايب وانا البارح كنت رايح اشيع لك كلام افتكرته وعاود نسيته الله يسامحك ويسامحني الله الله لا غالب الا الله والسلام عليكم وعلى من كانوا جيرانك على اليمين

والشمال

والشمال وكتب هذا الكتاب أبو علي واسمه محمد وكتب عنوانه يوصل دى الورقه مع أبو عماره اللى يبيع فى بلدنا الفول الاخضر والمش والزيت الحار يوصلها البولاق وواحد يبقى يوصلها السوق الكتب اللى يقولوا فيه حراج حراج * فانظر الى شدّة هذا الجهل والى هذا الكلام الذى يشبه الوحل وأمثال هؤلاء الجهال كثير ولقد أحسن الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالى نفعنا الله به فى الدنيا والآخرة حيث قال

تصدّر للتدريس كل مهوّس * بليد يسمى بالفقيه المدلس
فحق لاهل العلم أن يتمثلوا * ببيت نفيس شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

(ومما ينسب لسيدى عبد العزيز الديرينى)

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم
واجعل على الرأس طيلسانا * واعقد على المنكبين واختم
واجلس مع القوم فى صياح * لا بالبخارى ولا بمسلم
الا صباحا ونقض كم * ولا ولم لا ولا نسلم
وان لقوا الوقف يأكلوه * وقد نسوا العلم والمعلم
ثيابهم بيض ازدراء * وقلبهم بالسواد مظلم
فان ترى فى الورى فقيها * فصح وقل يا سلام سلم

أى اذا رأيت فقيها على هذه الحالة فاسأل الله السلامة منه والبعد عنه نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (ذكر شعرهم ورثاهم) قيل مر بعض أهل الارياف بجماعة من الظرفاء ينشدون الاشعار فى معنى العشق فقال لهم زيدوا اياه غنيين القوم من دى القول المليح منذ كرتونى نشيده مليح قالته وانا حرت فى الغيط الكنى عشقت ام معيكة وكنت رايح أموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة أنشدنا ما قلت فى ام معيكة فانشد يقول مرتجلا

ماضال قبصى يشطط من ورا المحرات * حتى أتتنى صبيه رايحه بنبات
فقلت يا ام معيكه دارحمى من مات * قالت أنا رايحه احرا وأجيلك بنبات

أقول هذا الكلام من بحر الخرا الوافر الذى ليس له أول من آخر وقائله من أبلد البشر أو من أغشم البقر وتناعيله باحتياط سخبط خبط متخبط خباط وطوله بالتوكيد من اسكندرية لرشيد وعرضه باحتياط من الصعيد لدمياط ومعناه الذميم ومبناه السخيم (ماضال) هذه كلمة يستعملها أهل الارياف وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق وأصلها مازال يبدلون الزاى صادا لاعوجاج ألسنتهم واشتقاقها من الضل أو الضلال أو من الضئيل وهى الحية قال الشاعر

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

ومصدرها القشروى ضل يضل ضلالا فهو ضال ومضلول (قيصى) على وزن حريصى أو جعيصى واشتقاقه من القمص أى قمص الحمار يقال حمار قماص أو من بلد يقال لها منية القمص ومصدره قمص يقمص قماصا فهو قامص ومقموص والقميص ما يلبس من الكتان وغيره (يشحطط) مأخوذ من الشحططة أو من الشحوطة أى ينسحب وينجر على الارض يقال شحططه اذا جره على الارض وهذه من لغات الارياف وقال بعض شعرائهم مواليا

شحطط صحيبك ورخه ألف فرقله * واكوه بالنار حتى يلتقى عله

حتى يلين ويبقى قرص من جله * قوم اطعمه عدس وبيسارو بسله

والشاهد فى قوله شحطط صحيبك وشحطط على وزن ضرّط بتشديد الراء وضرّط فيه امناسبه من وجهين الاول الوزن والثانى اذا شحطط وجر على الارض أو فى جورة أو فى نقرة ربما ضرط من شدة ما يحصل له من المشقة وألم التشحطط فكان المعنى ظاهرا قوله (من ورا المحرات) أى من خلفه ووصف قيصه بأنه صار ينجر خلف المحرات لاحد أمور اما لانه غلب عليها الشقاء وكثرة الحر والتعب فخلع كمه من يده كما يفعله الحراثون اذا اشتد عليهم التعب وزاد عليهم النصب فيفعلون ذلك لترويح اجسادهم وهذا لا يفعله الا أكابر الحراثين وأما غيرهم فانه فى الغالب لا يحرث الا عريان أو عليه خلقة مقطعة لا تستر العورة فهذا يدل على أنه كان من أكابر الحراثين ويحتمل أن قيصه كان مشرمط فصار ينجر خلفه ويتشبك فى الشوك والحلفه أو يقال انه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحراثين فصار ينجر خلف المحراث ومن شدة تعبه من الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى أحد ولم يجد له مروة يلمه من الارض حتى جاءته تلك الصبية (والمحرات) آلة معروفة عند الفلاحين وجمعها محاريب ومن لوازمها المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال الشاعر

تضال عمرك يا محرات تاعب جماعتك * لما اليوم المحشر ما انت مفارق

فالحراث دائما فى تعب شديد وهم مزيد وليس فى الفلاحين أتعب منه خصوصا اذا كان فى معاناة الجرافة السلطانية وهو أقل عقلا من غيره لانه فى النهار رفيق الاثوار وفى الليل رفيق الدساء فى الدوار فلم يكمل له عقل * ومثله فى قلة العقل مؤدب الاطفال فانه طول نهاره رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدب الاطفال قبوله شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولد ولدا آخر وجه المشتوم الشتمة الى المؤدب بقوله يقول لى الولد ده دم الحس فتالك ياسيدنا والولد الآخر يقول لى يا ابن القحبه ياسيدنا ويقول لى دم اخرق عينك ياسيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ * وقد وجد عند مؤدب اطفال طبلة وزمارة وفرقلة فسئل عن ذلك فقال أجمعهم بالطبلة وأفرقهم بالزمارة وأضربهم بالفرقلة (ورأيت فى بعض الكتب) أن مؤدب أطفال كان يعلم الاطفال القرآن فى

غرفة

غرفة له فاتفق الاولاد على ان يبنوا على باب الغرفة حائطا ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلا ولما أصبحوا جاؤا الى المؤدب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل قال فشدد وسطه وعدا فى طلبها وما زال فى البرية يمشى حتى قارب الليل فلم يجد شيأ فرأى صومعة فيها راهب فسأله هل رأيت غرفة فيها ألواح ودوى فقال الراهب فى نفسه انه أحمق لا عقل له ثم قال له نعم انها مرت على الظهر وأنت لا تلحقها ولكن بت عندى الى السحر وأنت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد عنده وقد هلك من الجوع والعطش وأضره التعب فأحضر له الطعام فأكل وشرب حتى شبع ثم أسكره ونومه وقام اليه وجرده عن ثيابه التى كانت عليه ولبسها الراهب وألبسه ثياب الرهبان وشد له زنارا وتركه فلما كان وقت السحر نبهه وقال له ويحك ان الغرفة رجعت الى البلد فقم وادخل البلد تجدها قال فقام ومضى الى البلد فرحا مسرورا فلما رآه الناس قالوا له أنت صرت راهب قال لا والله الا أنى بت عند راهب وقلت له نبهنى وقت السحر فأيقظ نفسه وتركنى قال ثم انه رجع الى الصومعة وصار يتذلل له و يقول له بالله عليك يا راهب نبه نفسى حتى اروح البلد وخذ نفسك اجعلها مكانها صدقة عنك بحق المسيح قال فصار الراهب يضحك عليه حتى أيس منه وانصرف فانظر الى قلة عقله وشدة جهله (وكان أيضا بعض مؤدبى الاطفال) اذا وقف يصلى وركع أخرج رأسه من بين رجليه وقال شنتك يا ابن القحبه رأيتك يا ابن العرص ويشتم الاولاد ثم يسجد ويتم الصلاة وقوله (حتى أتتنى صبيه) أى لم يزل على هذه الحالة السخيمة والعيشة الذميمة والكرب والتعب ومعاشرة اخوانه من الثيران والابقار فى الليل والنهار حتى مرت عليه هذه الصبية وهى صد العجوز وصبية على وزن بلية أو رزيه مشتقة من الصبوة على وزن اللبوة أو من الصابون أو من مصبنه فشعلته بحبها وفتنته بجمالها وسباه هواها الاسيما وهى من ملاح الريف وخصوصا اذا كانت فى وقت جمع الجلة وشيل الزبل وهى متضمخة بالنجاسة وتلك الروائح (وهى رايحه بتبات) أى والحال أنها مروحة من الغيط الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين انهم يسرحوا فى الغيط ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع وتقاقيط الجلة الناشفة والضم ونحو ذلك ثم انهم يروحوا بيوتهم آخر النهار أو فى نصفه على قدر تمام أشغالهم فيجدوا العدس والبيسار أو المدمس قد طاب أمره وحسن طعمه فيأكلوا ويتمتعوا بنسائهم على الافران ومداود البقر وأشوان التبن وغرف الجلة ونحو ذلك (فقلت يا ام معيكه) أى أنه لما اشتعل بحبها عند ما أقبلت اليه وهى مروحة من الغيط كما تقدم نظرها فأحبها والعين توقع القلب فى أشد ما يكون من الحب والغرام والوجد والهيام قال القائل

عينى نظرت وشبكتى من عينى * ما يقتلنى الاسواد العين

وقال الشاعر

نظرتك نظرة بالخيف كانت * جلاء العين منى بل صباها

فآها كيف تجمعنا الليالى * وآها من تفرقنا وآها

فاحتاج أن يخاطبها ويتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من أنهم يتذللون لمن يحبونه ويبذلون له الارواح فضلا عن الاموال ويهيمون بحسنه وجماله لان احداق الملاح تذيب أجساد العشاق وحلاوة الجمال تزيد في الاشتياق ومحاسن الحبيب تجذب روح العاشق الكئيب ولله درّ معن بن زائدة حيث قال

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ * ـل على أننا نذيب الحديدا
وترانا عند الكريهة احرا * راوفي السلم للغواني عبيدا

وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بأم أو بأب كما هو مقرر ومعيكه تصغير معكه وهي على وزن ركه أو حكه أودكه أو لبكه وغلبت عليها هذه الكنية وصارت علما عليها الكثرة ما كانت تعك شعرتها على جذور الشجر عند اشتداد أكلان الشعر من طوله وقلة نتفه وغليان الشهوة لان الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليانه وزاد أكلانه فلا يبرده على النساء الا النيك خصوصا في زمان الصيف وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس أيام الشتاء لان الشعرتين اذا التقتا تتولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها * وجدت عليه الشعر أسود كالزنجي
فقلت لها ماذا الذي قد رأيته * فقالت طواشي كاتب الدخل والخرج
وهذا زمان البرد والشعر ساخن * فأسفق أباه ذا بجهد بلا حرج

واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يعك معكا فهو ماعك ومعوك ودليل كونه مشتقا من المعك قول بعض شعراء أهل الريف مواليا

قومي امعكي يا خطيطه شعرتك بالحيط * لما أجيلك هديه طورنين محيط
واعطيك وحياة راسي نعل من هر بيط * وابجي لعندك وشل رجليك جوا لغيط

ومقول القول (ارحمي من مات) أي تعطفي بالرحمة والشفقة على من أشرف من حبك وغرامك على حالة تشعر بالموت أو بالخناق المستعجل وهذا على حد قولهم حزين وواعي لانه مع كونه في حالة تعب وارتكاب نصب من الحرث وتراكم الهموم والقهر حصل منه هذا العشق الذي يفضي الى الموت وكأنه يقول أنا يا أم معيكه قد أشرفت من حبك على الهلاك والموت فرقي لحالي وانظري ما أنا فيه من معالجة أخواني الابقار ومقاساة الحرث بالليل والنهار وأنت صبية نضيفه وتكرهي الشعره المنتوفه فاسمعي لي بصحبتين فيما بين العلين وأزور الشيخ أبو قبعه لو أخذت البشت والجبه والا يحصل لي من بعدك وغرامك الموت فلما فهمت من حاله هذه القضية وابتلت بهذه البلية ورأت الذي لها مثل الذي عليه وشبيه الشيء منجذب اليه قال الشاعر

رأيت مجذما في قاع قبر * وآخر أبرصا يخرا عليه فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشيء منجذب اليه

أبدت اليه العذر الذي أوجب لها هذه الحالة الذميمة وعدم تعطفها عليه وهي في تلك المشقة العظمى

والداهية العميمة وهي حدوث الخرا عليها بلا انكار ومكابدة دفعه مع المشقة والاضرار لانه ثقيل في الصرم خفيف في الكم اذا ادرك الشخص بين ناسه خرى في لباسه (قالت) له على سبيل الوفاء بالوصال ولم تدعه يقاسي ألم الحب والشكال (آنا رايحه اخرا) وفي رواية خا اخرى اخرا والمعنى في الذوق واحد ولكن الرواية الاولى اولى لتأكيدها من جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقارى لها أيضا والمعنى أن مرادي افرغ نفسي من هذه القضية في نقرة اخرا فيها مثلا أو فوق سطح أو في جنب شجرة او في الغيط أو نحو ذلك كما هو عادة الفلاحين القاطنين في الارياف فان المرأة منهن تجلس في قضاء الحاجة وسط الزريبة أو فوق الكوم خارج البلد وأي نقرة وجدتها بالت وغوطت فيها الان دورهم ليس لها مراحيض يخروا فيها قال الشاعر

سألت بني الارياف ما البيوت لكم * مراحيض قالوا الامراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالرجال من باب اولى ثم انها ارادت بقولها هذا تفهيمها اياه حالها وغرضها كأنها تقول له اني اذا اتيت اليك وصرت بين يديك ربما اضايقت من هذا الامر المشروح ورائحته عليك تفوح ولكن عندما أزيل هذه الضرورة ويفرغوا الاولاد من لعب الكورة أوفي بالوعد ولم الشتات (وأجيك بتبات) أي بأمر ثابت محقق واجابرك فيه وأصله بالثاء المثلثة غير أن هذا من ألفاظ الارياف فكما أنهم يقولون في الميراث ميرات بالتاء المثناة فوق فكذلك يقولون تبات ونحو ذلك بالمثناة الفوقية ووقع في رواية اخرى اجيك وابات لكن يكون فيه الايطاء وهو معيب في الشعر وان كان مناسبا للمقام اذ هو شعر كلا شئ فعلى الرواية الاولى يكون المعنى أنا قولي ثابت في المجئ اليك والبيات عندك والبيات مأخوذ من بيات الفراخ لان نساء أهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بيت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى ولا يضر ادخال حرف الجر على الفعل لانه مناسب لثقل الكلام وركاكته وبين بتبات وتبات الجناس المحرف أو المصحف على اللغة الاصلية ويمكن أن يكون قوله رايحه بتبات أي هذه الليلة وقولها أجي وأبات أي الليلة الثانية كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثاني وان كان هو عينه في باطن الامر هذا نتيجة الفرق بين تبات الاول وبيات الثاني فان الاول منسوب لقول الرجل والثاني لقول المرأة ولعلها أرادت بتأكيدها البيات عنده عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شأن من يريد الوفاء بالوصال ويكافئ العاشق بلذة القرب والجمال وقالت في نفسها هذه الصبية هنا المحب لا يرضيه مني الا ليلة على كمالها يتملى بتلك المقابح ويشم تلك الروائح وهي آثار جلة الغيط وارقدأنا واياه في الفرن أو في مدود الحمارة أو على الجرن أو فوق الجلة الناشفة لان نهاره كله في الحرات والتعب ولا يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه في كد المعيشة وتعبها وهوانها ونصبها قال الشاعر

قالت تسافر يافتى * وتفارق الوجه الحسن فأجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرقة * بين الاحبة والوطن

وتأكيدها فى البيات يفيد أيضاً أنها تريد من هذا العاشق أنه يتهيأ لما يناسب حضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول المدمس ونحوه ومصدره بات يبيت بياتا * وقولها السابق اخرا لفظة الخرافيها لغات ذكرها صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه الغائط والعذرة ونحو ذلك انتهى * ومن أشعارهم القشروية

وقلت لها ولى على وشرشرى * عريض القفا للنائبات صبور

هذا الكلام من بحر الخرا الطويل الذى عرضه من الحسينيه لبركة القيل وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلامه الثقيل ولفظه الهبيل أن هذا القائل لما ولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج أن يتذلل لجمالها وأن يتمتع بمحاسنها وأن يتحمل منها المشاق والدواهى والبليات كما هو عادة المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق به ضرب من الافلاس فهو فى أشد الاشتياق لمحبوبه بين الناس قال الشاعر مواليا

عشقت ذليت حك الجوع جسمى حك * وصمت عامين لما صمت يوم الشك
وحق من له الجبال الراسيات تندك * يستاهل العاشق المفلس طريحة صك

فالعاشق يحتاج الى ثلاثة أمور أن يكون اجرى من كلب وأوزن من صيرفى وأذل من يهودى وعشق الفسقة على أقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حدقة وعشق علقة فهى أربعة أقسام ونحن نوردها على اخواننا المتاعيس على التمام * فأما عشق الشفقة فهو أن يميل العاشق الى الولد الجميل أو المرأة الجميلة ويكون معه أو مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدح فى محبوبه والشفقة عليه حتى يصبر عليه أحن من الوالدة على ولدها ويدفع عنه المضرات ويتحمل من أجله البليات ويكون حريصا على أمواله مشفقا على حوايجه مسرعا فى قضاء أوطاره حتى يقضى منه المرام على أتم حال قال الشاعر لقد صرت فراشا لحبى وسائسا * زمانا الى أن نلت منه مراديا
وأما عشق النفقة فهو أن يكون الشخص صاحب ميسرة وأموال فهو لا يحتاج الى تعب فى جلب محبوبه بل كل محبوب أظهر له الدراهم يحضر عنده على أحسن حال وأتم منوال قال الشاعر

نخرة العشاق يا من عشقوا * ذهب بنثره أو ورق
واذا باب الرضا قد أغلقوا * يفتح الدرهم ما قد أغلقوا
هكذا قد قال فى تنزيله * لن تنالوا البر حتى تنفقوا

وأما عشق الحدقة فهو أن يكون من اخواننا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح وليس له حيلة الا النظر الى الامرد الجميل وطرفه يشير اليه أنه مسكين وعاشق وفقير مفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء

لحضرة هذا الجمال ثم يتذلل بين يديه بالدعاء بقوله أطال الله بقاءك أدام الله جمالك أسعد الله أيامك ونحو ذلك فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له أن مراده الوصال لما يرى من دوام النظر اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

وما نظرة اللوطي الا فراسة * وما تحت عين العلق الا منجم

فيعطف عليه و يمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم على حد قول القائل

ان أجد وجها مليحا * ألق في الفضة خفه أو أجد هذا وهذا * لم أجد في الحي غرفه

أو أجدها تيك جمعا * ألق في الحارة زفه فلهذا طول عمري * تائب من غير عفه

وأما عاشق العلقة فهو أن يكون العاشق عديم الذوق سيء الخلق كثيف الطبع والذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع أو صكه بالنعال لا يرجع عنه ولو عرض عليه أنواع البلاء وألقاه في أشد المصائب لا ينفك عنه ولا يخلص منه الا براده كرها لا برضا قال أبو نواس

اذا رقد الندامى خل عني * وعن من كان يصلح للدبيب

ألذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب أو خوف الرقيب

ولعل الناظم من هذا القسم بدليل قوله بولي علي وشرشري أي أن محبوبته لما رأته عالقا بها كعلوق السارفي الحطب أو الزنبور في الخشب علمت أنه لا يفارقها الا أن يقضي مراده منها العدم ذوقه وصفاقة وجهه ولم تقدر أن تمنعه بصك ولا بشيء نجس فلاجل أن ينزجر عنها و يمتنع عن عشقها و يترك العلوق بها رفعت قميصها وأوهمت أنها تريد البول عليه أو على لحيته حتى تملأها ولكنها في وهم منه وحيرة فأكد عليها بالقول وأمرها أن تفعل فقال (وقلت لها بولي علي وشرشري) أي أني لا أبالي بما تفعلينه معي من النجاسة ولا أتكدر من الخساسة لاني عاشق مشوق وقليل الهندام والذوق وفي هذا المعنى يقول القائل

أحكم وأخرى عليكم وعلى بابكم من فوق * بالله اعذروا العاشق الخرا عديم الذوق

فلا أبالي بالبول علي وعلى لحيتي لاني (عريض القفا) وثخينه ومن شان عريض القفا وبليد الطبع أن يكون (للنائبات صبور) وأن لا يضجر ولا يقلق من البول وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائبه لشدة بلادته وعدم ذوقه قال الشاعر

يعرض قفاه للهموم جميعها * وذلك لسوء الطبع فهو بليد

وقوله بولي مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهي شيء يعمل من الخوص أو الحلفاء يحملون عليها الزبل و ربما يكون فيها الجلة والوحل فسميت باسم ما وضع فيها من تسمية الظرف باسم المظروف أو المحل باسم الحال ومصدره بال يبول بولا ومبالا ومبولة ومبلة أيضا وهي ما يبل وينقع فيها الكتان فان قيل اذا كانت لفظة المبولة فيها هذه المصادر فلاي شيء اكتفى الناظم بقوله بولي علي ولم يصرفها

فيقول بولي على بولا ومبالة الى آخره قلنا يمكن الجواب الغشروى عن هذا الكلام وهذا الاشكال الفشكلية وهو أن كلمة بولي فيها تكرار اذا تصرف فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا اختلاف الوزن وخروجه عن قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان في حد ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم بقوله بولي أو يقال ان هذا من باب الاكتفاء وهو ما يدل موجوده على محذوف قال الشاعر

بالت على مبالة ومبلة * حتى اكتفيت بولها وانا أبول

اى وأنا أبول عليها أيضا المناسب بولها بولي لاجل اتفاق المعنى ومناسبة المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت على بلت أنا الآخر عليها بيقين ومن الاكتنا والاقتباس قول بعضهم

مليكنا الحسن جودى باللقا كرما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك أذى

أفسدت قلبي فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

أى اذا دخلوا قرية أفسدوها وقوله على أى بولي على ذاتي جميعها حتى يشمل البول شواربي ولحيتي وما جاورها بحيث لا يبقى في منبت شعرة الا وقد عمها البول ظاهرا وباطنا وقوله وشرشري معطوف على بولي وهى من لغة الارياف وقد وردت في القاموس الازرق والناموس الابلق وهى مشتقة من الشرا أو من الشر أو من الشرور أو من أولاد أبي شر بشر وهم جماعة فلاحون أو من الشرشرة وهى آلة محددة تعمل من الحديد يصنعها الفلاح في حزامه اذا سرح في الغيط يحش بها الزرع البهائم وفي شرشر جناس مذيل وهو مشرشر وأكد على محبوبته في القول بلفظ شرشري لكونها أنثى ولو كان ذكرا لكان الانسب أن يقول له بل على وطرطر لان المرأة اذا بالت شرشرت بمعنى أن بولها ينزل من فرجها مشرشرا حكم أسنان الشرشرة لطول فرجها واتساعه بخلاف الرجل فان ايره ضيق المنفذ فكان المناسب أنه اذا بال طرطر لان بول الرجل يخرق في الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر اذا بالت الانثى على الارض شرشرت * وان بال زب فهو في الارض يخرق

وفي رواية شرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد ما قلنا أن عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف أهل قبيلته وهم بنو عبس من العدو أن يدهمهم على حين غفلة ان شعروا بموته وكانوا على أهبة سفر فاتفقوا أن يجعلوا ابنة عمه مكانه ويزيوها بزي رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد وسارت أمام قومها فنظر العدو اليها فلم يشكوا في كونها عنترة وتحيروا في هذا الامر وكان فيهم رجل صاحب رأى وفراسة فقال لهم أنا أكشف لكم الامر وهو أني أتوقع نزوله لقضاء الحاجة فان كان بوله يخرق في الارض فهو عنترة وان كان مشرشرا فهى عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد مات فتعقب الرجل وكشف عن الحال فوجده عبلة فهجموا عليهم ودهموهم والقصة مشهورة في محلها وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل لقول الشاعر

اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل * عليه ولم تخطر عليه ببال

فصورة في وسط الكنيف بنعمة * وشرشر عليه عند كل مبال

وقوله عريض القفا على وزن صقيع اللحا وعريض القفا مشتق من العرض أو من العرضية وهي مايلف على الرأس بلغة الرياقة ويدعونه أيضا الكر أو من عارضة الباب قلت والانسب اشتقاقه من العارض وهو الغمام لان قفاه صار متعرضا للبول والصلت وغيره كتعرض الغمام في أفق السماء والقفا مشتق من القفوة أي قفوة الانكشارية التي يلبسها املا زموهم أو من القفة أو من القنقولة وهي بوشة صغيرة يطبخ فيها أهل الرياقة طبيخ البيسار وقيل هو من قفوت الشيء اذا تبعته لان القفا دائما تابع للرأس ولا يفارقه أبدا الا عند قطعه ومتى سار سار معه قال الشاعر

الرأس يتبعه في السير أربعة * وجه وذقن وآذان وعرض قفا

وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب به الانسان اذا كان بليدا جبان القلب قال الشاعر صاديا بلك يابحر الوفا وقفا * فما قه عنك نطع واقف وقفا

وفي هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله للنائبات جمع نائبة نائبة وهي ماينوب الانسان من البلايا والمشقات وقد تنتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر

كن حليما اذا بليت بغيظ * وصبورا اذا أتتك مصيبه

فالليالي من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيبه

ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله صبور على وزن عبور وقيل بمعنى صابر وعلى هذا أيضا يكون عبور بمعنى عابر وهو مشتق من الصبر أو من الصبارة التي تعلق على أبواب البيوت وقد تنبت في بعض المقابر فهي لشدة مرارتها وحدونها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك في مطلع قصيدة قلتها في شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت حوادث الدهر قد تأتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الكدر

واعدد لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ما ترمي من الشرر

الى آخرها هذا وقد أتى لفظ العبرانة بمعنى العبور في نظم الشيخ بركات وسبب قصته أنه كان رحمة الله عليه من البلداء واتفق أنه سافر الى بلاد الروم ووصل الى مدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقا له سار في بعض شوارعها فسلم عليه وسأله عن حاله وحال الملك فقال له ياشيخ بركات قد أجازني بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له الشيخ بركات لا بد أن أمدحه أنا الآخر وآتي عليه وكان صديقه هذا يعرف بلادته وسوء طبعه فنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فطرق الباب وكان من عادة الملوك في قديم الزمان أنهم لا يمنعون أحدا عن أبوابهم فخرجت اليه امرأة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سيأتي في نظمه وقالت له ما تريد فقال أريد الملك فقالت له تأتي اليه في وقت غير هذا وان كان ولا بد فعرفنا حال الملك نخبره به فأخذوا وورقة وكتب فيها يقول

بركات عبرايه * جايسلم ماقدرشي من عجوز خلف دار * كالاسود الضاريات

وطواها وأعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت الورقة في يد الملك وقرأ البيتين أمر باحضاره فلما مثل بين يديه ورأى ذاته وبلادته وثقل نظامه وهيئته لحيته ضحك عليه فقال له ماتريد قال الجائزة على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم أجيزك جائزة تناسب نظمك هذا ثم انه ألبسه برذعة حمار وأمر أن يجعلوا في فمه اللجام وعلى طريقة التفر كعادة الحمير ثم أمر أن ينادى عليه في المدينة هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه الالفاظ ثم أنعم عليه بعد ذلك وأمر باخراجه من المدينة قلنا ولهذا ذكروا أن الشاعر لايهدي قصيدته الملك أو غيره حتى يتطرف ألفاظها ثم يهديها أو يعرضها على أرباب الخبرة من أهل الذكاء والفطنة لئلا يقع في محظور مثل هذا (ولنرجع) الى شرح نظم الشيخ بركات فنقول قوله (بركات عبرايه) جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة النيل بمصر أو من بركة الجمل وقوله عبرايه أي يريد العبور على الملك وتقدم اشتقاقه وقوله جايسلم ماقدرشي أي أتى يريد السلام ماقدر والمانع له من السلام عجوز لها قوة شديدة وشدة في منعه كالاسود أي السباع الضاريات العاديات التي تعدو على الانسان وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة اذا انحنى ظهرها وشاب رأسها فيصير قربها هم وجماعها غم الا على من يميل الى عشق العجائز ويفضلهن على ذوات النهود البارزات على حد قول الشاعر

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(ويقرب من هذا المعنى) أنه وصف لابي نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول الشعر ارتجالا فسار اليه متنكرا ليختبر فصاحته حتى دخل مصر وسأل عليه فدلوه على حانوته فوقف عليه وسلم فرد عليه السلام فأنشد أبو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله في رجل * أضناه حب عجوز بنت تسعين

فاجابه الحداد بقوله يبكي عليه فقد أودى بمهجته * حب القباح وترك الحور والعين

فقال له أبو نواس مثلك لايكون الانديما لامير المؤمنين فقال مالي ولامير المؤمنين أنا صنعتي تكفيني ولا حاجة بي اليه فتركه وانصرف وقد اطلق العجوز على الخمرة اذا عتقت وطال زمنها وقيل لبعض الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في حق الهدهد لأعذبنه عذابا شديدا قيل أراد أن يزوجه بعجوز وقال سيدنا علي كرم الله وجهه اياك ومجامعة العجوز فانها تأخذ منك القوى وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة والعجوز بلاء وذات الولد دعوة وذكروا أن أصل حرب البسوس من امرأة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها فضربها كليب بسهم فقتلها فذهبت الى جساس وألقت الفتنة بين الفريقين فاقتتلوا ووقع الحرب بينهم أربعين عاما وذكر بعضهم أن فتنة التتار التي لم يوجد في

الاسلام

الاسلام أعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امرأة عجوزا (وأما حيلهن) فى القيادة وجمع النساء منهن للفاسيد فانها تغلب حيل ابليس قال الشاعر

عجوز السوء لا يرحم صباها * ولا يعفر لها فى يوم موت
تقود من السياسة ألف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكى وتنوح فقلت لها ما الذى دهاك فقالت لى يا سيدى وقعت لى اسورة من ذهب فى هذه البئر قال فاعتقدت صدقها ونزعت ثيابى ونزلت البئر فى طلب الاسورة فأخذت ثيابى وانصرفت وتركتنى عريانا ففتشت فى البئر فلم أر شيأ ثم خرجت من البئر فلم أرها فسرت الى منزلى عريانا ولبست ثيابا غيرها فكان هذا من حيل العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وأمورهن غريبة فينبغى التحرز منهن والبعد عنهن فهن أصحاب العجائب وأرباب الدواهى والمصائب * فان قيل لفظة قدرشى فى نظم الشيخ بركات التى تقدم ذكرها بمعنى قدر فلاى شئ لم يكتف بها مع أنها أقل حروفا من قدرشى فكان حقه أن يقول جا يسلم ماقدر وكان هذا أولى وأخصر فى اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطع فان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فلفظة قدرشى أبلغ من لفظة قدر وأيضا ربما اختل النظم فراعى فى ذلك زيادة الحروف لاجل وزن الشعر وأما ركاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلا تطالبنا به لبلادة قائله وكثافة طبعه انتهى (ومن أشعارهم الشربينية البيتان الآتيان) وسببهما على ماقيل أن جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الاشعار وبينهم شئ من الحلوى والثمار فتربهم رجل فلاح الهم والخزى على وجهه قد لاح فلما رآهم فى هذه الحالة انقض عليهم بلا محالة وقال لهم ذكرتمونى زمان العشق للملاح وقولى فيهم بلا مزاح وأراد أن يأكل معهم فحصل منهم انقباض فقال لهم لابد ما أرمى عليكم أنقاض أى ألغاز بلغة شعراء الريف ثم أنشد يقول

والله والله العضيم القادر * هوعا الما بسرايرى وخبايطى
ان عاود القلب المشوم ذكركو * لاقطعوش مهجتى بصوابعى

هذا الكلام من بحر الهلفطة والمعانى المشرمطة وتفاعيله متخلبطه متخابطه وعرضه بيقين من زنجبيه لشربين وطوله باحتياط من الدمرو لدمياط وأما شرح معانيه المخمطه وحل مبانيه المغمطة فقوله والله والله العضيم القادر يريد القسم غير أنه لم يقع الموقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة جريا على لغة أمثاله من أهل الريف فاختل المعنى فى ذكر الصفة وان كان الموصوف الذى هو الاسم الكريم باقيا على حاله وقوله هوعا الما بنصب عالما مع أنه مرفوع ليس على قاعدة النحويين الا أن لسانه لم يساعده على ذلك لان ألسنة أهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من باب عجرفة الكلام المناسبة لهؤلاء القوم

وقوله بسرايري وخبايطي السراير جمع سريرة وهو ما يسره الانسان من خير أو شر والخبايط جمع خبيطة على وزن عبيطه فخبايطي على وزن عبايطي مشتقة من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا ألقاه على الارض أو من الخباط على وزن الضراط ولفظة الضراط أنسب بالمقام بل هي أولى قال الشاعر

الخبط مشتق من الخباط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط وقوله

ان عاود القلب المشوم ذكركو * لاقطعو من مهجتي بصوابعي

هو جواب القسم والقطع هو فصل الشيء وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا بعد عنه والقلب مشتق من التقلب قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب

والمهجة معلومة والصوابع على وزن الفراقع وهي معلومة أيضا وأسماؤها الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والابهام فهي خمسة بيقين لاشك فيها ومعنى الكلام أن هذا البليد أقسم بالله العظيم القادر على كل شيء العالم بسرائره وخبايطه أي ما أسره من الافعال القبيحة والبيات الخبيثة وما يخبطه بالليل من سرقة الغنم والفراخ والنط في الدور وقرط الزرع وسرقة الجلة ومواسته على زرع شريكه وأخذه بالليل ونحو ذلك من الخبايط التي يفعلها هو وغيره من أراذل أهل الريافة وقوله ان عاود القلب المشوم أي ان رجع الى محبتكم بعد ما قاسى من همومكم وترككم اياه وهو يتذلل لكم بالمحبة ويسرح لكم في الغيط في الحر ويصالحكم بالزبل ويسرق لكم الجلة وترسلوا له التقيه يملاها خرا ناشف وزبل غنم ونحو ذلك ويسرح لكم بالليل يقرط لكم الغلة من غيطان الناس ومن زرعكم ويطعمكم وأنتم تشتغلوا بغيره وتهجروه ولا تعرفوا الجميل الذي فعله فهو الآخر اب عاد قلبه المشوم ووصفه بأنه مشوم لانه وافقه على محبة قليلين الخير ناكرين الجميل وقوله ذكركو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغات الريفية كما تقدم أي تحرك بذكركم بعد هذا كله لاقطعو من مهجتي أي أنزعه منها بصوابعي وفي رواية بضوافري والمعنى واحد لان الضوافر تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور قطعه الا بعد موت الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو في حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه فما وجه كلام الناظم قلنا الجواب أن هذا قطع معنوي لا حسي يعني أنه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث انه لو صور بين يديه وخالفه لقطعه بصوابعه أو بضوافره كما تقدم ومن هذا المعنى قول العارف بالله محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به

ياقلب لا كويك بالنار * وان كنت عاشق لازيدك
ياقلب حملتني العار * تريد من لا يريدك

وقوله من مهجتي فيه شيء فان القلب ليس في المهجة وانما هو في الصدر مايل الى الشق الايسر فهذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له أدنى ادراك ومعرفة لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على

هـذا النمط لان قافية البيت الاول خبايطى والثانى صوابعى أوضوافرى وهو غير الوضع العروضى ولا يساوى قشرة بيضة وناظمه أثقل من حجارة المرضة غير أن قائله من أرباب القحوف المقلوبة والمناسبة مطلوبة (مسئلة هبالية) لاى شئ ذكر القطع بالصوابع ولم يقل بالسكين أو الموسى اذ من شأن القطع أن يكون بآلة محددة وكونا نقلب لها لا يتجه قطعه بالصوابع ولا بالضوافر قلنا الجواب الفشروى أن يقال انما ذكر القطع بالصوابع لكونه أخف فى الالم من السكين أولان الحركة والعمل لا يتأتى الا بالاصابع اذلا يمكن أن يقطع الشئ الا بيده وأصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الاصابع فيكون فى الكلام حذف والتقدير لاقطعو من مهجتى بسكينة قابض عليها به وابعى ومن هذا المعنى قوله تعالى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أى مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أو أن السكين اذا قطع بها قلبه يمكن أن يقال فلان جرح نفسه بسكين أو قتل نفسه بها فذكر الاصابع هنا لينفى عن نفسه الريبة أو أنه من باب خلبطة النظام وعجرفة الكلام ولو قال لاقطعو من مهجتى بصوابعى وسكينتى لكان أولى للجمع بينهما أى الصوابع والسكين الا أن الناظم الهبيل لم يساعده الوزن على هذا المعنى الثقيل فاتجه الجواب وبان الصواب * ومن أشعارهم مواليا

هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك * وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك

يامن عجنتى قليبى فى وحيلاتك * ياريتنى قرص جله بين ادياتك

هذا القول العكيس والنظم الحسيس والمعانى الغلسة والالفاظ الهبالية من خرافات الاسرائيلية والتشابيه التى خرجت عن الاوضاع وتمجها النفوس والطباع وهو ان ثبتت أوزانه وتخلبطت أركانه فهو على أربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط خبط وطوله باتفاق من الخانكه ابولاق وعرضه بيقين من باب زويله لسويقة لسباعين ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله (هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك) يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهية الجارح للقلوب عند سماعه فكأنه يشبه ازريه وهذا من العجب العجاب أن هذا البليد الطبع شبه كحل محبوبته بالهباب لكن هو الانسب لها واعشقته اياها وشبيه الشئ منجذب اليه والطيور على أجناسها تقع وخص الهباب بفرن ابن عمه لانه لم يكن فى بلده أكبر منه ولا أكثر هبابا وأن غالب نساء الكفر تخبز فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فلكثرة تراكمه يسود سوادا شديدا فلهذا أوقع تشبيه كحلاتها بسواده وقوله ابن عمى ولم يقل فرنى لكونه كان فقيرا لا فرن له الا بالتصحيف وهذا من قبيل التغزل الفشروى لانه لما عشق هذه المليحة ورأى الكحل فى عينيها أراد أن يتغزل فيه بما يناسبه ويشبهه بتشبيه لا يكون خارجا عن الماهية فنظر ببلادة طبعه فلم ير شيأ أسود منه فشبه كحلاتها بذلك لان الشخص اذا ألف محلا صار يرى كل ما فيه حسنا وكذلك اذا ألف شخصا لا يراه

الابعين الكمال ولا يشاهد فيه عيبا الاو يلوح له ما ينفيه عنه و يشفع عنده فى قبوله قال الشاعر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال آخر يقولون فى البستان للعين نزهة * وماء غدير صفوه غير آسن

اذا شئت أن تلقى المحاسن كلها * ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

(وعادة نساء الارياف) أنها تهوى الافران لاجل تدميس الفول وطبخ البيسار وتقمير البتاو وتنشيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة تحب تراكم الهباب عليها الكثرة اشتغالها بالخبز والطبيخ فشبه كلاتها به لكونها دائما فى هذه الحالة وهذا من باب قولهم سخام بهباب ثم انه لما شبه كلاتها بسواد هباب فرن ابن عمه مشيرا اليها أنها تفهم من ذلك أنه محب لها ومصر على عشقها أراد أن يشبه مدلاتها أيضا ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الارياف وأن يكون التشبيه من ماهية ماسبق من تشبيه كلاتها فقال (وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك) هذا الكلام فيه تقديم وتأخير وتقديره أن مدلاتك فى الطول تشبه حبل طور ابن خالى والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر ويجعل فى آخرها جلاجل من فضة أو برق ونحو ذلك وتسمى أيضا مضنات كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل) هذه نحو من ذراع أو أقل منه وحبل الثور ربما يكون أكثر من ذراع أو ذراعين غير ما يكون ملتفا على أذنيه فما وجه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو فى الشئ والتفنن فيه لانه لما عشقها ورأى هذه المدلات مرخاة على صدرها ولم ير فى بلده أحسن من ثور ابن خاله ولا أطول من حبله شبه مدلاتها به وأتى بهذه الاشعار الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظمه التعيس وأما كونه حرم نفسه من أن يقبل كلامه عند محبوبته التى خاطبها باستعارته ثور ابن خاله وحبله وكذلك فرن ابن عمه وهبابه ولم يبد كرشيأ يدل على الملك حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله وشقاوته وظهور حاله أنه عاشق مفلس فليس له دواء غير الصك بالنعال كما قالوا فى هذا المعنى مواليا

اللى معه مال لوطلب الثريا نال * واللى بلا مال صكوه الملاح بنعال

وان كان معك مال هاته تبلغ الآمال * ما كان معك مال طردوك الملاح فى الحال

فاتضح الحال وظهر المقال عن هذا الكلام المشاوق الوارد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالى بالطاء المهملة جريا على لغات الارياف لانهم يبدلون الثاء المثلثة فى الثور بالطاء أو بالتاء المثناة فيقولون طور وتور (يامن محنتى قلبى فى وحيلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل لما وجد محبوبة قلبه تعجن الوحل والطين عقب المطر يعنى أنها تلمه وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا نزل المطر فى الزريبة واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلوه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلة والوحل يقبن ويسموا مجموع ذلك وحلا وقد يطلق على فرد من تلك الافراد عند أهل الريف ثم انهم يجعلوه

جواليس و يلبسوا به بيوتهم وأفرانهم و ربما جعلوا منه مدا ودللبقر وغير ذلك مما يحتاجوا اليه فلما رآها فى هذه الحالة أخذت قلبه وعجنته برجليها فى هذا الوحل خاطبها بياء النداء تنبيها لها على أنه لا يجوز من المحبوب أن يتملك قلب المحب و يعجنه و يدوسه فى الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل يترفق به و يرق له ثم انه استشعر من ذلك سؤالا كأن قائلا قال له المحب ليس له تصرف فى نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلو أنها ألقتك و زقتك وقليتك فى الخرا مثلا فضلا عن الوحل لا تلمها فتمنى أن يكون قرصا من الجلة بين يديها وأضاف الوحل اليها لانها مالكة له ومتصرفة فيه و يفهم من هذه العبارة أنها كانت تعجن الوحل فى محلها حتى يكون ملكها وأن الوحل كان فى زريبتها بيقين كما أن الجلة والزبل فيها أيضا وقوله وحيلاتك تصغير وحلات وقوله (ياريتنى قرص جله بين اديانك) حينئذ تأكيد و بيان أن المعجنة التى كانت تعجنها وتدوسها برجليها كان فيها الجلة والزبل بيقين وقوله ياريتنى قرص جله الى آخره بابدال اللام راء فى ريتنى من لغة الريافة وأصلها ياليتنى وقد وجدت فى القاموس الازرق والناموس الابلق والمعنى انى أتمنى أن يكون بين يديها قرص جلة من هذا الوحل الذى عجنته وأكون وحل ابن وحل أى وحلا بطريق التمنى و ابن وحل بطريق التشبيه فاتجه الجواب عن هذه اللغة القشرويه وتنزل نفسه منزلة قرص جلة وهو شئ خسيس اشارة الى أن العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا التشبيه الحقير المشابه للعيشة التعيسة وتمنى أن يكون قرص جلة بين يديها وهذا هو الانسب لمحبوبته لانها دائما فى عمل الجلة وتلزيقها وعجنها فهى دائما فى هذا الامر فأتى لها بما يناسب حالها وما تحبه وأعز ما يكون عندها الجلة والوحل فما أخس هذا العاشق وما أرذل هذه المحبوبة وقوله بين اديانك هذه لغة أهل الريف والمعنى انى أتمنى أن اكون قرص جلة تقلبينى بين يديك من اليمين الى اليسار مثل ما تفعلى فى قرص الجلة حتى انى ألتذ بكونى مرفوع فى يديك وتمس ذاتى أصابعك فتحصل لى الراحة و يزول عنى ألم المشقة ولو أن صورتى انقلبت قرص جلة فانى لا أبالى من النجاسة ولا أسأم من الخساسة لما فيها من الراحة و بلوغ المنى ونحو ذلك و يقرب من هذا المعنى قولى

وهيفاء لما جئتها حين حلبها * تمنيت أنى مرطها وثيابها

لكن هذا تمن ظريف فى محبوبة لطيفة *(مسئلة هبالية)* لاى شئ اقتصر فى العبارة على الوحل وكان حقه أن يضيف اليها أيضا الجلة والزبل حتى يصير فيها مجموع الثلاثة (قلنا الجواب القشروى) أنه اذا كان الوحل ثابتا بيقين فيكون الزبل والجلة فيها من باب اولى فلا اعتراض على الكلام واتجه الجواب بلا ملام (وقوله) هباب على وزن تراب أو كلاب أو سراب مشتق من هبوب الريح أو من هبهبة الكلاب قال الشاعر

لقد هبهبت لما رأتنى كلابها * فقلت مجيبا قد علانى هبابها

(وهبهب) وادفي جهنم (وفي الاحياء للغزالي) في كتاب ذم الكبر والعجب عن محمد بن واسع قال دخلت على بلال فقلت ان أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان في جهنم وادٍ يقال له هبهب حق على الله أن لا يسكنه الا كل جبار واياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه ومصدره الهبهاب يقال هب يهب هبابا وسمي بذلك لكونه يهب من الافران (وقوله ابن عمي) العم أخو الاب وقد يطلق ويراد به الاب كما يطلق الاب ويراد به العم مثل قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر فان المراد به عمه لان العرب تخاطب العم بلفظ أب وهو مشتق من العمى أو من العموم ومصدره العم يقال عم يعم عما هذا ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به السواد الذي هو ضد البياض وهو أقبح الالوان (كما اتفق) أن بعض الملوك أرسل اليه بعض الاكابر هدية لا تليق به وهي عبد أسود فقال الملك لكاتبه اكتب له بوصول هديته وأوجز فكتب اليه أما بعد لو وجدت لونا أقبح من السواد وعددا أقل من واحد لارسلته الينا والسلام ويقال ان السواد مأخوذ من السودد وهو العلو والرفعة وتصريفه ساد يسود سودا وسوددا (وقوله) كحيلا تلك الكحل مشتق من المكحلة أو من الكحال أو من تذكرة الكحالين قال الشاعر

جبال الكحل تفنيها المراود * وكثر المال تفنيه السنين

(وفي الحديث) اكتحلوا بالاثمد المطيب فانه يحد البصر والسنة الاكتحال به وترا عند النوم (وقوله) وحيل طور ابن خالي الحيل مشتق من الحيلي أو من الحبالين والطور تقدم معناه وهو مشتق من الطور أو من الطارة التي يصيدوا بها السمك وأما بالثاء المثلثة وهي اللغة الفصيحة فهو مشتق من ثوران الارض لانه يثيرها بالحرث لانه معد لذلك وللساقية أيضا بخلاف البقرة فانها معدة للحلب والولادة قال ابن سودون مواليا

الثور والبقره دي العام ومن قبله * في مصر والشام مع غزه مع الرمله
فدي بتحبل وبتلد عجل او عجله * والثور في الساقيه يا كل بفرقله

(وقوله) ابن خالي الخال اخو الام فعلى هذا يكون الناظم ابن اخت صاحب الثور والخال مشتق من الخيلاء أو من الخيل أو من الخلخال أو خيال الظل ومصدره الخيل يقال خال يخيل خيلا ويطلق على الخال الذي يكون على خد المحبوب فيزيده حسنا وجمالا كما قال أبو نواس

يكون الخال في خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا

(وقوله) كيف مدلاتك المدلات واحدته المدلة على وزن سبلة أو المدلة مشتقة من الدل أو الدلال قال الشاعر

له دلال ودل زانه غنج * سبحان من خصه بالحسن في الناس

أو هي من التدلية لكونها تدلت على الصدر أو على الحوران أو الاكتاف ونحو ذلك ومصدرها التدلي يقال تدلت تتدلى تدليا فهي مدلاة (وقوله) عجنتي العجن مشتق من المعجنة أو من العجين

قال

قال الشاعر   والعجن مشتق من العجين * كذا من العجان باليقين

ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنا وتقدم تعريف القلب واشتقاقه (وقوله) فى وحيلاتك العبارة من وحل وفيها الوحل أيضا وهو مشتق من التوحل ومصدره الوحل يقال وحل يوحل وحلا وقد يخاطب به الشخص فيقال ياوحل مثلا أى من طبعه وخصاله تشبه الوحل نجسة خبيثة (وقوله) ياريتنى قرص جله القرص هو الشئ المدوّر مشتق من التقريص أو من القراصة أو من القرصة ومصدره القرص يقال قرص يقرص قرصا والجله فيها أيضا وهى مشتقة من جلة البهائم (وقوله) بين ادياتك جمع يد وقد ورد هذا اللفظ عن القاموس الازرق والناموس الابلق قال الشاعر

جاءت لنا بأديات تشيرلنا * نمشى اليها سحيرا بالرجيلات

(وفى نسخة اخرى) ياريتنى قرص جله بين رجيلاتك والمعنى واحد فى النجاسة وعلى القول الثانى تكون الرجيلات جمع رجل وهى من الترجيل أو من الرجلة قال الشاعر

اذا اشتقت الرجلان فهى كرجلة * والافرجل كالترجل اذ ورد

ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل وفى الابيات من أنواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد كحيلاتها وطول مدلاتها بباب النرن وحبل التور ولبعضهم

تلاعبوا تحت ظل السمر من مرج * كما تلاعبت الاشبال فى الاجم

(ومن أشعارهم أيضا) مواليا

سألت علحب قالوا اشت ملتايه * سحت دمعى بكرسايه وجلايه

وشلت وجهى لربى قلت مولايه * جاب لى رغيف وعجوره وتمايه

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعانى ركيك المبانى خسيس النظام وهو من بحر زبل الكلام وطوله باتفاق من هنا لبولاق وعرضه بدستور من الجيزة لبولاق التكرور وتفاعيله مستثقلن ثاقل مستثقلن ثاقل ومعناه الذميم لايهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد من هذا المعنى السقيم الاكيد ان قوله (سألت علحب قالوا اشت ملتايه) يريد به أنه لما عشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر من ذكره وصار دائما لايفارقه طرفة عين فان من أحب شيأ أكثر من ذكره ولو أنه فى أعظم المشقات وأصعب البليات قال عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يتلذذ بذكر محبوبه واذا ذكر عنده ربما تختلج أعضاؤه عند ذكره شوقا اليه (كما اتفق) أن رجلا زاد به العشق فمرض فأتوه بطبيب فأخذ يجس نبضه ثم قال الطبيب لغلامه هات الفرجية فتحرك نبض المريض فقال الطبيب أنت عاشق ومحبوبتك اسمها فرجية فقال له نعم ياسيدى فقيل

له من أين عرفت ذلك فقال أمسكت نبضه وذكرت الفرجية فتحرك فعلمت بالفراسة أنه عاشق ومحبوبته اسمها فرجية ومن هذا المعنى ماذكرته فى بعض القصائد من قولى

شكوت مابى فقال الصحب أجمعهم * انظر طبيبا لقد أمسيت فى وجل
فرحت نحو طبيب كنت أعرفه * يدرى رسوم الهوى بالقول والعمل
ناديته يارعاك الله خذ بيدى * وانظر لحالى وداو القلب من علل
فجس نبضى وقال الحب قارتعدت * فرائصى وفؤادى صار فى خجل
وقال أنت سقيم فى هوى قمر * بديع حسن زنا بالأعين النجل

الى آخر الابيات فلهذا أراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وأن يعلم محله ومنزله ويسأل عن حاله وفى أى مكان هو لاجل الاجتماع به وبلوغ المطلوب منه فسأل عنه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا للسؤال ان محبوبك الذى تسأل عنه شت أى ذهب وراح من التابة وهى محل يجعلوه الجماسة على شكل دائرة أو نصف دائرة من القلقيل والطين وربما جعلوا له سقفا من الغاب والحشيش مثل بيت صغير ويضعوا فيه أوانى اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسموه التابة فيقال تابة الجماسة وتابة الغنامة ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله فى زمن الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما لطخوها بالجلة والوحل أيضا لاجل تمكين البناء وسميت بذلك لانها تاوى هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من أولاد الجماسة أو الغنامة الذين هم رعيان الجاموس أو الغنم بدليل أنه سأل عنه الجماعة القاطنين بهذه التابة فلما علم أنه شت منها باخبارهم له تشتت شمله وأدركه البكاء والنواح عليه بدليل قوله (مسحت دمعى بكرسايه وجلايه) أى حين علم أن محبوبه سافر وشت من التابة ولم يعلم خبره وكان ذهابه من التابة لاحد أمور إما أنه انكسر على أبيه مال السلطان فهرب لئلا يأخذوه عنه رهينة أو أنه راح فى طلب عجلة أو بقرة أو ثور رفشت فى البرارى لينظر ماذهب منه فسأل هذا العاشق الطفس عن هذا المحبوب الغلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هو عادة العشاق وأسلوب المحبين وسال دمعه وامتد سيلانه وربما اختلط بمخاطه أيضا (كما تفق) أن بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

اذا ماذكرتك يامنيتى * يسيل المخاط على لحيتى
وليتك عندى اذا ماخريت * يكون لسانك فى ثقبتى
نسيمك عطل ماء السما * وأورثنى الكسر فى ركبتى
فان لم تغثنى بلطف الدوا * فان الهوى مسهل معدتى

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبرا عن حاله مسحت دمعى بكسر الدال المهملة جريا على اللغة الريفية أى لما حصل لى هذا الامر مسحت دمعى السايل مع المخاط الذى هو من لوازمه بكرساية

فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه أيضا بجلابة أى أنه استعار له مسحتين عوضا عن محرمتين وهذا مما يناسب عشقه لهذا المحبوب وأيضا فيه مناسبة لحال العاشق لانه دائما فى قطع الكرس وشيل الجلة وعجنها ولزقها وكذلك المحبوب فالجنسية علة الضم والاشياء مناسبة لبعضها البعض اذلو قال مسحت دمعى بمنديل أو بمحرمة لكان هذا بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور أن يكون له محرمة أو منديل الا نادرا لان الظريف من أهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده فى كمه أو فى لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا المعنى ولو سلمنا ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق ذلك فى وقت سؤاله عن محبوبه لانه سأل عنه أهل التابة وهم دائما فى حالة رذلة من الجلة والطين ونحو ذلك وهو أيضا فى حكمهم ومتخلق باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم فى الخساسة ورئيسهم فى النجاسة ولا يتصور أن يكون مع أحدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماسة فى الغيط ذقونهم ومحارمهم اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده فى قرص جلة أو فى القلاقيل أو فى الحشيش أو نحو ذلك (فان قيل) لاى شئ مسح دمعه بكرساية وجلاية وكان الاولى أن يمسحه بكمه أو بطرف كرته أو بشئ كان عليه من ملبوسه (قلنا) لعله لم يكن عليه الا ما يستر به عورته فقط أو كان عريانا كما هو دأب الفلاحين فى غالب أوقاتهم الكبير منهم عليه ما يستر العورة لا غير فربما كان وقت سؤاله عريانا فى حفر بئر أو قناة أو شيل زبل او جلة أو نحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل أو أنه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتيقن أن الكرساية والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين أنهم لا يتحاشوا عن هذه الامور فمسح دمعه بها أو أنه من الخضوع القشروى والتذلل لمحبوبه أو أنه اراد أن يفهمه اذا رجع واجتمع به أنه مسح جبينه ووجهه ودموعه بكرساية أو بجلاية ليتحقق أنه محب له وأنه تعاطى لاجله أخس الاشياء والاولى أن يقال ان هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق لان الشخص من أولاد الفلاحين ينشأ من حين ولادته الى أن يموت فى الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك واذا جلس لا يجلس الا على النجاسة وربما أكل وشرب على الزبل والجلة ونحو ذلك فهم خرا أولاد خرا فكان مسحه بالجلاية والكرساية فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة أرباب التابات واحوال الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دمعه وأفاق لنفسه وتيقن أن محبوبه يطول رجوعه اليه ورأى نفسه جيعان ولم ير أحدا يرسله الى داره ليأتيه بشئ يأكله من الخبز الشعير والجبن القريش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين فى أخرما كولهم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا مثل هذا الفلاح لاسيما اذا كان فى حالة حفر البئر أو شيل الطين أو نحت قناة أو شيل الوحل وتراكمت عليه الدواهى والتعب من عقب حفر البئر أو شيل الطين أو العشق الذى هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها بمخاطه وقد أبطأ عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا وساخت

عليه نفسه لانهم يقولوا الجوع كافر (وسمعت بعض الفقهاء) لما خلق الله النفس سلط عليها أنواع البلايا وقال لها من أنا فقالت أنت أنت وأنا أنا فسلط عليها الجوع وقال لها من أنا فقالت أنت الله الذى لا اله الا أنت فكان الجوع على النفس أصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصح جسمه وينشط للعبادة (وقال بعضهم) تاكل كثير تنام كثير يفوتك خير كثير قال الشاعر

اذا شئت أن تحيا صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا

كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل أكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر أخبر عن نفسه وقال فى مناجاته لربه (وشلت وجهى لربى قلت مولايه) أى لما طال على الزمن فى حالة بكائى وفى مسحى الدموع وأشرفت نفسى على الهلاك من ألم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهى لربى أى رفعته وهذه لغة ريفية وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه أى رفعه وقوله لربى أى الخالق ومربيى ثم دعونه وقلت مولايه وحذفت ياء النداء لضرورة النظم وأما الهاء فى مولايه فلاجل الروى ثم كان من ضمن دعائه أنه قال أطلب منك ياربى ومولاى ان تيسر لى ما آكله والتهى به عن الانتظار لهذا المحبوب الذى أذهل عقلى وأجاع نفسى وأسال مخاطى ودمعى فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما أشار له بقوله (جاب لى رغيف وبجوره وقتايه) أى سخر لى انسانا أعطانى مجموع هذه الثلاثة وأكلت وسددت مجاعتى وحصل لى غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم (فان قيل) استجابة الدعاء لها شروط أن يأكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح فى وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهى مسح وجهه بالكرساية والجلة ووقوفه أيضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرقعه جنب المدود أو الجرن وأيضا هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ما ذكروهو الرغيف وما معه (قلنا) انما عجل الله له هذا من باب الاستدراج أو من باب ما ورد ان الرجل الخبيث اذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه اليه وقد قيل فى قوله تعالى فى حق سيدنا موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام قال قد أجيبت دعوتكما أى بعد أربعين عاما *(مسئلة هبالية)* ما الحكمة فى ذكره فى الابيات الكرس والجلة والرغيف والبجورة والقتاية وهذا لا يناسب ذا ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن أن يأكل القتايه والبجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره مما يناسب فما فائدة ذكر ذلك مع أن فيه أنواع النجاسة (قلنا) لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروه نوعا من البديع فالكرساية واحدة الكرس والجلاية واحدة الجلة والبجورة والقتايه كذلك وذكر القتاية بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى الجناس المصحف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبال وأما حل هذه الابيات واشتقاقها فقوله سألت عن الحب السؤال هو أن يسأل الشخص عن شئ وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من

السيل أو السيولة أو من السيالة ومصدره السؤال يقال سال يسأل سؤالا والحب مشتق من المحبة أو من المحبوب وهو بكسر الحاء اسم لزير الماء (وسمعت امى) وأناء غير تقول يا شي من شى بطنى على بطنه زالمدلى يعمل شغله ولم أفهمه الابعد مراجعة أمى مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب يقال حب يحب حبا (وقوله) شت مشتق من الشتات أو من الشبتة التى تستعملها النساء لحر الكتان والتابة مشتقة من التوهان أو من وادى التيه (وقوله) مسحت من المسحة على وزن المروحة أو من المسحة على وزن دبحة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والجلاية كذلك من معناها والكرساية من التكرس أو من كرس الزربية وقوله شات وجهى الشيل مشتق من الشالية التى يوضع فيها اللبن أو من الشلف الذى يشال فيه والتبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والمجورة من المجرأو من المجيرة وهى حشيشة معروفة ومصدرها المجر يقال مجر يمجر مجرا وا قتابه مشتقة من القتا الذى يربطوه الحصادين من الفلاحين أيام حصاد الارز وهو معروف عندهم وفى البيت من أنواع البديع المقابلة لانه قابل وجهه بالكرسايه وقابل لحيته بالجلايه وقابل بطنه بالرغيف والمجورة والقتابه وهذا يدل على أنه كان مشغولا ببطنه أشد من اشتغاله بمحبوبه وفيه الطباق المعنوى أيضا لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم ذكر بعض ما يدل على ذلك فانظر وفقك الله ما حوى هذا النظم التشروى من غموم وهموم ومعانى عليها الخراطه وم لا يعرف الا بالذوق ولا يدرك الا بالشوق (ومن أشعارهم مواليا)

رقاص طحونتنا يشبه خلخالك * ورحينا فى الزربية قالت اشحالك
الاوكلاف يقول لى يا صبى مالك * طور ابن شيخ البلد حاله كأحوالك

هذا المواليا من بحر التخبيط وهو على أربعة أضرب من التخابيط وتفاعيله مستلهطن لاهطن مستلهطن لاهطن وطوله من غير حصر من شبرى لمصر وعرضه مع المسيبة من باب النصر للصليبة ومعنى ألفاظه الطويلة وحل معانيه العبيطة أن قوله (رقاص طحونتنا يشبه خلخالك) أى رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا خطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة خصوصا اذا كان خلخالها من النحاس المطلى بالقصدير كما تفعله نساء الارياف أو من الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع والحس لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة فيكون هذا الصوت الذى شبه به صوت خلخالها ناشىء من بين الحجر والرقاص ولهذا عرفوه بأنه الهواء المنضغط بين قالع ومقلوع أو قارع ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والا لو كان المشبه به نفس الرقاص لم يكن هنالك فائدة لكلامه الا على تقدير مضاف أى صوت رقاص طحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه الصوت خلخالك الخارج من بين الفردتين اذا مشيت ويفهم من هذا أنها كانت تلبس فى كل رجل حجلا كاملا لاجل ظهور الصوت (فان قيل) ان رقاص الطاحونة له حس مرعب عند دوران الحجر وله قرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا ينعله الطحانون لاجل معرفة الناس أن

هـذا محل الطحن فيأتوا اليه للطحن فيه أو لاجل دوران الثور أو الفرس فانه مادام يسمعه يدور فاذا رفعوه وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل نشاط البهائم وسرعة دورانها فأين المناسبة بينه وبين الخلخال وأيضا جعلها الخلخال مشابها للخشب فى غاية البعد خصوصا اذا كان الخلخال من الفضة فان الشئ انما يشبه بما كان مثله (فالجواب) أن هذا النطع لم ير الخلخال أصلا ولا ملكه طول عمره وانما يعرف رقاص الطاحونة فظن بسوء طبعه وعدم ذوقه أن صوت هذا الرقاص لم يكن فى الدنيا أحسن منه سماعا فشبه صوت خلخال محبوبته به لاسيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس أو الحديد فانها اذا كان كذلك ومشت به محبوبته فان حسه يقارب فى السماع حس الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه الكثيف *وألطف ماسمعته فى طحان هذان البيتان

طحانكم قد زها جمالا * فايطاق السلو عنه ورق خصرا فليت شعرى * بكم يباع الدقيق منه

وأحسن ماسمعته فى محبوب فلاح قول بعضهم

رب فلاح مليح * قال ياأهل الفتوه كنلى أضعف خصرى * فأعينونى بقوه

أقول هذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان جميلا فان أفعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر أن هذا العاشق نظر الى الردف الثقيل والخصر النحيل فدحه فاتضح الجواب وبان الصواب* ثم انه أضاف الطاحونة الى نفسه لكونه كان ملازما لها وقاطنا فيها ويحتمل أنها كانت ملكه أو أن هذا من باب بنى الامير الجدار ثم ما كفى هذا القائل الخبيث الطبع الرثيث الوضع الذى لا يعرف الحب ولا يدريه وعشقه يشبه الخرا ماذكره من النظم الركيك والمعنى الدكيك حتى خيل له أن الرحا تخاطبه بالمقال وأنها تفهمه عن شرح الحال فأخبر عنها وقال (ورحينا فى الزربيه قالت اشحالك) يشعر هذا الكلام بأن الرحا خاطبته وأنها سألته عن حاله وقالت له ما حالك اليوم يامسكين وقد وصلت الى العظم السكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من اجلها هذا اذا جعلنا خطاب الرحا له وأما اذا كان الخطاب لمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستنهامها منها ماهى فيه فى هذا الوقت وبالجملة فان كانت اللام التى قبل حرف الروى منصوبة كان الخطاب له وان كانت مخفوضة كان لمحبوبته ولعل هذا هو الاصوب وسيأتى أن نصب اللام وخفضها لا يضر فى الشعر ويفهم من قرائن المقام أن محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا فى الزربية فان هذا العاشق كان يتردد عليها ويشاهد هذا الامر فكانت الرحا أى لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من أهله ثم انه لما علم من حالها أنها خضعت له ورقت لحاله حيث خاطبته الجارة وأنه يريد منها ما يريد الراهب من الحارة أراد أن يعرفها ما يقع لغيره قبل مواصلته وما

يتفق لبعض أصحابه واخوانه من الاثوار من نحول جسمهم من ضرب الفسرقلة وتعب السواقى والحرث ونحو ذلك لاجل ما يتاسى به ويتسلى بحاله فأتى بأداة الاستثناء فقال (الاوكلاف يقول لى ياصبى مالك) وفى نسخة بدل مالك والك بالواو (طور ابن شيخ البلد حاله كأحوالك) أى أن هذا الكلاف و يقال له العلاف بالعين المهملة و يسمى التوار أيضا وهو الذى يكلف البهائم والأثوار ويتعاطى خدمتها المار أى هذا العاشق ومقاساته للاهوال من أجل محبوبته وقد صار فى حالة رذيلة خصوصا عند مشاهدة محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقه اعتراه التغير وخالطه الاصفرار وأذبله النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى فى فؤاده * اذا مارأى المحبوب يوما تغيرا

ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وأيضا رآه فى حالة فقر وافلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله وشاهد ماهو فيه من الهول وشدة النحول قال له ياصبى مالك أو والك على الرواية الثانية لغة عند أهل الريف والمعنى واحد أى ماحالك هذا الذى أنت فيه وماسبب مقاساتك الخطب وانما خاطبه بلفظ ياصبى لكونه اعترته الصبوة أى المحبة والميل وسيأتى اشتقاقها أو أنه كان من صبيان البلد أى من شجعانها وقد أذله الحب وأنحله الغرام والمعنى انك لست مختصا بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه ما نابك وأصابه ما أصابك وهو ثور ابن شيخ البلد الذى هو أعظم الاثوار وأكبرها فان حاله الآن مثل حالك قد انحل جسمه واصفرت ذاته مما قاسى من التعب وما كابده من النصب وما أكله من الضرب على أضلاعه وما حصل له من شدة أوجاعه وهذا من باب التسلية والتأسى بالغير كما سبق وأراد تسليته بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح أنه فى الغالب لا يضرب الامثال الا بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر آلات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس ما يناسبه كأنه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا الامر ليس مختصا بك فان صديقك ورفيقك الذى هو ثور ابن شيخ البلد حاله يشبه حالك وأتى بهذا التشبيه الخسيس المبنى على غير تحسيس ليناسب عشقه وحال محبوبته كما تقدم بيانه لئلا يخرج تشبيهه عن ماهية ماهو فيه لانه دائما فى معاشرة البهائم والأثوار وكذلك محبوبته فاتجه الحال وظهر الجواب عن هذا الاشكال اذ هو نظم يشبه بول الرجال وقائله أثقل من الجبال وأما شرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رقاص طحونتنا الرقاص آلة يصنعها النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة فى عود من الخشب أو الحديد فاذا دار الحجر قرقعت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص لانه مشتق من الرقص على وزن القص أو من قرية فى البحر الغربى يقال لها امرقص ومصدره الرقص يقال رقص يرقص رقصا فهو رقاص والطاحون على وزن الماعون والمعون مشتقة من طحن القمح أو من الطحين ومصدره الطحن يقال طحن يطحن

طحنا فهو طاحن ومطحون والخلخال مشتق من الخلخلة أو من الخيلاء أو من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة والرحى جمع رحا وهي حجران صغيران أحدهما مركب على الآخر الاعلى يدور على الاسفل وفي وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثاني يقال له القطب (قال ابن دريد) رحمه الله تعالى في مقصورته

وان سمعت برحا منصوبة * للعرب فاعلم أنني قطب الرحا

والرحى بضم الراء واحدتها رحا كما تقدم وهي مشتقة من الراحة او من الروحاء محل بأرض الحجاز أو من الرواح وقيل من المروحة ومصدرها الرحا يقال رحا يرحو رحا قال الشاعر

له راحة مشتقة من رحا ئهم * تروحني لما أروح الى أرضي

والزربية مشتقة من زرب البهائم لانهم دائما يزربوا فيها او يحلوا فيها او رعا بالوافيها أيضا كما هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربا والكلاف مشتق من الكلفة أو من الكلف وهو النمش الذي يظهر في وجه الامرد أو الجارية بعد بلوغها ودليله أن هرون الرشيد مر يوما بجارية تباع فقال والله لولا كلف بوجهها الاشتريتها فانشدت الجارية تقول

ما سلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف

الظبي فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

فاشتراها هرون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم فيكون مشتقا من العلف أو بلفظ التوار فيكون مشتقا من التيران ومصدرها العلف يقال علف يعلف علفا وقوله ياصبي مالك بنصب اللام والبيتان السابقان بكسر اللام وهذا لا يضر لانه ورد في شعر العرب وتقدم في غير هذا المحل اشتقاق الصبي من الصبوة أو من الصابون أو من قناطر الصابرني وتقدم تعريف الثور لغة واصطلاحا (مسألة هبالية) لاي شئ أتى في النظم بالثور فقط وكان من حقه أن يأتي بالعجلة أيضا أو بالبقرة حتى يكون الناظم في مقام الثور والمحبوبة في مقام العجلة أو البقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى للانثى ويكون هذا من باب المقابلة التي هي أبلغ في النظم (قلنا الجواب القشروي) أنه يفهم من ذكر الثور ذكر العجلة او البقرة كما أن ذكر عنتر يفهم منه ذكر عبلة فكان الاعتراض على الناظم في غير محله وكانت المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلحس ابن فلطس الذي قاس البحر على المغطس (فان قلت) لاي شئ حصر الناظم الرحى والزربية مع انها ليست معدة لذلك وانما هي معدة لزرب البهائم فيها كما تقدم أنهم يبولوا فيها او يحروا أيضا حتى يغرقوها فما الحكمة في ذلك (قلنا نعم) وان قلنا انهم يبولوا فيها يقين فان البول لا يدوم وربما كانت جوانبها سالمة من البول فيجمعوا فيها الرحى لاجل الطحين أو يقال ان نساء الارياف لا يتحاشين من الزبل والجلة فان المرأة منهن اثوابها دائما متضمخة بالجلة وغيرها في غالب الاوقات فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال (ومن أشعارهم)

مواليا

مواليا) رأيت حريفي بفرقله يسوق تيران * لوكرّ أصفر على راسه كما اللبسان
ياريتني كنت لوحدوة من الحدوان * أو كان لي شلق فوق راسي من الكتّان

هذا المواليا من بحر التخريف ومعنى التخريف بالتقدير من منود لابن صير وأما معناه الخارج عن الادراكات الخارج لقانون ذوي المروآت الذي يمجه الطبع ولا يسعه محل من البيوت والاربع فأن قوله (رأيت حريفي بفرقله يسوق تيران) هذه الرؤية بصرية أي شاهدت ببصري لا بيدي ورجلي حريفي أي محبوبي وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم بهذه الكلمة فيقول الشخص منهم فلان حريفي أي صديقي أو صاحبي أو محبوبي ويقول له يافلان تعال حرفي أو لاقشني ياابو واسعه أو هارشني ياأبو عريضة أو حارفيني يامليحه أو ياابو كاره او ياابو كرّه ونحو ذلك من هذه الالفاظ وستأتى كيفية لقشهم على المردو النساء في الارجوزة الآتية في آخر الجزء ان شاء الله تعالى وقوله بفرقله يسوق تيران يريد به التغالي في وصف المحبوب حيث جعله سواقا بفرقلة لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف يليق بحالته التي هو فيها من لبس أو صنعة أو نحو ذلك مما يكون مغرما به وعاشقا له (كما اتفق) أن بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام مغرما بضرب الناقوس فرّ به يوما وهو يضرب به فأنشد يقول

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبي ضربا بالنواقيس
فقلت يانفس أيّ الضرب يحبكي * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

فانظر الى رقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبا الحال كل منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سواق ولا يستغني الفلاح عن عشرة السواق ولا السواق عن الفرقلة أيضا والفلاح عنده التيران في مقام الاولاد كما أن السواق عنده الفرقلة أعز من أخيه وولده ولهذا تراها دائما على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يألفه ثم ما كفى هذا العاشق الماسخ والهمّ الراسخ ما وصف به محبوبه من أمر تعاطيه الفرقلة واشتغاله بسوق التيران وأنه عنده من أكابر الرعيان ومن أعز السوّاقين الاعيان حتى وصف ما على رأسه فقال (لوكرّ أصفر على رأسه كما اللبسان) هذا على حذف مضاف تقديره ان لهذا المحبوب كرّا وهو الشذالذي يلفه على رأسه يشبه في لونه نوّار اللبسان وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه بان له كرّا أصفر على رأسه يشبه نوّار اللبسان وأنه متميز عن غيره من السوّاقين والرعيان بهذا الكرّ فقل أن يلبسه أحد من جنسه واذا فرض أن أحدا يلبسه لا يكون كله أصفر كنوّار اللبسان بل ربما تكون أطرافه فقط مزعفرة أو معصفرة كما يفعله أهل الريافة لاولادهم (فان قيل) لاى شيء شبه كرّ محبوبه بنوّار اللبسان ولم يشبهه بالزعفران أو العصفر أو نحو ذلك (قلنا الجواب) واضح وهو انه انما شبهه بهذا الزهر لانه لا يعرف الزعفران ولا غيره من الصبغات

وانما يعرف ماتظهر صفرته من أصناف النوار مثل نوار اللبسان لانه فلاح والفلاح لايعرف الاما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سواق بقر فلهذا كان الانسب أن يشبه كره بما يعرفه والا لو فرض أنه شبه الكر بشئ لطيف أو وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية الرذالة وكان منه تشبيها لطيفا بعيدا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال عن وجه هذا الاشكال ثم لما علم أن محبوبه دائما يمشي بحدوة في رجله اذا احتاج الى حرث الارض أو حصاد الزرع أو الذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمنى أن يكون حدوة في رجليه من الحدوان فقال (ياريتني كنت له حدوة من الحدوان) أي ياليتني فأبدل اللام راء على لغة أهل الريف كما تقدم أكون دائما حدوة في رجليه ولو كان بها النجاسة حتى أتلذذ بمس بشرة رجله الخشنة وكعبه المقشف فانظر الى قلة عقله وصفاقة لحيته حيث جعل نفسه حدوة من الحدوان بل هو جدي من الجديان وأرذل من هذا التمني في هذه الابيات قول بعضهم في المدرجات ياليتني كنت له سنداسا * أو كنت في أقدامه مداسا

فتمنيه في الشطر أشنع من تمني هذا الفلاح لان السنداس أشنع من الحدوة لانه محل الشئ المستقذر ثم الشطر الثاني من قبيل ما نحن فيه * ثم ان هذا الفلاح لما لم يبلغ مناه ولم ينل ماتمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنى أن يكون محبوبه مرفوعا على رأسه فقال (أو كان لي شلق فوق راسي من الكتان) الشلق يطلق على قطعة حبل من الليف أو الكتان وربما سمي أهل الريف الحزمة الصغيرة شلقا وهذا من باب التذلل لمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه حدوة من الحدوان في رجليه وجعل محبوبه شلق كان فوق راسه لاجل مايعصب راسه به اذا اشتد وجعها من ألم الصداع أو الضارب أو الدواهي والمصائب وهذا من عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله * فان قيل اذا كان هذا العاشق قصده أن يكون محبوبه في صورة شلق من الكتان يربط به راسه يكون على هذا التقدير محبوبه دائما في تعب منه مع أن العاشق لايريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب التواضع الفشروي لمحبوبه وطلب الرفعة له والعلو بكونه دائما فوق رأسه مرفوعا لان الرأس ما رأس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شئ ولا دون هذا العاشق أحد من العشاق في التواضع أو أنه من قبيل الاشتغال به بربطه على رأسه وعلى الاحتمال الاول حصلت هنا المقابلة لرأسه وللحدوة التي في رجل محبوبه فكان هذا من باب التدلي وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمنى مالا طمع فيه على حد قول بعضهم

ألا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

(مسئلة هبالية) لاي شئ تمنى هذا العاشق أن يكون حدوة ولم يتمن أن يكون وطا مع أنه المناسب وربما كان ألطف وأظرف من الحدوة وأغلى ثمنا والحدوة فيها يبس وبمعرفة أكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويتبله خصوصا في أيام الاعياد ونحوها والمحبوب لايليق به الا الشئ النفيس فما

الجواب

الجواب (قلنا الجواب) عن هذا البحث القشروى ان هذا المحبوب دائما يمشى الى الحرث والحراث لا يليق به المشى فى حالة الحرث الا بالحدوة وأيضا هى أكثر استعمالا لكثرة ما يدوس بها فى الارض المحروثة فى سروحه ورجوعه وفى شدة الحر وبذلك تكون النجاسة فيها أكثر والقذارة أوفى وأوفر فتكون بمقامه أنسب وأوفق بحاله من الوطا وأقرب وأيضا هى المعهودة والمعتادة فى مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح أنه لا يسرح ولا يروح الا والحدوة خلف قفاه مربوطة بحبل فى نبوته والعادة تثبت بمرة فكان الاولى لهذا العاشق أن يتمنى أن يكون له حدوة لانها عنده المحبوبة المألوفة فهى أحسن من الوطا وأيضا العاشق من شأنه أنه يحب ما يألفه محبوبه ويهواه ومن شأنه التذلل للمحبوب والخضوع له والذل فى الحب لائق بالمقام كما قال بعض الملوك فى جاريته وكان مغرما بها ومشغولا بحبها

أيا ربة الخدر التى ضيعت نسكى * على كل حال أنت لا بد لى منك
فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

وقال هرون الرشيد فى جواريه الثلاث

ملك الثلاث الانسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة أخرى) فان قيل كان من حق الناظم أن يقول (أو كان لى شلق فى وسطى محزم به) لان الشلق كما تقدم حبل من الكتان أو الليف والحبل لا يكون معدا الا للحزام أو لربط شئ ونحوه وأما وضعه على الرأس فنادر فما الحكمة فى ذلك (قلنا الجواب) عن ذلك أن الشلق وان كان معدا للمذكور الا أن الغرض للناظم خلاف ذلك وهو أنه يريد رفع محبوبه على رأسه حتى يصير فى أعلى مكان وأشرف منزل وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وأيضا يمكن الجواب بان يقال ان من عادة الفلاحين أنهم يلفوا على رؤسهم الحبال اذا كان فى شغل دق الكتان أو فتل الحلفة فيجعلوها مقام الكرة ويربطوا بها رؤسهم ويحفظون بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم وأما اذا جعلنا الشلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله فوق راسى من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب (شرح لغات الابيات) قوله حريفى مشتق من الحرفة أو من الحرافة أو من حروف الهجاء أو من حرف الماجور (قال الشاعر)

حريف اذا ما اشتق فاذكر حرافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة
وقد صح فى القاموس الازرق أنه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدرها الحرف يقال حرف يحرف حرفا فهو حريف * والفرقلة مشتقة من الفرقلة على وزن المزبلة أو من الفرقال على وزن المثقال أو عبيد الزبال ورأيت فى القاموس الازرق والناموس الابلق أن

الاصل فى وضعها الطراشة التى تلعب بها الخلا بيص فى السامر وعملت الفرقلة قياسا عليها وكان اسمها فى الاصل فرقيعة وان الذى صنعها اصار يضرب بها الناس و يفرقع فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل وأضافوا اللام وهاء الضمير الى بقيته وأقاموا الضمير المذكور مقام هاء التأنيث وجعلوا مجموع ذلك علما فى هذه الحبال المفتولة وقالوا فرقلة كما قالوا مثل ذلك فى بعلبك ومعديكرب ونحوهما من المركبات المزجية (فان قيل) اذا كان أصل الفرقلة الطراشة فلاى شئ ترك الناظم الاصل وأتى بالفرع والاصل أشرف من الفرع الا فى بعض مسائل ذكرها العلماء (قلنا) انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصا فان الطراشة من ملازمات الخلبوس ولكن المقام لا يناسبه الا الفرقلة لكون هذا المحبوب سواقا للبهائم وهو من أولاد الفلاحين فكان الانسب به الفرقلة كما تقدم * ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة * وقوله يسوق على وزن فسوق مشتق من السواق أو من الساقية أو من السواقة ومصدره السوق والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة (قال الشاعر)

يسوق اذا ما اشتق فهو سواقة * وساق وسواق وسقس لقدو رد

* والكر ما يلف على الراس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكرة على وزن الخرخرة أو من الكرا ويا أو من الكرب أو من كر الشئ اذا حله يقال كر عرضية فلان اذا حلها من على راسه ومصدره الكر يقال كر يكر كرا * وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع فى البرسيم له ورق عريض يأخذه أهل الريف و ينزعوا أوراقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويبقوه زمانا يسيرا ويأخذوا قوامه ويسموا مجموع ذلك كبر باللبن وسيأتى ذكره فى كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان لانه أصفر وزهر الكتان أزرق (قال ابن سودون)

زهر الكتان مع اللبسا * ن هما لونان ولا كذب كيهود فى دير خالطوا * بنصارى حركهم طرب

وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور نواره بنبات آخر غيره يسمى عند الفلاحين حميض بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وربما اشتبه أيضا بنبات يسمى فسا الكلاب وورقه أيضا يشبه ورق اللبسان وفسا الكلاب فيه بيتين منافع مذكورة فى منافع النباتات أو من بئر اللبسان وهى بئر مشهورة فى أرض مصر يطلع فيها نبات يدخل فى علم الصنعة الالهية ويقال ان هذه البئر هى باب الكنز الذى تأتى اليه الحبشة وتأخذه فى آخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبسانا * والحدزان على وزن الجروان واحده الحدوة وهى جلدة تعمل على قدر القدم لها خيوط من الجلد تمسكها ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع المشقة واذهاب الحفاء والعيا عن الرجل ونحو ذلك ومصدره الحدو يقال حدا يحدو حدوا وقيل مشتقة من الحداية وهى طائر معروف من الفواسق الخمس التى جوز الشارع قتلهن (فان قيل) ان الحداية من شأنها

الخطف والحدوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها (قلنا) هنالك أدنى مناسبة وهو أن الحدوة اذا مشى بها الشخص ربما خطفت بعض الحصا وطرحته اذا أسرع صاحبها فى المشى فكان هنالك بعض شبه بالحداية من هذا الوجه (فائدة) ذكر صاحب القول المهاب فى وصف الغراب واقعة عجيبة وهى أن بعضهم افتقر فدخل الى بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيأ فعبس فى وجهه فخرج من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر فرغ وجهه على الارض ودعا الله تعالى واذا بحدأة ألقت عليه شيأ فنظر فيه فاذا هو كيس ملآن دنانير وفيه جوهرة تساوى جملة من المال فأخذه واتجر فيه وصار فى يسر الى أن مات فانظر الى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد عطائه وفضله على خلقه * ورأيت فى القاموس الازرق والناموس الابلق أن الحدوة مشتقة من الحدادى واستشهد على ذلك بشاهد فشروى فقال

والحدوة اشتقاقها قد صححوا * من الحدادى فاستمع ما رجحوا

والحدادى على وزن الجنادى جمع حدابه * والشلق مشتق من الشلوق أومن الشلقة أومن الشاقول الذى يوضع فيه ربع الميقات ومصدره الشلق يقال شلق يشلق شلقا * والكتان معروف وهو مشتق من الكتانية الذين يتعاطون تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن يقال كتن يكتن كتنا (فان قيل) لاى شئ تمنى أن يكون محبوبه شلق كتان ولم يقل شلق خوص أو حلفة أو نحو ذلك (قلنا) لعل شلق الكتان أقوى من شلق الخوص والحلفة أو لعله من باب اشتغال العاشق والمحبوب بزرع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر فهما لا يعرفان غيره فأتى بما يناسب الحال نعم لو كان محبوبه صعيدى لناسب أن يأتى بشلق الحلفة لكون الصعيدى يألفها ولهذا يقال صعيدى مصاص حلفة أو كان خواص لناسب أن يأتى بشلق الخوص فاتضح الجواب وزال الاشكال وتم المقال وقد انتهينا مما أردناه من شرح بعض كلامهم وشهم وفشارهم وحل لغاتهم بلامرا وكشف معناه الذى يشبه الخرا الذى لا يعرف الا بالذوق * ولابد أن نأتى بطرف يسير من شعر من يدعى النظم وهو جاهل ويقول الشعر وهو ذاهل (فمن ذلك) ما اتفق أن هرون الرشيد جلس يوما عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليدا جدا بخلاف أخيه المأمون فانه كان حاذقا فطنا لبيبا بارعا فى النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدرى النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدى أشعر من أخيه وأقوى جراءة وأشد فكرة ومعرفة فى النظم والنثر وان شاء الله تعالى فى غد أقول له ينظم الشعر ويعرضه على أبى نواس فقال لها الخليفة حبا وكرامة فى غد ان شاء الله تعالى نسمع كلامه ونطلع على شعره قال فلما مضى النهار أرسلت خلف ولدها الامين وأخبرته بالقصة التى وقعت بينها وبين أبيه وألزمته بنظم الشعر وأن يعمل أبياتا ويعرضها على أبى

نواس فأجابها لذلك واعتزل فى محل خال عن الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته الباردة حتى عمل أبياتا يأتى ذكرها تشبه رص القلقيل ثم انه أتى الى أمه وأخبرها ففرحت وأرسلت الى أبى نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدى الامين فقد صار ماهرا فى الشعر بارعا فى النظم فقال له أبو نواس أسمعنى ماقلت فأنشد يقول

نحن بنو العباس * نجلس على الكراسى

فقال أبو نواس نعم وأنتم لذلك أهل ومحل وأنتم أصحاب الرتب العالية كمل الابيات فأنشد يقول

نقاتل الاعادى * بالسيف والمزراق

فقال له أبو نواس أتلفت ماقلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وأمر بسجنه فسجن أياما فتفقده الخليفة فقيل له هو فى السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فأحضره وأحضر الامين وسأله عن السبب فأخبره بالقضية كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا أنه رأى فى شعرك خللا ماعابه فقال أنا أنظم غيره وأقوله قدامك حتى تنظر نظمى ونباهتى فيما أنظمه فقال له افعل ما بدا لك قال فمضى الى محله واعتزل وطرد الجوارى ولم يبق أحدا عنده وقدح فكرته الكاسدة حتى عمل أبياتا وأتى الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك أبو نواس فقال لهم اسمعوا شعرى فقال أبو نواس تكلم بما قلت فأنشد يقول

يا قاعده فى الاربع * ما مثلك فى الابلد شبهتك بكنافة * مبسوسة بالخردل
والسمن فوقك سايح * مثل الحصان الابلق

فلما سمع أبو نواس هذا الكلام قام يجرى فقال له الخليفة الى أين فقال الى السجن ياسيدى ولا أسمع هذا الكلام فضحك عليه وعلى شعره فتحقق والده والدته زبيدة بلادته ونكتت (وأسمج) من هذا النظم ما قاله مرجان الحبشى وكان أميرا بثغر اسكندرية وقد عارض بهذا النظم الشنيع والكلام الوضيع همزية الاديب الورع الزاهد العالم الماجد البوصيرى رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمسه أيضا وها أنا أسرد لك هذا النظم الخسيس محوا بابا التخميس وهو

يارسول الله قل من الناس المعروف * أصبحت بينهم مثل الطير المنتوف
بعدما كنت مثل الخروف المعلوف * يارسول الله أغثنا غاثة الملهوف
لقد أضرت به أشرار من الكفاء

يارسول الله ماعاد فى حد خير * يارسول الله ما بقوا ابو قرواص غير ولا كبير * يارسول الله كن لى منهم نصير
يارسول الله أصبحنا بينهم مثل الحمير * وهم يسوقونا بالعصاء

يارسول الله احنا من رعيتك * يارسول الله احنا من جملة أمتك * يارسول الله احنا فى جيرتك
يارسول الله بحق صحابتك * أجرنا من النار لها سعراء

وأنا أمدح نبى ربه استغفاره وعزه * ياما غزا الكفار بعسكره وغزه * ومن صلى عليه ربه لم يخزه

وقدعرج به ربنا وعـزه * وقدرأى من آيات ربه الكبراء
ضاهيت بها همزية الابى صيرى * والفرق بينهما يلوح للتحرير * وانظر الى الصير هو مثل البورى
والاجبل مصر مثل الطور * والا الصقر الصائد مثل البوماء
أنا انتخبت ألفاظها من القاموسا * ومن عارض نظمى فى لحيته يلقى موسا * ومن له فى الادب رتبة أو ناموسا
لابد أن يميز بين الجاموسا والناموسا * وأولاد الحلال ماهى مثـل أولاد الزناء
نظمى هذا ماهو مثل نظم الناس * نظمى هذا مثل درة فى كاس * ومن يسمع نظمى يقول دهاس
قد فقت فى النظم أبو النواس * أنا مرجان والحبشان لى آباء
أنا مرجان والى اسـكندريه * وأدرى بحور النظم بالكليه * ومـن عارض نظمى يلقى بليـه
أنا أصبحت مثل الشمس المضيه * ونظمى مثل نظم أبو العلاء
نظمى مثـل درة فى حـق * لهفى على فـتى عارف محقق * هو ابن المخاض مثل بنت الحق
ولا الجمـل السـباعى مثـل البق * وأنا أصبحت مثل القط أصطاد الفاراء
أنا أصبحت مالى فى نظمى نظير * ولا ضاهى قولى لا كبير ولا صغير * وأنا اعطانى ربي الخبـير
أنا مرجان الحبشى الامير * استخرج الدر من الصحراء
وأختم قولى بمدح طه الزين * ياسـعادة من زاره فى حنـين * وقبـل حجرته وشاف بالعـين
وقال له ياجد الحسن والحسين * اشفع لمرجان ينجو من النار اء
فانظر الى قلة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزية نفعنا الله به وظن هـذا الغبي البليد أن نظمه فى غاية البلاغة واستحكام الصناعة مع أنه أجهل من الحمار وأجمد من الاحجار * ورأيت له أيضا نظما أثقل من الحجارة وأنجس من ماء الحرارة قد حكى فى ترتيبه القلقيل فى الرس وفى رؤيته ذقن العرس عارض به لقلة عقله وسوء جهله خمرية القطب الربانى والهيكل الصمدانى سيدى عمر ابن الفارض نفعنا الله ببركاته فى الدارين

سقينا على ذكر الحبيب مدامة طربنا بها * كيت من الكرم ختامها مسـك
ودارت علينا سقاة فى يدها كؤس * كل ساق منهـم يحـكى لنجمـة الفلك
وياما شفنا من خمـرتنا ورأينا من سكرتنا * أمـور محتبكات ومرتكبات ربك
وشاهـدنا العجائب ورأينا الغـرائب * واندكـت جبال الناس من أطـوار نادلك
مدامتنا هذى تعلو على مدامة الفارضى * وأين الثريا من الثرى ولعمرى بعيد من الدرك
مدامتنا ما مثلها فى الكون مثـل * ولا عنـد الرهبان والقسوس وأبناء الترك
مـدامتنا هـذه من ذاقهـا فى كاسها * قال من طعمها هـذه مثـل السك
ومن أوصاف خمـرتنا اذا صبت على حجر * اقام ذلك الحجـر من حسـن معانيها يبكو

ومن أوصافها كان ان شربها ضعيف * طاب لوقته ولم يعد قط يشكو
ومن أوصافها ان مرمن كوم على ديرها * وشم رائحتها من بعيد خلص بلا شك
ومن أوصافها ان صبت فى قارورة صبا * تنشا كل الامر وراح الطرف من حسنها يحكو
ومن أوصاف خمرتنا ان شربها أبكم * لترجم بكل لسان مثل سنا الملك
وقد شرب منها مرجان شربة * فأضحى بها هائم فى الكون بلا شك
فدونك سادامتنا الاتحودعن شربها * ففى شربها يا خالى البالى الحلك والدلك
وفى شربها فى حانها وسط مجلسها * من يد ساقيها السعد والملك
وأختم خمرتى هذه بصلاتى وسلامى * على نبى عربى جاه الجل يشكو
وعلى آله وأصحابه كلما حطوا الحجاج * عند سيرهم الحول وفككوا

فانظر الى عدم اصابة ميزان هذه الخمرية وفرنها لكون ناظمها اقلب طولها فى عرضها * وقد اتفق أن بعض القضاة من الاروام قال لنائبه نحن ننظم الشعر ونسمى بيت النظامين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لا يبعد عليكم فقال له قد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب أسمعنا اياه فقال

شين الشرع لها شاره * وتقطع مثل المشاره

ماتقول أيها النائب فى هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد أن ضحك عليه وأشار بكلامه اليه وأنا الآخر نظمت محاضرة عروض كلامك وشبيه قولك ونظامك فقال القاضى تكلم أيها النائب وصاحب الرأى الصائب فقال

سعيده كانت مزاره * وتحب طبيخ البيساره

قال فهام القاضى طربا من كلامه ومن شدة ما أعجبه من نظامه وأعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه فى عز واكرام وهيبة واحترام الى أن عزل وأدوات سفره قد حضرت و ودعه النائب بقوله فلا رجعت * وكتب بعض البلداء ممن يدعى النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلى مراسلة يعرفه فيها عن حال بنت تسمى هند وعن أخت لها تسمى عرب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبهما الان طبعه كان يميل للاناث حتى انه كان لا يأكل الامن الزبدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الانثى ولا يقبل المذكر قط وكان من الاولياء العارفين غير أنه كان يغلب عليه الخلاعة والانبساط مع النساء لاجل التستر على أحواله رحمه الله تعالى ونفعنا به فأرسل اليه يقول

بعد أزكى السلام منى نهاضه * لحبيب يحب دون بغاضه
اسمه السلسيلى والشيخ محمد * زادك الله فى الانام رياضه
أنت فى ذا الزمان قمح عزيز * وسواك الانام مثل النفاضه
أنت أرسلت فى الكتاب بتسأل * عن عريب فانها من بياضه

وهنيدزادت عن الكل عجبا * بسواد العيون لا بالغلاضه
من يحب الملاح يسلى الدراهم * وعهدنا ما عتلت شى قراضه
وأنا اسمى راز فى الشيخ محمد * ألضم القول أطرزه بالنضاضه

فلما قرأ الشيخ هذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها الفقيه يقرؤها له لانه كان بصيرا فينشرح ويزول عنه انقباضه * ويقرب من هذا النظم المرثية التى رأيتها لبعض الشعراء البلداء فى رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فأحببت أن أثبتها لما فيها من الابيات المجرفة والمعانى المقلحفة وهى هذه

أحمد الله لطيف اللطفا * فى ابتدائى بديع صنفا
وعلى أزكى البرايا كلها * صلوات الله جاءت بالوفا
وعلى الآل جميعا كلهم * وعلى اصحابه والخلفا
بعد هذا ابتدى مرثية * فى امير موته قد حتفا
جاءه الموت سريعا عاجلا * وعليه عزرئيل عكفا
بعد ما مات بلغنى موته * عند ها دمعى بعينى دلفا
ودموعى من عيونى قد جرت * مثل ما تجرى سواقى مرصفا
قلت لما موته قد جاءنى * صائحا يا اسفا يا أسفا
مات من فى الناس يذكر اسمه * بالامير ابن الخواجا مصطفى
يوم مات الارض كادت أن تغور * والسما صارت سحابا كسفا
والاماكن كلها من بعده * ونبات الارض حقا قلجفا
كم له وسط المدينه سمعة * كالصناجق بل وأعلى شرفا
كان والله شجاعا بطلا * حين تنظره العدا ترتجفا
قد تولى وانقضت أيامه * يا نعم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع أمواله قد قسمت * أخذوها أهل الطمع بالجزفا
لماذا الامير أتانى نعيه * خفق القلب له وارتجفا
والاعادى فرحوا فى موته * لاجل مال ينهبوه جزفا
من معادن فضة مع ذهب * وكنوز أخرجوها قففا
ورثوها بعده أعداؤه * فرقوها اليوم بفرد العلفا
من جواهر لا تضاهى كثرة * لامعات نورها قد رصفا
ويواقيت زبرجد لؤلؤا * ودلاس سابغات رعفا

قدرت في بيت مال عدها * ألف الفي ألف الفي مقطفا
وعلى الكاشف منها أخذا * بعد ما أسرف فيها مجحفا
أودعوها بيت مال بعدما * أخذ الكاشف منها واكتفى
كم أتى في بيته من مرأة * مع بنات لابسات الغدفا
ثم قد ضجن عليه حزنا * وعليه الناس صلت صففا
كم أمير جاء في تربته * ووقع فوق التراب الشقفا
كم فقيه جاء في موتته * وتلا ياسين ثم الزخرفا
ياترى قدمات بالبطن اذى * أو وبا او بالرعاف ارتعفا
ليتني شاهدته في كفن * ذي بياض حين فيه لففا
ليته لو عاش قرنا كاملا * لكن الموت عليه زحفا
ياترى من عاد يخلف بعده * في مكارم قل فيها من وفى
فعسى يأتى حسين بعده * يفتح البيت ويبقى منصفا
ليت شعري لو تخلف بعده * وتكرم مثله كي يخلفا
حيث أخلى داره من حسه * رائد الموت عليه عطفا
هكذا الدنيا دواما طبعها * تقهر الناس وتأتي بالجفا
كل مافيها تراه زائل * تنقلب بالغدر مثل الجرفا
ليس يعجبني الاماره كلهم * كالامير ابن الخواجا مصطفى
كم غمرنا احسانه مع جوده * كم عطايا زائدات بالوفا
كيف لا أبكي على من جادلي * بعطايا ما عطاها خسرفا
رب فارحمه وخلي بعده * امه والست وابنه يوسفا
قد توفى في جماد الاول * سادس الشهر خميسا شرفا
عام أرخ من ثلاثين مضت * بعد ألف من سنين تعرفا
بعد هجرة من أتانا رحمة * بالهدى أزكى البرايا شرفا
يا الهي اغفر لناظمها اسمه * عابد الرحمن وابنه يوسفا
جده يسمى محمد مغوري * فارض عنه يالطيف اللطفا
وارحم الوالد وأجداد له * والامير ابن الخواجا مصطفى
وصلاتي وسلامي دائما * للنبي والآل أصحاب الوفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء على السلطان الملك العادل بيبرس وقد فتح قرية من قرى الكفار فقال له أطال الله بقاء الملك أنا فلان بن فلان بن فلان عاش أبي من العمر ستين سنة وعاشت امي

أربعين سنة وأنا في سن الخمسين سنة وقد عملت لك أبياتا تتضمن تاريخ فتح هذه القرية التي ملكتها ثم أخرج له رقعة مكتوبا فيها

قد فتح السلطان بلدة * وأتى بسعد البلدة فلما فتحها أرختها * حاكما في شهر ذي القعدة

فقال له الملك لم أرد من كلامك الاشعرك ومن نثرك الالحيتك قال فخجل الرجل ومضى الى سبيله (أقول) قد سبق لك أن هذا كله من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب الذوق السليم لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغي للشاعر أن يعرض قصيدته حتى يهذب ألفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من يشاء و يعطيها لمن يحب وقد قال بعضهم في ذلك

لا تعرضن على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت في تهذيبها

فاذا رويت الشعر غير مهذب * جعلوه منك وساوساتهذي بها

* وعشق بعض الفقراء غلاما فأراد أن يخلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة وصار يترجم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد وأراض بعيدة وأماكن صعبة شديدة ويدخل بين الجمع و يشخص ببصره الى السماء فيقول الحاضرون شي لله و يقول لهم انظروا يامحجوبين الاولياء وهم طائرين فوق السحائب وقد أقبلوا من المشرق والمغرب فيقومون اليه ويقبلون يديه و يلتمسون منه الدعاء فلما رآه الغلام على هذه الحالة اعتقد أنه ولي وقال في نفسه أنا لي مدة أخدم شيخي مارأيته شاف نبي ولا ولي ولا أخبرني بشيء من هذا الا يقول لي صلي وصوم وما أشبه ذلك والاولى أن أخدم هذا الولي الفقير لعله أن يطلعني على الاولياء والسحائب الطيارين داعماق الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل منه وأقبل على هذا الشقي وقال له ياشيخ جئتك طائعا ولامرك سامعا واعلم اني تعبت من شيخي وهو يقول لي صوم وصلي واعبد ربك الذي لا اله الا هو ولم أر منه بركة ومرادي أنظر الاولياء الراكبين السحائب الخضر فقال له هذا الشقي اعلم ياولدي أن الطريقة ليست بصوم ولا بعبادة فأنت تريح نفسك من هذا التعب وأنا أصب لك عمود النور في بطنك فتنظر سائر الاولياء من وقتك وتقبل على السحائب الخضر وتركب وتشاهد الملكوت العلوي والسفلي فقال له الغلام فمتى تصب لي عمود النور هذا فقال له حتى أدبر لك ماء الحياة وأستمطره فقال له ياسيدي شي لله وما يكون ماء الحياة هذا فقال له شيء أبيض يجري في قصبة الذكر عند وصول الوجد للفقير وعند الخلوة بالتلميذ قال وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيأ من هذه الامور الذميمة فقال له ذلك الشقي الممقوت قم بنا على الخلوة فأخذه ومضى الى أن صاروا في خلوة التعس والنكس والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح ياولدي على بطنك حتى أصب لك عمود النور فعند ذلك انطرح الغلام على بطنه وصار هذا الشقي يترجم و يبرجم و يهمهم و يرغي و يزبد و يظهر الزور والبهتان والنزغ من الشيطان ثم انه كشف ردف الغلام فازداد به الوجد والهيام وقد اشتعلت في

قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار رخطه على باب تلك القبة المشيدة الاركان المرخمة الالوان ودكه فيه فلم يمنعها الا الخصيتان فعندها صاح الغلام الامان الامان فلم يفلته حتى قضى منه المراد على حسب ما اقتضاه عقله الخسيس فعندها صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزناً أن لا نجائب عنده * ولا الاولياء الا القبائح والذم

ثم ان الغلام قام وأمسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى واستوفى ما قدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتحيلاته على الفعل القبيح قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله عامل عمل قوم لوط (وحكى) عن الامير مقلد رحمه الله تعالى أنه كان سائراً بموكبه وغلمانه الى بعض القرى فرأى رجلا مقتولا بجنب حائط والدم يجرى على أوراكه فوقف ساعة ينتظر أحدا فلم ير أحدا ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلا فقيرا قائما يصلى وقدامه ابريق وفى رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الامير مقلد عنده حتى أتم صلاته وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير يا ابن الدياشق تلبس على الله وعلى الناس ماهذه الخوبشة وتقتل النفس التى حرم الله قتلها فلاى شئ قتلت هذا الرجل الذى مررنا عليه قال فصار يحلف ذلك الفقير ويتضرع الى الله تعالى ويدعوا على الذى قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه ففتشوه فرأوا معه السكين الذى ذبح به هذا الرجل الملقى على الارض ووجدوا جميع حوائجه عنده فلما رأى ذلك الامير مقلد قال له ما أنت فقير بل أنت زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم اقتلوه فقتلوه فانظروا يا اخوانى الى هؤلاء الفقراء المتزندقين وأعمالهم الخبيثة التى لا تحصيها كتب ولا دفاتر ولا دواوين فنسأل الله تعالى السلامة فى الدين والعبادة على اليقين وأن يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق وساروا على قدم الصدق وعرفوا الله بخلوص النيات وترك المحرمات فى مواضع الشهوات والقيام على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ما جاء به الرسول اللهم احشرنا فى زمرتهم وتحت لوائهم آمين يارب العالمين (وسمعت) بعض الملحدين من الدراويش المحلقين لحاهم يقول كلاما يخالف الكتاب والسنة وهو أن البعث والنشور والجنة والنار لا حقيقة لها وأن الشخص جنته وناره وحسابه فى نفسه وأن الدنيا لا تفنى ولا تزول وانما هى شمس تطلع وقمر يغيب وينشد قول أبى العلاء المعرى

أتى عيسى فأبطل شرع موسى * وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لا نبى بعد هذا * فضل القوم بين غد وأمس
ومهما عشت فى دنياك هذى * فما تخليك من قمر وشمس
فان قلت المحال رفعت صوتى * وان قلت الصحيح دخلت رمسى

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه ومات دخلت فى جسد من الاجساد فى آدمى أو فى حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الاول فيظهر بصورته التى كان عليها أولا وهكذا سائر العوالم

فانظروا

فانظروا يا اخوانى الى شدة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم الله تعالى (ويحكى) أن رجلا صالحا أضاف جماعة من الملبسين معتقدا انهم من الصلحاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى أن تكلموا فى القران فقالوا لهذا الصالح أتزعم أن القرآن كلام الله فقال نعم ومن شك فى هذا كفر فقالوا له ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه للنبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع ما قالوه قام عليهم بالسب واللعن وعرف ضلالهم وأخرجهم من منزله على أشأم حال نسأل الله تعالى السلامة فى الدين والدنيا والآخرة (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت أعتقده فجلست معه يوما فتكلم فى فضل العبادة فقال لى يا سيدى ألى عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدى أحمد البدوى نفعنا الله به وقال كن لى يا أبا الفرجات وتقبل عبادتى ويسر لى رزقى فقلت له ما هذا الكلام لا يتقبل العبادة الا الله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدى أحمد البدوى رجل من أولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد أشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له فى ملكه فقال لى يا سيدى انما أفعل ذلك عن شيخى الذى كان يقول لى قبل موته اقصد بعبادتك سيدى أحمد البدوى فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقد مات شيخك على ضلال وعبادتك كلها فى هذه المدة فاسدة باطلة ثم انه أدركته العناية فتاب على يدى وأنقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله وأخلص فى عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رجلا من الفقراء الزنادقة قد هام فى الجمع وغنى فقال

يا هاءيا خد من خراطيز كلبتى * والطخ لحالك والخانمر بن وراك

(وعشق) بعض الفقراء الزنادقة غلاما جميلا فتحيل الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل أشقى منه وعرض عليه حاله وشدة حبه لهذا الغلام فقال له ذلك الشقى خذ مصران غنم واملأه زيتا ولفه على بطنك من داخل الثياب وقف فى وسط الجمع ودردش باللسان وخبر عن الشام وعن الزيتون وأدخل يدك بلطافة وأنت بجانب الغلام وحل المصران وخذ فى يدك شيأ من الزيت وارفع يدك فى الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت فى جيبك زيتونة خضراء فأخرجها بلطافة وأرها للغلام وللناس فيعتقدون أنك ولى من الاولياء ويميل قلب الغلام اليك فاذا أتاك وقال لك علمنى الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصح الا بتدبير النقطة الخارقة وهى المنى ولا يصح تدبيرها الا فى الخلوة وادخل عليه بهذه الحيلة حتى تقضى منه المراد قال ففعل ما أمره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش باللسان وأخبر عن الشام وعن شجرة الزيتون ومد يده الى الهواء فسال الزيت من يده وأظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء وقالوا شى لله وقبلوا يده فجاء الغلام وقبل يده ومال اليه وقال له يا سيدى أكون معك وأطلعنى على الكرامات والولايات

فقال له ياولدى الولاية لاتنال الا بالنقطة الخارقة فقال له ياسيدى ومتى تفعل ذلك فقال له ياغلام هذا لا يكون الا فى الخلوة ولا يصح بحضرة أحد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فأخذه ذلك الشقى ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقى عن ردف ثقيل وخصر نحيل وركب فوقه ودفع ايره فما نفعه الا الخصيتان فصاح الغلام الامان الامان ماهذه ولاية قاتل الله الا بعد ثم قام من عليه بعد أن قضى مراده وتحقق الغلام أن هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك ثم سارا معا حتى اتيا جمع فقراء فى مولد فتنام هذا الشقى بجنابته فى الجمع وترجم وهمهم وقال

علونا على قبة مليحة مرنخة * وصبينا فيها من النور جانب

فأجابه الغلام بقوله ماعدت تنظرها من اليوم ياقبيح * وماعاد لك الا التعب والمصائب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا أن الفقير وصل الى قبة الفلك الاعلى ورقى عليها وأن الغلام فات مريبه وبجبه عنها وفاق على شيخه فى الولاية والحال أنه مارقى الا على هذا الردف الثقيل والخصر النحيل وصب فى تلك القبة الدمعة الخارقة الحارة الدافقة وقبل الخدود ودفع فيه العود فهم فى سكرتهم يعمهون قاتلهم الله أنى يؤفكون وقد قيل فى هذا المعنى

يصان الفتى فى حجرو الدهوان * تدروش قام النائكون وراءه

أى ان احتوى عليه جماعة من الفقراء أو من طائفة الملحدين المحلقين اللحى أو غيرهم من خواسر الطوائف قاتلهم الله تعالى أفسدوا عقيدته وشغلوه عن الدنيا والدين وداروا معهم فى التعاسة والخرى والنجاسة حتى تطلع لحيته فيتركوه خرابا لاذوق لا من النيك يشبع ولا من المال يجمع ومنهم طائفة لا يطلبون الا الامرد دون الملتحى وشاب و يتمتلون و يظنون أنه الصواب بقول من قال

أهواه طفلا فى القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال آخر بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى زان من يحب الغوانيا

فقل لاصحاب العلاء تعقدا * فلا أنا لوطيا ولا أنا زانيا

وهذا بخلاف مذهب ارباب المحبة وسلوكا فى العشق فان الامرد اذا جاوز ثمانى عشرة سنة تجتنبه النفوس ولا يرغب فيه الا وقت القشل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وطهرت لحيته وتغير حاله وعمه الغم وخفى الخال الذى فى خده وصار وجهه مثل قفاه وتلى عليه لاحول ولا قوة الا بالله وقد قيل فى المعنى

التحى الامرد الذى * كان فى التيه مسرفا حسنا كان وجهه * وسريعا تصحفا

سر والله ناظرى * مذرأى ذلك الشقى شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا

وقال آخر سلب الناس بالمحاسن حتى * أذهب الله حسنه والجمالا

طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

(ولوالدى)

(ولوالدي) عفا الله عنه في المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

قاربت للطلوع في الحذذقن * أثرت ظلمة قبيــــل النبات

كانتشار الظلام في الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

(وقال آخر)

ما فعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود ولا بفرعون مذ عصاه * ما فعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لا يكون إلا لرشيق القوام حلو الابتسام من أبناء العشر وذوي اللطافة في الطي والنشر فإذا بلغ خمسة عشر صارت محاسنه لعشاقه محسنة ولواحظه لعذاله ملسنة وهذا هو الغرض والمرام عند أهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فإن حبهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم بادية وضلالتهم عادية واعتقاداتهم فاسدة وتجاراتهم كاسدة ومن فعل هؤلاء الطوائف الذي ابتدعوه والأمر القبيح الذي اخترعوه مع هذه الأحوال وارتكابهم الضلال أنه إذا مات بينهم انسان غسلوه وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله أربعة أبالسة كأنهم من جنس القساقسة أو من دير الرهبان أو من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة أنفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقفون به في بعض المحال يقرؤن فواتح وتضيع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبرة وهم في غبرة وعثرة كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما صار وابه من بلد الى أخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم في خباط وعياط وصياح وشياط واضطراب وجنان ويقولون شي لله يا شيخ فلان وربما زغلط النسوان ورمين عليه الطرح بقدر الامكان * وأخبرني بعض الاخوان ممن شاهد الامر عيان انهم مكثوا دائرين بميت من أول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس هذه فانظر رحمك الله البدعة القطيعة والطريقة الذميمة الشنيعة التي ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وإنما هي اثم عليهم واذية للاموات فعلى العاقل أن يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى

وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر

وأن لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وأرباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم ويعزل عنهم وان رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع قال بعضهم لا تصحب الا من أنهضك حاله ودلك على الله مقاله واختم هذا الجزء بأرجوزة تتضمن ما ذكرناه في هذه الاوراق وما عايناه من أحوالهم بالاتفاق كما تقدم الوعد به عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق قال الفقير يوسف بن خضر * لله حمدي دائما وشكري

ثم الصلاة والسلام أبدا * على رسوله الكريم أحمدا

كذاك كل آله وصحبه * ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد فانى ناظم أرجوزه * لطيفة مفيدة وجيزه
تخبر عن حال ذوى الرذاله * كذا عوام الريف لا محاله
فخذ هداك الله ما أقول * فى نظمها وعنه لا تحول
اذا أردت وصف أهل الريف * أهل الشقا وذوى القحوف
وغيرهم من فقهاء الجهل * كذا قضاتهم عديموا العقل
والعلماء منهم والخطبا * وغيرهم ثم النسا والادبا
فاعلم هداك الله للصواب * لا تصحب الفلاح لاكتساب
ولا لفضل منه حتما تعرفه * ولا لامر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصل * اذ ليس للامر الشديد يحمل
وليس يرجى لقضاء حاجه * بل دأبه الالحاح واللجاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا * تلق له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها * أو تتخذه سيدا وجاها
تصير فى خدمته والنفع * فى الحرث والقلع ونمّ الزرع
وكلما أردت منه تخلص * يرميك فى همّ له ينغص
فاسمع لقولى ان ترد فلاحا * لحاجة فاترى نجاحا
ولا تؤمنه على معامله * فليس يعطيك سوى المماطله
وان تزدمعه سريعا يختصم * يقول لك حتى أسدد الملتزم
وان بقى شئ من الزرع فلك * خذه والا لا تطول أملك
وان أطلت معه المخاصمه * أتاك بالشر مع الملاكمه
ويسحب النبوت والحزاما * ويلزمنك بماله الزاما
وربما يقول للملتزم * هذا يريد أن يزيل نعمى
ويأخذ الزرع بتلك الحيلة * والمال يبقى باأمير بلدقى
وأخرب سريعا وسورا الارض * من حى فلاح عليه القرض
فيمنع الامير رب الدين * عنه ويمسى حائرا فى شين
فليس فيهم أبدا نجاح * وليس يرجى منهم صلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعه * وحالهم حال الوحوش الراتعه
ونطهم فى الوحل ثم الجله * ونشربهم للثور ثم العجله

تسيحهم

تسبيحهم قم رح بنا للساقيه * واحسب لنا مال البلد فى الزاويه
غالبهم عوراتهم مكشوفه * شعرته من طولها ملفوفه
وان حفر البئر يوما قصدا * ينزل عريانا كما قد ولدا
وليس فوق جسمه ما يستر * بل ايره مطلط مطرطر
ولمه للحر والبرد برز * وطيزه من الشقا بها غرز
رجلاه لو تراهما من القشف * مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم فى الطر * فى حالة البرد ووقت الحر
ونطهم فى الحر بالغيطان * كمثل نط الوحش فى الوديان
وضمهم للزرع وقت القيظ * مثل عفاريت أتت فى الغيظ
وان يريدوا المزح والملاعبه * مثل بناش قد أتت محاربه
تلق لهم حينئذ زعيقا * تحسبه يا صاحبى نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد * فى عفر وغبرة وطرد
وان تجمعوا نلعب الكوره * تراهم فى غارة وغوره
من كثرة الصياح والزعيق * والجرى فى الزقاق والطريق
أولادهم ان لعبوا المداره * أو جلسوا للرقص والزماره
أو سرحوا بقصد جمع الجله * أو التقاط سبل أو رجله
مثل عفاريت أتت فى زوبعه * أو فرق من القرود الجائعه
صبيانهم اذ يلعبون فاتح * كأنهم بهائم سوارح
وان هم فى حاجة تعللوا * وعلل الصبيان تلك العلل
وان أتت مواسم كالعيد * تراهم فى النط كالقرود
ومردهم ترقص والنساء * فعيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر * وان تشأ فقل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع ثقلت * مثل قرود فى الفيافى أقبلت
و يقتلون النفس عند كلمه * ان قال شخص يالضد الذمه
شخص يميل منهم لسعد * للشر يدعوهم وكل كيد
ولحرام آخر يميل * يصيح فى اغرائهم يقول
خذوه من قبل ترون باسه * ثم اقتلوه واخمدوا أنفاسه
فذا يصيح يال سعد أسعدوا * وآخر يال حرام أنجدوا

فذانك الافطان دون لبس * عندهم أمر بقتل النفس
فيخربون الارض بالغارات * ويرصدون القتل فى الطرقات
وان أتتهم للقتال عسكر * فروا الى جبالهم واستتروا
وعند ماعادوا الى البلاد * عادوا الى الشرّ وللفساد
فما جزاهم غير قطع الرأس * وشنقهم وضربهم والحبس
فقسوة القلب لهم طبيعه * وقلة الخير لهم ذريعه
ومشيهم فى الحرّ من غير وطا * ونومهم فى الغبط من غير غطا
وطرّهم فى ظلم الليالى * فى الجرن ياصاح أى التلال
قد يبست جلودهم فى الحرّ * كأنها قد خلقت من صخر
ونطهم فى الضين ثم الوحل * وضربهم للثور ثم العجل
وحشرهم فى البئر والسواقى * ومشيهم أيضا بلا طواقى
ومنهم من لا يزيل شعرا * والرأس لا يحلقه ما عمرا
ولا يقص شاربا أو لحيه * ولا ينظف قلبه من خريه
وشدّة فيهم على الخناق * منها يطول الشرّ باتفاق
وضربهم للاب ثم الام * وصبرهم للجسر ثم الطمّ
وأكلهم فى العدس والبساه * كمثل أكل كلبة أو عجله
ومن تراه منهم يصلى * تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس * ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جثا يوما على الفسقيه * تجد له طيزا كما البرنيه
كذالث من بجنبه وآخر * وذا مخاصم وذا مشاجر
وان أقام عندهم ذو فضل * فهو حقير عندهم فى ذل
ولن يطيعوا الشرع الا غصبا * أو يوجعوا الاجل ذالث ضربا
وهم عبيد قابض الاموال * فعندهم كالم أو كالخال
ويجلسون عنده فى أدب * أو يقف الواحد منهم كالصبى
وليس فيهم رحمة لعالم * لكن لاهل الشرّ والمظالم
فالشرّ والعدوان فيهم شائع * والخير والاحسان منهم ضائع
أخلاقهم تروى عن ابن حجر * طباعهم تروى عن ابن بشر
دناسة اللبس لهم مرويه * عن ابن شلتوت له معزيه

ذقونهم تروى عن ابن زحل * وانضرط القساة وابن زبل
فلا جزاهم ربنا خيرا ولا * لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه * اذا أتى كأنه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف * سوى بذاك الاسم حين يوصف
وان جثا يوما على ابدمان * كأنه الناطور فى الغيطان
يفترس الاكلة من يسار * ويبلعه عن مضغ ذاك عارى
يقول أروى لكم روايه * تنبى عن التمييز بالدرايه
وفى غد أروى لكم قصيده * لمنتزى فى عبلة الفريده
كذلكم داهمة الطبال * وسيرة الراهب والجمال
واشرح لكم واقل لكم عن شيحه * وام جابر بنت أبو فريحه
وأروى لكم ما قد أتانى عن أبى * وأبى قد قال أيضا عن أبى
وقال جدى ذاك أبو غنداف * صلوا ولو كنتم على المقداف
ولو بلا وضو ولا طهاره * كما روى عن جدتى شراره
قاضيهم اذا أتى لشغل * مثل رئيس قد أتى بالطبل
ينزل عن البغل أو الحماره * كأنه الراهب أبو زراره
وعند ما يجلس فى الاناخ * تفرش له قطعه من الانخاخ
وبعد ذا يأتى اليه المشتكى * ثم يقف على عصاه متكى
وبعضهم على العصا اليه * رحلاته وهو ثقيل خف
يسأله يا قاضى الهموم * هات لعندى ابن أبى دعموم
وحياة دقنك حتى سرقها * واردع قفف من زبل ما حرقها
وقد أخذه وحياة رأسك حد وتى * وعمتى المشرمطه ولبدتى
احكم بحكم الله يا قاضى البلد * والا ضربتك ألف نبوت بالعدد
يقول هذا قد لزمه الحد * حيث سرق وسمه تنقطع يد
ربح يا قضايا عرص يا ابن الزبله * ادفع له قيمة هذى العمله
وصالح الخصم وهات لى فرخه * والا على دقنك أشخ شخه
ان عقد النكاح ليس يدرى * منه سوى زوجت بنت عمرو
وليس يدرى شاهدا ولا ولى * ولا يعرف صحة من عالى
اذا قضى قضيه وبتها * يجرى سريعا عندها يا ليتها

فقيرهم شعاره الابريق * والنط والصريخ والتصفيق
وذا مريدي ومريد جدي * وذا الولد بداتي وعبدي
يسير طول الليل خلف ظهري * غير مصلي مغرب أو ظهر
الا باذني أو بدا تشويشه * ومن رآه قال ذادر وينسه
وعندما يأتي به الموالدا * من خلفه تلقاه حقا لابدا
ويدخل الجمع به يدروش * وباللسان بينهم يدردش
فيزعقوا ويضربوا الكفوفا * ثم يقوموا كلهم صفوفا
ثم يقولوا أخبر الشيخ الولي * عن أوليا جاءت من ارض الموصل
هذا يجي بين السما والارض * على النجايب ما عليه من فرض
ولا بقي عاوز الى عباده * هذا بقي في نفسه الرشاده
هذا فقير بالقول والاشاره * هذا ولي فسية الحاره
وان تسله حالة الطريق * يقول ما نعرف سوى الابريق
وهز وسطي ثم طرق يدي * وميلان لبدتي وشدي
ان قدم الماجور احط كفي * واطلع بلقمه مثل دور الخف
وبالدراويش بجنب الشط * أمشي وابريق تحت ابطي
وانزل على من لي عليه سياده * أقل له البيته وهات العاده
وهات لي الفرخا مع العليقه * وليس يعرف غير ذي الطريقه
ومذهبي يا سعد يا حرام * ولا أقل بأن ذا حرام
أخذت عن شيخي بهذا الفعل * فهو حقيق مشبه بالعجل
ومنهمو طوائف خوامس * وكلهم بجمعهم أبالس
لا يعرفون الصوم والصلاة * ولا يرون الحج والزكاة
تراهمو جميعهم أنعاما * لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات * وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر * وقتله قد حل هذا ظاهر
فكلهم بجمعهم أراذل * وليس فيهم رجل عاقل
لا أهل فضل أو لذي كمال * بل كلهم في رتبة الجهال
ناظمهم ان قال يوما شعرا * فشعره يشبه طعم العذرا
أو قبح قول جا بلا روايه * أو رص قلقيل بلا درايه

ان لم تكن ذقت الخرافي العمر * فذق كلام نظمهم والنثر
سماعه اذا بدا رزيه * لكن له ما بينهم مزيه
لكونهم أجلاف مع أوباش * مثل عير الجون والكباش
أسماؤهم تخبرك عن أوصافهم * ألقابهم تنبيك عن أشرافهم
وهم حنيجل وجليجل وقطا * والحاج عنطوز بن أبو فردة وطا
وعفر مع دعموم مع زعيط * كذا خرا الحس وأبو معيط
ثم قليطه وشلاطه قد ورد * كذا الهاطه وزعاطه في العدد
شقليط مع مغليط مع خبيط * صغار مع بهوار مع سرميط
بزبوز مع عموز مع قرّوش * سمعوت مع برغوت مع غلوش
البقش ثم العفش عنهم ذكروا * كذا حنين بن بنين شهروا
كذا سمعنا أنهم يكنوا * ابو شوالي ومنادر يعنوا
كذا أبو عفر أبو دعموم * وابو الدواهي مع أبو الميشوم
أبو شادوف أبو جاروف أبو نطاح * مشكاح أبو رماح أبو رياح
من جهلهم ميم محمد يكسروا * والحاء أيضا عندهم قد تكسر
محمدين قد سمعت منهمو * كذا بهام وعقريب فيهمو
والقلط والضراط قد روينا * ويبدلون الصاد أيضا سينا
فهذه أسماء مثل الوحل * أو أنها شبه ضراط النمل
وان ترى الاسماء لا تعلل * فانها والله بئس العلل
وان ينادي الشخص منهم آخرا * يجيبه بقبح لفظ كالخرا
وان ينادي المرا ياداهيه * تجيبه لما يشخ عليه
وعندهم من أفصح اللغات * كقولهم في الارث ذا ميراثي
وضب في البوشه وهات جوادي * ماضال آتي مازال هذا الوادي
يعنون بالجوادمر كوباحضر * كذا الذهاوتالي الكرامون السحر
جعبو بتي راحت من المرجونه * سيري اسكني جوّا حدا الطاحونه
قومي الحتي لي في الزربيه نقره * لاجل أقوم بالليل وفيها أخره
غدا ترى الجدعان نطوا في المراح * يوم الهرويه في الزربيه بانشراح
جمارا جابجعمص مسخمطجله * اليوم الوعنزين وعنده عجله
والحج عنطوز قد حضر في كرشه * اليوم وراح هربيط وجاب له كرشه

وحطها فى الدست يطبخها بفرحه * بنرتها خدها ابن راس المسمه
اليوم بلدنا شيخها ابوعوكل * وابوفسوه وابوضرطه وهيكل
والحج قلوط الكبير فى هودج * والحج جماس بن حزق النورج
وانما اسماؤهم مناسبه * ذواتهم وافعالهم مقاربه
نساؤهم ايضا لهن اسما * نفدهديه بعدها وتجما
زعره وبعره مبكله خطيطه * باوه وعلوه شايعه حريطه
شيخه زراره مع شباره سموا * كذا معيكه وركيله ضموا
سقافه ايضا كذا شلبابه * وخربوه وفسيوه وعطابه
كذا شقيره ثم غاسوله ورد * حمده وايده وعطيه فى العدد
وطالبه وهاربه حطيبه * كذا فريحه بنت ابوعربه
وقد سمعت رجلا ينادى * تجه خدنوه اغلى الزبادى
واحلى البقره وهاتى الجحاه * روحى حدا الجدعان وشوفى النخله
قومى وحطى العدس فى القصوله * انى وانا بنت ابوبعبوله
ياداهيه ياداهيه تعالى * جنكى من الحيط بنت ابوشوالى
قومى تعالى تعشى بنا فى الموضع * ابنك بيخرى هى تقالى كل واشبع
هاتى لنا قطعه وسخ من ابنكى * الطخ بها الجلد وشوفى تتكى
ياداهيه روحى وهاتى البقره * أنت وبنت الحس قتالك خضره
ياداهيه روحى وشوفى النقره * فى وسطها جلد طريه خضره
وحولها اشوفى الحمار والمجله * وانى بعرتها اعملها جله
فهذه اسما النساء نخرا * شبيهة بالوحل عند الخرا
ولقبهم يا ابن الوطا يا حدوه * يا خرا الحس وابن بنت الفسوه
يا علق ما تجى عند يابوكاره * يلى بتخرى كل يوم فى الحاره
وانا بتقعد للمسا فى الشونه * وكم بنيكوك فى الدره بالعونه

(تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثانى من تجزئة المؤلف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني كان الله له ورحم سلفه انه لما كانت الهمة البارده والفكرة الكاسده تحركت اياما قلائل لتأليف كتاب صار في الاوراق حاصل في احوال أهل الريف باتساق ومالهم من نظم ونثر وحب واشتياق وصار جرا لا يرى في الكثافة له شبيه ولا يكترث به ذو فضل في العلوم نبيه وكان كالمقدمة للقصيد وقد حوى معاني تشبه قحوف الجريد وختم بالارجوزة الحاوية لما فيه من النثر والاشعار وغايته أنه اغتراف من بنات الافكار أردت اتصاله بهذا الجزء الثاني وحل معاني القصيد التي عليه مدار تلك المباني فحركت فكري الخامله وأطلقت عنان اليراع لبيان تلك الامور الحاصله لحل معاني نظم القصيد منسكبا عليه انسكاب الوابل على الصعيد بالفاظ يفوح معناها كريح النسوى ومعاني تشبه في الرضع خابط عشوى فساعدتني الفكرة لما اليه قصدت وتحركت معي لما اليه أردت وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود (عيون) ذكر نسب الناظم وما حواه وذكر الموضع الذي ضمه وآواه وسبب سعادته وحصولها وصفة لحيته هل كانت طويلة أو قليلة طولها وكيف مال عليه الدهر في آخر الزمان حتى أنشأ هذا القصيد واشتهر عنه وبان فنقول (أما نسبه) فعلى أقوال فمنهم من صرح أنه أبوشادوف بن ابو جاروف بن شقادف بن لقالق بن بحلق بن عفلق بن جعفر بن دعمرم بن فلس بن خرا الحس فاذا ذقت الكلام بمقول عرفت انتهاء نسبه على هذا المقول (وقيل) ابوشادوف بن أبي جاروف بن بردع بن زوبع بن بحلق ابن عفلق بن بهدل بن عوكل بن عمره بن كل خرا فانتهى نسبه على القول الاول لابن خرا الحس وعلى الثاني لابن كل خرا وهو الاصح لان أكل الخرا أبلغ من لحسه (وأما قريته) ففيها خلاف قيل انه من تل فندرولك وقيل من كفر شمرطاطي وهو الصحيح لان الناظم صرح بذلك في بعض أشعاره يخبر عن نسبه فقال شعر

أنا ابوشادوف أنا قال لي ابويه * ونظمي حق ماهوشي هبايل * أنا ياناس في قولي دلايل
بكفر يعرفوه ناس أوايل * باني قد تربيت باجماعه * عليه وجدتي ديك أم نايل
وذا قولي وابوشادوف اسمي * فكن صاحب فهامه بافساقل * يسمى كفر شمرلي مطاطي
* وشعري حق من جاني يسايل *

وسمعت شعرا لبعض أهل الريف يدل أنه من تل فندرولك وهو هذا

ابوشادوف عنه خبرونا * كلاما ما كاشبه الحديد * سمعنا من قديم ومن جديد
وعاش ياقوم وانشا لو قصيد * بتل فندرولك وفيه تربى * بقول حق جانا بالوكيد
وذاقوني وا ناغنداف اسمي * وكم من نظم اجيبو من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال انه ولد في كفرشرطا لمي وتربى في تل فقدرولث (وأما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جدًا وقال آخر كانت معتدلة في الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال انه لما كان في ابتداء عمره في سعادة كاملة ونعمة وافرة كما سيأتي كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهدها بدهن الفراخ والزيت الحار والتمشط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر وتغير عليه الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من أكل الطبوع والصيبان ونحو ذلك أي أنها نشأت في الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها ضر طولها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر

ذقن طالت فافسدت * عندما اضر طولها قصروها فاصلحت * عندما قل طولها

(وقيل) من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفي المثل طويل الذقن قليل العقل) كما اتفق أن بعضهم كان له صاحب طويل اللحية واسمه يحيى يؤدب الاطفال ففقده أياما فسأل عنه فقيل له هو منقطع في بيته حزين فظن صديقه انه مات له ولد أو أحد من أقاربه فذهب اليه فرآه في حالة الحزن وهو يبكي وينوح فقال له عظم الله أجرك وأحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت فقال له أتظن انه مات لي ميت قال فما الخبر فقال له الشيخ اعلم اني كنت جالسا ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول شعر

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى علي فؤادي أينما كانا
لا تأخذين فؤادي تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت في نفسي لولا أن أم عمرو هذه من أحسن الناس وأجملهم ما قيل فيها هذا الشعر فشغفت بحبها أياما وانقطعت زمانا ثم اني جلست يوما من الايام فسمعت قائلا يقول

اذا ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقلت لولا أن أم عمرو هذه ماتت ما قيل فيها هذا البيت فداخلني الحزن واعتراني الاسف قال فتحقق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم في يوم شديد البرد فرأى رجلا صغير الرأس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت ابطه حراما أبيض من الصوف مطوي فقال له لاي شيء لا تضع هذا الحرام عليك يقيك ألم البرد فقال أخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حسنه وتزول بهجته قال فتحقق الرجل قلة عقله وتركه ومضى * وأجود اللحى ما كانت معتدلة متساوية الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شبرا أو شبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفا فطنا قلنا الجواب أن الله تعالى كان قد أعطاه ثلاث آيات منها طول لحيته وأنها كانت خضرة اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط أو يقال انه وان كان على غاية من المعرفة فهو في حكم مسلوب العقل لادعائه الالهية وارتكابه الامور الشنيعة ونحو ذلك فالكلام على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) أحذر الناس وأشطنهم الاجاردة فينبغي لمن صاحبهم أن يكون

منهم على حذر لشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم للامور * كما اتفق ان بعض الملوك قال لوزيره من أشطن الناس وأحذرهم قال الاجرود قال أريد أن تطلعنى على حقيقة ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقة ثلاثة أذرع وتأمر الناس يحضروا للاكل فاذا احضروا وجلسوا تأمرهم أن لا يأكلوا الا بالملاعق وأن الرجل منهم لا يمسك الملعقة الا من طرفها ويأكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما أمره به الوزير وحضر الناس للطعام فلما جلسوا أمرهم أن لا يأكلوا الا بالملاعق وان لا أحد يتجاوز بالمسك طرف الملعقة كما مر قال فارادوا الاكل فلم يقدروا وأرادوا القيام فمنعهم الملك وأمرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد أن يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيروا فى أمرهم فبينماهم على هذه الحالة اذ دخل عليهم رجل أجرود فقال لهم ما بالكم لا تأكلون من الطعام فأخبروه بالقضية فقال هذا أمر سهل أنا أدلكم على حيلة تأكلون بها ولا تخالفوا أمر الملك كل رجل منكم يطعم الذى قبالة وجهه وكذلك الآخر بملعقته يطعم من أطعمه حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والآخر يفعل مع الآخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا قال فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وأمر له بصلة وخلع على الوزير * ووقف رجل أجرود بين يدى بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك انى متعجب من شكواك يعنى أنك أجرود ولا يغلبك أحد فقال العفو يا ملك ان كان فى وجهى بعض شعرات فان خصمى أحلس أملس لا شعر بوجهه قال فضحك الملك وأنصفه من خصمه وأمر له بصلة (وأما سبب سعادته فى ابتداء أمره وكيف مال عليه الدهر) فعلى أقوال أحدها أنه لما نشأ وصار له من العمر عشر سنين كان فى قوة وشهامة ومعرفة فى رعى الغنم والنط فى الغيط والمشى فى الحر حافيا عريان وكان يشيل الجلة الخضرا على رأسه من الغيط الى داره فى أسرع زمن حتى ان الرطوبة المتحللة منها كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما عم ما يسيل منها بقية جسده كما هو عادة أولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجها الا ان صادفه رشاش بول عجلة أو بقرة وهو سارح الى الغيط أو مروح فيمعكه بيده فيكون قائما مقام الماء اغسل وجهه وكان مع هذه النظافة القشروية لا يغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكورة حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الدارة والطبلة والزمارة والعياط والغارة وضرب الكلاب بالسخام والهباب حتى انه من دون رفاقته صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما قال فيه شاعر القريتين

شعر

أبو شادوف من يومو مجمص * شبيه الجرو يتنطط بقوه
ويسرح غيط أبو بعره ويجمع * من الجلة الطريه فى القروه
وهو عريان وشايل فوق راسو * ووجهو صار كيف وجه البعوه
وما قد سال من الجلة الطريه * يسيل عليه وما عندو مروه
ويقعد شهر ما يغسل لو شو * ولا شهرين وجسمو فيه قوه

ويسرح للفحى في الجرن يكنس * ويطرد مثل كلبنا أم جروه
وباز ينو أبو شادوف لما * يجي الجارس يقطع وسط ربوه
ويبنزل ينسرد فيها وراه م * ويرنطط كما عفريت خلوه
أبو شادوف من صغر ومدال * تربى عندنا كاب بن جروه
أبو شادوف عطاه الله نعمه * لبس لبده وعندو اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد * حدا الصراف ورأسو جنب حدوه
يقول سيدي يقول يا معرص * تحد المال أو اتخايلك دعوه
وهو من مثل أبو شادوف يقبض * وابوه وعمتو بات أم فسوه
ونختم قولنا بمديح محمد * رسول الله كم ازاح كل بلوه
عليه ياربنا صلي وسلم * وأصحابه الكرام أهل الفتوه

وكان الناس يحسدون والده عليه ويحل قوته وشطارته وشدة همته في نقرة الطلة وصوت الزمارة وكان أبوه قدملك في حال حياته حمارا أعرج وعنزتين وجحشة في ثور الساقية ونصف بقرة وعشر فرخات وديكوم وأربع كيلات نخالة من شعير ملك شعير أربعماية قرص جلة ومطمورة يخزن فيها الزبل أيام الشتاء وكان عنده قلة مكسورة وزير أقرم وحوايه تكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلما تمت له هذه الحالة والسعادة توفي الى رحمة الله تعالى كما في الخبر بأن الشيء يوم يبدع يموت وما أحسن ماقال الشاعر اذا تم شيء بدا نقصه ، ترقب زوالا اذا قيل تم
فكفنه ابنه أبو شادوف في رداء من محرالكتان ودفنه في تربة تعرف بتربة ابن جاروف شط بكفر شرطاطي وقيل بتل فندروك وقد يجمع بين القولين في قتل مات في كفر شرطاطي ودفن في تل فندروك وقبره الآن يعرف بقبر أبو جاروف يزوره النلاسون ويا عبرون بجانبه الكردة ويداتبول عليه البهائم في بعض الاوقات وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال شعر

الا كونوا اسعفوني ياجماعه * رأيتكو ياشفوني كل ساعه
أبو جاروف ولى اليوم عنا * وخلا العنزوالبقره بتاعه
وخلى نت عمو أم فلحس * تعيط اليوم تبكي وسط قاعه
وابو شادوف يعيط وسط راسو * أريامات وعندنا في شناعه
وراح من كان شيخ الكفر يحكم * على الجدعان ودوليك الرباعه
ولما كان يركب يوم غاره * على كلبه ويندلع دلاعه
ويلبس لبدتو من فوق راسو * ودقنو بارد فيها سقاعه
وهو لو جرو ابن شرى فلحس * وأهل الكفر مامنهم شجاعه

تقول

تقول ريس على جوق المغانى * أرا الخلبوص جا يشفع شفاعه
وحسو راح ربى ارحم عضامو * وبشبش طوبتو فى كل ساعه
وأبو شادوف يا الله ابقى شبابو * ويصبح شيخنا صاحب فقاعه
ويبقى مثل ابوه راكب وحولو * جماعه فى جماعه فى جماعه
ويتمنطز ويسرح فى السهارى * ويتجعمص ويقعد فى السراعه
ونختم قولنا والدايم الله * وذا الكاس حق ما فيه اندفاعه
وأنا شاطر وشاعر طول عمرى * والضم لضم يتلمع لماعه
جعلتو فيه يحزن من يشوفو * ووقعتو بقولى اليوم وداعه
وصال على الزين أصلى طول عمرى * نبى الله وأطلب لى الشفاعه
وابو شادوف انا الاحد غيرى * وضر بقم تكتم دى الجماعه

قال ولما فرغ العزاء ورق الزمان وآخذ نشاط أبو شادوف المشايخ والجدعان وتصدق على والده بالفطير المعمول بالنخالة والشعير ولطخ قبره بالوحل والبله وتمل بجا بيه مدودا بحبله سحب النبوت وتمشى كالمعوب وانتشى على الدنفر واطاعه زيد وعمرو وجلس على ركبته ودحف مورط وعيط واتنطط وغنى وقال وافتخر بهذا المقال وأنشد وجعل يقول شعر

أبو شادوف تمسى بأسلامه * أقول أقول وأنا صاحب فهامه
ولولا أن ابويه فى ترابو * أنا فى الكفر شيخ بلا ملامه
واحكم على المشاه واسرح واروح * وأخوض البحر الى حد الحزامه
واشد على الحمار وأركب وحولى * جماعه شبه شمعه فى ضلامه
أبو عنطوز وأبو بزبوز وعملق * ودم الخس قمالى وابو عمامه
وأنا ماعاد كيفى اليوم واحد * وأضال انى اجعمص فى شهامه
وأطعن قرن من خالف كلامى * بنبوتى وأدسر بو عضامه
أبويه كان قبلى شيخ عليكم * فخلونى وروحوا بالسلامه
ونختم قولنا بعد النبى محمد * وأصحابو الملاح أهل الكرامه

قال فعند ذلك حسده المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التى حصلت له بعد وفاة أبيه على التركة فأغروا عليه الحكام فأرسلوا اليه وعارضوه فى جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الا مطمورة الزبل التى ادخرها وهى التى كانت سببا لسعادته بعد موت أبيه على ما قيل ثم صار يدارى الناس ويتملق لهم بالكلام الى أن تناست القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطموره ليلا وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشرين نصف فضة وأخذ بهم بيضا وطلع مصر

فصادف عيد النصارى فباع البيض بزيادة عن ثمنه فكان هذا سبب السعادته وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل وأخذ بثمنه بيضا فكانت سعادته من مجموع ثمن الزبل والبيض فلا تعارض فى ذلك وكان يعطى و يتكرم فقصدته الشعراء والادباء من أطراف الكفور حتى انه أجاز شاعرا بخمسين بيضة وكيله شعير وأعطى آخر مائة قرص جلة وجاءه آخر بغرارة فلا هاز بلا من أولها الى آخرها ودفعها له * وكان قد أقبل عليه الرزق زيادة عن والده فكان عنده ورتين وعشرين فرخة بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوت أعوج ولبدة وخلقة زرقا وقفة ملانة نخال وعشرة حزم عروق جوز ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحالة يبارك له المولى فى رزقه فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) أن بعض الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يافلان امض الى محل كذا خذ منه ألف دينار فقال أفيها بركة قال لا فقال اذهب عنى فأتاه مرة ثانية وقال له اذهب الى المحل الفلانى خذ منه خمسمائة دينار فقال أفيها بركة قال لا فقال اذهب عنى ولم يزل يأتيه مرة بعد أخرى حتى قال له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال أفيه بركة قال نعم فقال اذا آخذه فذهب وأخذ الدينار و بورك له فيه وصار فى نعمة وسعادة زائدة فالشخص اذا قنع شبع وبورك فى قليله قال الولى الصالح العارف بالله تعالى سيدى يحيى البهلول رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين آمين

استقنع بقليلك * يأتيك الله بكثيره

وقال كم عارض بعد رشاش * ينهل من المزن أنا مالى فياش * ايش على منى أقلق من رزقى لاش * والخالق يرزقنى

وقال رضى الله عنه

يا ابن آدم قل طمعك * ذا السعاده وعد سيدك لا تنقل دا بالشطاره * أو تحصلها بايدك
لو تكن تبع زمانك * غير رزقك ما يجى لك ان رزقك مثل ظلك * ان مشيت يمشى قبالك
من له فى الغيب شئ * لا يموت حتى يناله

وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه

وجدت القناعة كنز الغنا * فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يرانى على بابه * ولا ذا يرانى عليه منهمك
وصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس كأنى ملك

حتى مال عليه الزمان وجفته الاهل والخلان ونفد جميع ما كان معه من المال وصار فى أكبر الهم وأشد الاحوال ولم يجد له خلا ولا مساعد ولم يبق الا الذى خلف له الوالد وأخذ مشيخة الكفر من كان خدامه ولم ير له مساعدا ولا صديق ولا صاحبا ولا رفيق كما هو عادة الدهر فى رفع الاسافل وخفض السادة الاماثل فهو كالميزان فى فعله أو المنخل فى حاله ونقله كما قال الشاعر هذه

الابيات

الابيات رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذى شيم شريفه
كمثل البحر يغرق كل حى * ولا ينفك يعلى كل جيفه
أو الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذى زنة خفيفه
وقال آخر الدهر كالمنخل فى فعله * فاعجب لما يصنعه المنخل
يحط لب اللب من تحته * وترفع القشرة والفسول

فحوادث الدهر تأتى على غرر ويذهب الشخص على خطر وقد قلت فى مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الابيات

حوادث الدهر قد تأتى على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الضرر
واعدد لها من دروع الصبر سابغة * تقيك شدتها اذ ترم بالشرر
كانت ليالى بها اللذات مثمرة * قطفت منها ثمار العز فى الصغر

الى آخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل والتسليم الى الرب الجليل وممن دهمه حادث الزمان وانصرفت عنه الاهل والخلان (ما حكى) أن بعض الحسدة وشى بالوزير الكاتب ابن مقلة الذى انفرد فى زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس على الملك فى بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقاء والمحبون ولم يأته أحد الى نصف النهار فتبين للملك أن الكلام عليه باطل فامر بقتل الذى وشى به وأعاد ابن مقلة الى ما كان عليه وندم الملك على ما فعله معه من قطع يده فلما رأى اخوانه أن نعمته عادت اليه عادوا اليه يهنوه وأقبلوا اليه يعتذرون له فعند ذلك أنشد يقول شعر

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا
يا أيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان

قيل مكث يكتب بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات ومن النوادر الدالة على فصاحة ابن مقلة ما اتفق أن رجلا كتب رقعة وأتاها اليه بحضرة الملك ليقرأها عليه وكل لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقلة لا يقدر أن ينطق بهذا الحرف (وصورتها) أمر أمير الامراء أن يحفر بئرا على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما أن تأملها غير الالفاظ وأتى بالمعنى وقال حكم حاكم الحكام أن يجعل جب على شاطئ الوادى ليستقى منه الغادى والبادى وكان هذا من قوة بلاغته رحمه الله تعالى وقيل أربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت فى الفصاحة ولقمان فى الحكمة وابن أدهم فى الزهد وابن مقلة فى حسن الكتابة والخط قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة * وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس * ونودي عليه لا يباع بدرهم

وأما ضد هذه الاربعة فلله در من قال فيها

سماجة أطروش وثقل ابن قمئة * وغفلة قرنان وعكس ابن ابهم
اذا اجتمعوا في المرء والمرء موسر * لكان فصيح القوم عند التكلم

ومما دهمه حادث الدهر وعلاه الهم والفقر فاصبح بعد العز حقيرا وبعد الغنا فقيرا ما اتفق أن رجلا ركبته الديون فترك عياله وخرج هائما على وجهه الى أن أقبل على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو في حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وآلمه السفر فمر في بعض شوارعها فرأى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلا فدخل معهم الى أن انتهوا الى محل يشبه محل الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم الى أن انتهوا الى رجل جالس في هيئة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كأنهم من أبناء الوزراء فلما رآهم قام اليهم وأكرمهم فأخذ الرجل المذكور الوهم واندهش مما رأى من البنيان والخدم والحشم فتأخر الى ورائه وهو في حيرة وكربة وخائف على نفسه حتى جلس في محل بعيد منفردا عن الناس بحيث لا يراه أحد فبينما هو جالس اذ أقبل عليه رجل ومعه أربعة كلاب من كلاب الصيد وعليهم أنواع الحرير والديباج وفي أعناقها أطواق الذهب بسلاسل من الفضة فربط كل كلب منها في محل معد له ثم غاب وأتى بأربعة أصحن من الذهب ملآنين من الطعام المفتخر ووضع لكل واحد من الكلاب صحنا على انفراده ثم مضى وتركها قال فصار الرجل ينظر الى الطعام من شدة الجوع ويريد أن يتقدم الى كلب ليأكل معه فيمنعه الخوف فنظر اليه كلب منهم فبصره الله تعالى بحاله فامتنع من الأكل وأشار اليه فدنا منه فأشار اليه ثانيا أن كل من هذا الصحن فتأخر الكلب فأكل الرجل حتى اكتفى وأراد أن يذهب فأشار اليه الكلب أن خذ الصحن بقية ما فيه من الطعام وألقاه له وستره بكمه ومكث ساعة فلم يأت أحد يسأل عن الصحن فمضى به الى حال سبيله ثم سافر الى مدينة أخرى فباع الصحن وأخذ بثمنه بضائع وتوجه الى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق وصار في نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة مدة من الزمان فقال لنفسه لا بد أن تسافر الى مدينة صاحب الصحن وتأخذ له هدية سنية تكافؤه بها وتدفع له ثمنه وان كان أنعم به عليك كلب من كلابه فأخذ هدية تليق بمقام الرحل وأخذ معه ثمن الصحن وسافر أياما وليالي حتى أقبل على تلك المدينة وطلع اليها يريد الاجتماع به فأقبل على محله فلم ير الا طللا باليا وغرابا ناعيا وديارا قد أقفرت وأحوالا قد تغيرت وحالا للتلاف قد أرجف وشخلا تركه الدهر قاعا صفصف كما قال بعضهم هذه الابيات

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني * سحيرا وصحبي بالديار رقود

لما انتبهنا للخيال الذى سرى * أرى الدار قفرا والمزار بعيد

فلما شاهد تلك الاطلال البالية ورأى ماصنع الدهر بها علانية اعترته الحيرة عن يقين والتفت فرأى رجلا مسكينا فى حالة تقشعر منها الجلود ورؤيته تهون الى الجلمود فقال له يا هذا ماصنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان وأين بدوره السافره ونجومه الزاهره وماهذا الحادث الذى حدث على بنيانه وما الامر الذى لم يبق منه غير جدرانه فقال له هذا المسكين وهو يتأوه من قلب حزين أما فى كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه حق على الله أن لا يرفع شيأ فى هذه الدار الا وضعه وان كان سؤالك عن أمر وسبب فليس مع انقلاب الدهر عجب أنا صاحب هذا المكان ومنشيه وساكنه وبانيه وصاحب بدوره السافره وأمواله الناخره وتحفه الزاهيه وجواريه الباهيه ولكن الزمان قد مال فأذهب الخدم والمال وصيرنى فى هذه الحالة الراهنه ودهمنى بحوادث كانت عنده كامنه ولسؤالك هذا عن أمر وسبب فاخبرنى عنه وأترك العجب قال فأخبره القصه وهو فى تألم وغصه وقال له قد جئتك بهديه تفيها النفوس ترغب وثمن محملك الذى أخذته من الذهب فانه كان سببا لغنائى بعد الفقر ولزوال ماكان عندى من الهم والحصر قال فهز الرجل رأسه وبكى وأن وشكى وقال يا هذا أظنك رايته مجنونا فان هذا أمر لا يكون كلب من كلابنا تكرم عليك بصحن من الذهب أفأرجع فيه ولو كنت فى أشد الهم والوصب والله لم يأتنى منك شىء يساوى قلامه فامض من حيث جئت بالسلامه ثم قبل الرجل أقدامه ويديه وانصرف راجعا يثنى بالمديح عليه ثم انه عند فراقه ووداعه أنشد هذا البيت الذى يناسب ماعمه فقال

ذهب الناس والكلاب جميعا * فعلى الناس والكلاب السلام

وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب ورمته الليالى بسهام الهموم من قسى المصائب فأصبح بعد الجمع وحيدا وبعد الانس فريدا يسامر النجوم ويساور الهموم يسكب على فراق الاحبة الدموع وبرجوع الدهر وهيهات الرجوع شعر

فليت شعرى والدنيا مفرقة * بين الرفاق وأيام الورى دول

هل ترجع الدار بعد البعد آنسة * وهل تعود لنا أيامنا الاول

لكن الصبر على غدرات الايام من شيم السادة الكرام شعر

اصبر ففى الصبر خير لو علمت به * لكنت بادرت شكرا اصاحب النعم

واعلم بأنك ان لم تصطبر كرما * صبرت قهرا على ماخط بالقلم

وكل هذا توطئة لما نال الناظم من الهموم وما اعتراه من منطوق حوادث دهره والمفهوم وهو الذى كان سببا لانشاء هذا القصيد وشكواه هذا الامر الوافر المديد فقال

ص ﴿يقول أبو شادوف من عظم ماشكى * من القل جسمه ما يضا ل نحيف﴾

(ش) هذا الكلام له بحر وقد وتقاطيع ومد فبحره الطويل المديد الناقص المزيد ومن جعله من بحر الكامل قال فيه متهابل متهابل ومن قاسه ببحر الوافر قال هو من البحر الزاخر ومن نسبه لبحر البسيط قال هو من معنى الهلط والتخبيط ومن قارنه ببحر السلسله قال هو من معنى هلهله هلهله ومن شابهه ببقية البحور قال فى تمثيله أنت حمار أو ثور وأما قده المعهود فعلى وزن بروه تحلى الماضغين جلاد وأما تقاطيعه المذكوره فهى هذه الكلمات المنشوره

يقول	أبوشا	دوف من	عظم ما	شكى
نبول	عليها	فى الضحى	مع غرو	بها

ومجموع هذا الكلام من هذا النظام

(نبول عليها فى الضحى مع غرو بها)

فاذا عرفت البحر والقد والتقاطيع فلنشرع لك الآن فى شرح الكلام على حسب التواقيع أو على نمط الفراقيع فنقول (قوله يقول) أى يريد أن ينشى قولا فى الخارج فيه شرح حاله ودليل على ما نابه من حوادث الزمان وما أصابه من دواعى الهم والاحزان والقول له مصادر واشتقاقات فصدره قال يقول قولا ومقالة وربما زاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من القيلوله أو من القلل أو من الاقوال أو من قالوا أو قلنا وانما زدت هذه المصادر الشوربيه وهذه الاشتقاقات الهباليه الا لنبنى عليها ما سأذكره لك مما اتفق لى مع بعض من يدعى العلم وهو جاهل وما ذاك الا أنى لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة أربعة وسبعين وألف وبلغت بندر القصير أنتظر السفن للسفر فجلست اياما بزاوية على البحر المالح أحظ الناس فبينما أنا ذات يوم فى هذا المكان أقرأ فيه وأبين للناس الكلام ومعانيه وأنا فى هيئة تشين النظر وفى أهبة ذهاب وسفر وبهلة وهبال وهلفطة ومقال اذ أقبل على بلا محاله رجل يشبه دائرة الهاله طويل هبيل فظ ثقيل له عمة كالهيولى فى العظم وطيلسان نسج من صوف الغنم ثم جلس يريد الضرر ونظر الى شذر فظهر لى منه الشر والجدال ومنتظر متى قلت قال وكان الامر كما ذكرت وما اليه بهذا المعنى أشرت فابتدأت فى الكلام وقلت قال النبى عليه السلام فعند ذلك قال لى بلفظ كثيف ما معنى قال فى التصريف فلما سمعت سؤاله تحققت جهله وهباله وعلمت أنه خال من العلوم وجاهل بالمنطوق والمفهوم فقلت له ان قال يتصرف منه أسماء وأفعال وهى قال يقول قولا وقلة وقيلولة ومقالة على الكمال وان أردت جعلت لك بيقين تصريف هذا لستة ستا وثلاثين فقال لى وهذا التصريف فى أى متن من المتون فقلت له فى ديوان ابن سودون فركن الى قولى على جهل منه وعمى فعرفت أنه لا يدرى الاسم ولا المسمى ثم انقاد الى بعد الدعوى والهيس انقياد الغنم للتيس وامتثل الامر فى رواحه ومقيله حتى مضى الى حال سبيله فان قيل لاى شئ غلبطت على هذا السائل فى هذه المصادر

والاشتقاقات ووسعت عليه فى هذه الامور الهباليات كنت تقتصر على ما قالوه فى كتب الصرف ولا تحرف الكلام بحرف قلنا الجواب نعم كان ينبغى هذا الكلام ولكن مع من يدرى العلم بالتمام وأما الجاهل البليد والفظ العنيد فليس له الا ما يناسب جهله من دش الكلام والمعرفة فيما يليق بذلك المقام فكان ما سبق من الجواب وحاله مناسب لسؤاله وهباله فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال (مسألة هبالية) ما الحكمة فى أن الناظم ابتدأ كلامه بصيغة المضارع ولم يأت بصيغة الماضى كما قال صاحب ألفية النحو رحمه الله * قال محمد هو ابن مالك * الخ الجواب الفشروى ان هذا الفعل الماضى الذى هو قال يتولد منه المضارع وهو يقول و يقول يأتى منه قولا كما سبق فى تأصيل الافعال والاسماء فاكتفى بالفرع عن الاصل أو أنه أراد تعداد الامور التى حصلت له من تغير الزمان وانقلابه ولم يكن أخبر عنها سابقا بلفظ الماضى فأراد الاخبار عنها بلفظ المضارع الذى هو يقول وان كان فى معنى الماضى صورة وفى معنى المضارع حقيقة قال الشاعر

فقال هو الماضى يقول مضارع * وان كان ذا الماضى له فى الحقيقة

وقال أبو الطيب المتنبى عفا الله عنه شعر

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

أى اذا نوى شيأ مستقبلا أمضى فعله قبل أن يدخل عليه ما يجزمه أى يمنعه عنه و يسكنه عن الحركة عن فعله انتهى وأيضا لو أتى بالماضى لاختل الوزن وان كان المعنى باقيا على حاله فاتجه الجواب وبان الصواب وقوله (أبو شادوف) هذه كنيته وغلبت عليه فصارت علما كما قالوا فى معديكرب و بعلبك و برق نحره ونحو ذلك وأما اسمه الحقيقى عجيل تصغير عجل على ما قيل وسببه أن امه لما ولدته ألقته فى مدود البقرة فجاء العجل ولحسه فسمى بذلك أياما حتى اشتهر بهذه الكنية *وسبب اشتهاره بها أقوال أحدها انه لما مال عليه الدهر كما تقدم أجر نفسه اسقى الزرع بالآلة التى يعملوها أهل الريف تسمى أبو شادوف وصورة فعلها أنهم يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر ويحفروا بينهما نقرة مثل الحوض الصغير و يضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة و يعلقوا فيها خشبة أيضا بالعرض حكم قصبة الميزان و يضعوا فى طرفها الذى من جهة البر شيأ ثقيلا والذى من جهة البحر الدلو أو القطوة التى ينضحوا بها الماء ثم ان الرجل يقف الى جهة البحر ويتكئ على طرف تلك القصبة فيقع الدلو أو القطوة فى البحر ويغرف الماء ثم يتركه فيثقل طرفها الثانى و يصعد الدلو أو القطوة و يفرغ فى النقرة مع مساعدة الرجل له و يجرى الماء الى الزرع وهكذا حكم ما شاهدناه مرارا عديدة و يسموا مجموع الآلة والناطورين أبو شادوف وهو مشتق من الشدف وهو الغرف قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق شدف يشدف شدفا بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر

اذا ما رأيت الماء فاشدف براحة * فذلك للظمآن أهنا وأطيب

قال الناظم لما لازم هذه الآلة وصار لا يفارقها غالب الاوقات سمي باسمها من باب تسمية الحال باسم المحل وقيل ان أمه ولدته عند أبو شادوف فسمي باسمه لكن يرده ما تقدم من أن اسمه الاصلي عجيل وقد يجمع بين الاقوال فيقال ان أمه لما ولدته عند أبو شادوف أخذته ووضعته في المدود ولحسه العجل على ما تقدم فسمي عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل سمي بذلك لكثرة غرفه للماء بهذه الآلة فصار كل من سأل عنه يقال له عند الشدف أي الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا اشادوف ولكثرة تكرارها جعلوها حكم الولد والنواطير مثل الاب له وقالوا أبو شادوف ووضعوها على ذات الناظم لكثرة مجاورته لتلك الآلة وعرفوه بها فصارت علما له يخاطب بها كما سبق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة في أن الدلو أو القطوة لا يفارق الخشبة التي هي في حكم قصبة الميزان وهل هي حكم الاب له كما سبق من أن النواطير في حكم مقام الأب للشادوف وان الدلو والقطوة انما لازم هذه الخشبة بالضرورة لها ومتى انفك عنها بطل عمله فهو مجاور لها في وقت الحاجة لا غير (الجواب) أن الخشبة لا تستغني عن الدلو او القطوة وهما لا يستغنيان عنها فكان كلاهما في حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة في حكم الاب لما ذكر لان كلا من الدلو او القطوة مرتبط بالخشبة فاتجه المقال عن وجه هذا الهبال (فائدة) الاب مشتق من آب اذا رجع قال ابن زريق رحمه الله في قصيدة له ما آب من سفر الا وأزعجه * رأي الى سفر بالعزم يزمعه

أي ما رجع من سفر الا وأزعجه رأيه الى سفر ثان وكذلك الاب لانه في كل ساعة يرجع الى ولده وينتقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوة كما أن الاخ مشتق من الاخوة قال الشاعر

أبو المرء من آب اشتقاقا فاسمه * وأخو المرء أيضا قد أتى من أخوة

ومصدره آب يأوب أوبا فهو آب وقال ابن سودون ان أبو هذا فعل ماض ناقص وأصله ابوس ويدل على ذلك قول الشاعر

قالوا حبيبك وارى ثغره صلفا * ماذا تحاول ان أبداه قلت أبو

أي أبوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد حصول اللبس على السامع اذ هو اللائق بهذا عند الادباء والاقرب الى السلامة من الواشين والرقباء والثاني حذفت السين لانها في الجمل بستين والستين في البوس اسراف عند البعض هذا كلامه المصرح به في ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض الذي نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا ظفر بمحبوبه فلا يشتفي فؤاده بستين قبلة ولا بمائة خصوصا اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات حسن الصفات مطيعا للعاشق مصافيا مصادق وانطبع بقده المأنوس وانضم لعاشقه انضمام العروس وخلا المحب بالحبيب وخلا المجلس من الواشي والرقيب هنالك لا ينحصر البوس بعد ولا يكون له غاية ولا حد قال الشاعر

سألت بدر التم في قبلة * أجابني أن يوفي ومنشي السحاب

لما اختلينا واجتمعنا به * غلطت في العد وضاع الحساب

وقلت فى المعنى شعر رأيت له شرطا على الخد قد حوى * جمالا وقد زان الملاحة بالقبل
فقلت مرادى اللثم قال بخلوة * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

اللهم الأان يكون المحل غير قابل للحب والحبيب بان يكون ثم خوف من واش أو رقيب فيكون الضم فى تلك الحالة والتقبيل بحسب أمن العاشق فى الكثرة والتقليل ومنهم من لا يعتريه فى ذلك وهم ولا الباس ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس ولو نفر منه وفر ربما ال نحوه ومر قال الشاعر

لو ترانى وحبيبى عندما * فر مثل الظبى من بين يدى
وغدا يغدو وأغدو اخلفه * وترانا قد طوينا الارض طى
قال ماترجع عنى قلت لا * قال ماتطلب منى قلت شى
فنأى عنى وولى خجلا * وانثنى بالتيه عنى لا الى
كدت بين الناس أن ألثمه * آه لو أفعل ماكان على

ومن اللطائف ان أبا نواس مر يوما فى شوارع بغداد فرأى غلاما جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام واياه على يد القاضى يحيى بن أكثم وادعى عليه بما وقع قال فأطرق القاضى ساعة وأنشد يقول

اذا كنت للتخميس والبوس مانعا * فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا ترخى الاهداب من فوق طرة * ولا تظهرن من فوق صدغك عقربا
فتقتل مسكينا وتهجر عاشقا * وتترك قاضى المسلمين معذبا

قال فأطرق الغلام ساعة وأنشد يقول

وكنا اذا رجولك للعدل بيننا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * اذا كان قاضى المسلمين يلوط

وقوله (من عظم ماشكى) أى من عظم أمر بل من أمور يشكو منها وصرح بشكواه راجيا بأن الله تعالى يفرج عنه ويعيد له ماسلف من أيام النعيم التى كان فيها فان الامر اذا اشتد هان واذا ضاق اتسع قال الشاعر ولرب ليل فى الهموم كدمل * عالجته حتى ظفرت بفجره
ولشدتمر النائبات على الفتى * وتزول حتى لاتجول بفكره

والشكوى على أقسام شكوى لله وهى محمودة وشكوى للمخلوق وهى مذمومة اللهم الا أن يكون فى حال شكواه معتمدا على الله تعالى متكلا عليه مستعينا به فى دفع مانابه من الشدائد فلا بأس بذلك واذا صبر واحتسب كان أولى وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى ان مع العسر يسرا ومن كلام الاستاذ يحيى البهلول نفعنا الله تعالى به

اذا ضاقت بك الاحوا * ل فكر فى ألم نشرح فعسر بين يسرين * اذا أملته تفرح

ثم ان الناظم أراد تعداد الامور التى ترادفت عليه مبتدئا باعظمها وأهمها فقال (من القل) بكسر

القاف وسكون اللام أى ان أهم شكواى واعظمها أولا من القل وهى قلة المأكل والمشرب حذفت ياء الكلمة لضرورة النظم وأيضا عدم الميسرة فى الملبس وشدة التعب والنصب فى كد المعيشة وفى الحديث كاد الفقر أن يكون كفرا اى قارب أن يوقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضا بالقضاء وسخط الرزق وذلك يجر الى الكفر وفى الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله

لعمرى لقد قاسيت فى الفقر شدة * وقعت بها فى حيرة وشتات

فان بحت بالشكوى هتكت سريرتى * وان لم أبح بالفقر خفت مماتى

(وقيل) وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان أربع كلمات وهى العدل ان دام عمر والظلم ان دام دمر والاعمى ميت وان لم يقبر والفقر هو الموت الاحمر وهذه الكلمة يعاير بها أهل الريف الرجل الفقير فيقولون فلان فى قل ور بما زادوا عليها اخرى فقالوا هو فى قل وعتره أى فى حالة كد وتعب وارتكاب أمور شنيعة وأحوال مكربة وهى من ألفاظ أهل الريف قال بعض شعرائهم

أبو جاموس صح حالو * يبكى الناس وهو شهره بيجرى ما يلقاشى * وفى قله وفى عتره

(والقل) على وزن الغل أو الظل مشتق من القلقلة أو من القلة بضم القاف أو القولق وعتره بفتح العين المهملة وجزم الهاء فى آخرها على وزن زبره نفذ زبره وزنها على عتره لا تختلف أبدا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عتر أى مرتكب هذه الامور وأما بالثاء المثلثة فهى واحدة العثرات وهى اللغة الفصحى بمعنى أن المتلبس بهذه الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القل فى كلام العرب (وهو ما حكى) أن رجلا حضريا أضافه رجل بدوى فأخرج له صحنا من الطعام وشيأ يسيرا من الخبز فصار البدوى كلما أخذ لقمة يقول له الحضرى قل بسم الله الرحمن الرحيم يا بدوى ولم يزل يكرر عليه التسمية فاستحى البدوى وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد أيام خرج البدوى من منزله فرأى صاحبه الحضرى فأخذه وأجلسه فى داره وأخرج له قصعة كبيرة ملآنة من الثريد واللحم وقال له كل يا حضرى وسف ما فى القلة بركة أى ما فى قلة الطعام مع الشح بركة ودعك تسمى الله أو تترك التسمية وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر

اذا كثرت عيوبك فى البرايا * وسرك أن يكون لها غطاء

تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء

وفى الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى اشتقاق القل من القولق أو من القلة أو من القلقلة وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الالفاظ (الجواب الفشروى) ان القولق اسم لشئ من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط فى الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوة وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل هو ضيق المعيشة وعدم اليسرة فناسب

المعنى

المعنى فى ذلك وأما اشتقاقه من القلة بضم القاف فلاحد امور اما لحصر الماء فيها فكذلك حكم القل وعدم البركة حكم وجود الماء وعدمه أو أن المناسبة فى ذلك لضيقها فى حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خروم ضيقة وانها اذا وضعت فى الماء بقبقت وصارت حكم الذى يشكو الى الماء قال الشاعر ما بقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان فى ذلك مشقة وشدة تعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثالث أنه من القلقلة فهو كذلك من قلقلة الامور أى سرعة حركاتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو ذلك قال الشاعر

قلقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى فى القصور القاطنين بارضهم * عندى كسكان القبور

أى حرك ركابك فى الفلا وهو الفضاء المتسع والمعنى سر شرقا أو غربا واكتسب ما يغنيك عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك لهم ودع الغوانى جمع غانية وهى ذات الجمال أى اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك و يترتب على هذا مفاسد كثيرة فاذا سعيت وتركتها واتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه دامت معك على أتم مراد وأحسن حال وان كان لا يفيدك من السعى والسفر الا اليسير فهو أولى من عدمه بالكلية قال الشاعر

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

(وفى بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى يا عبدى خلقتك من حركة تحرك أرزقك وفى المثل الحركة فيها بركة وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه شعر

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد
فان قيل فى الاسفار ذل وغربة * وتشتيت شمل واجتماع شدائد
فموت الفتى خير له من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتفاق عن وجه هذا الاشتقاق وقوله (جسمه) الضمير راجع للناظم اى جسمه وهو ذاته مشتق من التجسم أو من المجسمة وهم طائفة يقولون بالحلول والتجسيم قبحهم الله تعالى أو من جسم العاشق اذا أنحله بعد الحبيب ولم يجد له دواء ولا طبيبا وقوله (ما يضال) كلمة ريفية ومعناها ما يزال كما تقدم فى الجزء الاول أى لم يزل جسمه من القل والتعب وعدم اليسرة (نحيف) على وزن رغيف وأصله نحيفا بالالف المقصورة وحذفت لضرورة النظم والمعنى أن جسمه ضعف ورق من كثرة توارد الهموم عليه وتحمل الاذى والكد فى تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد ويمرضه بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هذا يظهر أن أصحاب المال والرفاهية فى الغالب ان أجسامهم فى نضارة وملاحة وطلاوة من حسن المآكل والمشارب ونظافة الملابس ورقتها فلا

يرون بذلك اللهم تأثيرا وقال الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه من نظف ثوبه قل همه وفى الحديث الثوب يسبح الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه فالجسد مثل الزرع مادام صاحبه يتعهده بالسقى والاصلاح وتنظيف الغلت عنه دام فى نضارة زائدة وملاحة زاهية ومتى تركه اعترته الآفات وتغيرت عليه الاحوال وأمارقة الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح فى النساء والرجال ويقال لصاحبه اهيف قال الشاعر

وأهيفان لعبا * بالنرد أنثى وذكر قالت أنا قرية * قلت اسكتى انتى قمر

(وأبلغ) من هذا قول بعضهم

هيفاء لو خطرت فى جفن ذى رمد * لما أحس له من وطئها ألما

خفيفة الروح لو رامت لخفتها * رقصا على الماء ما بلت لها قدما

(مسألة هبالية) لاى شئ قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه أنسب فى المعنى وأفصح فى العبارة وقد ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم أى من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب الفشروى) ان الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمنها معنى اللفظة التى على وزنها وهى قطيم والتطيم بلغة الريافة هو صاحب الابنة وبلغة أخرى هو الخالى من الزواج فلو فرض انه أتى بها فى النظم لربما نسبوه انه كان به ابنة فيحصل من ذلك الضرر أو يقال انه راعى فى ذلك قوافى الشعر فلا اشكال فاتضح المقال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم أراد الاخبار عن بلية ابتلى بها أيضا نشأت من القل والعترة وعدم مافى اليد كما تقدم فقال

ص ﴿أنا القمل والصيبان فى طوق جبتى * شبيه النخاله يجرفوه جريف﴾

ش قوله (أنا) يعنى أبو شادوف أخبركم أيضا معاشر الاصحاب وأشكو اليكم وهو أن القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد فى القرآن العظيم فانه نوع من السوس أو القراد كما ذكره بعض المفسرين (فائدة) ذكر الدميرى فى حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن أوساخ الجسد واشتقاقه من التقمل أو من تقميل الغزل اذا صبغ وبوش ووضع فى شدة حرارة الشمس فييبس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قل يقمل قلا وهو اسم جنس الانثى منه قلة وأما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر وما قامل فى الثوب الا رأيته * يدب دبيب العقربان اذا مشى

(والعقربان) على لغة الثعلبان اسم للثعلب قال الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وخوطب بلفظ المثنى كما ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى خطابا بالمالك خازن النار ألقيا فى جهنم وقول الحجاج ياغلام اضربا عنقه وأما قوله فى البيت الاول يدب دبيب العقربان أى لانهم شبهوا

القملة

القملة بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا أنها تلذع والبرغوث يعض (فان قيل) اذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث يشبه الفيل فلاى شئ لم تكن كبيرة مثلها ولذعتها كلذعة العقرب وكذلك البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله (الجواب عن ذلك) ان القمل لما كان منشؤه من جسد الانسان وانه لا يفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الالهية وهى مص الدم الفاسد وان كان يحصل منه الاذى كان المناسب لحكمة الله تعالى أن يكون صغيرا ولذعته قليلة الالم اذ لو كانت القملة قدر العقرب للزم أن يكون الآدمى قدر الجبل و يكون دائما فى خوف من رؤيتها وتعذيب من لذعتها والله تعالى كرم بنى آدم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن مخارس الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل اذ لو كان قدر الفيل للزم أن يكون الآدمى مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث والانثى منه برغوثة وهو مشتق من البر والغوث قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى

لا تكره البرغوث ان اسمه * برّ وغوث لابه تدرى
فبره مص دم فاسد * والغوث ايقاظك للفجر

واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لانه تابع له (سؤال) ما الحكمة فى ان البرغوث ينط والقملة لا تقدر على ذلك (الجواب) ان القملة لما نشأت من العرق وروائح الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها أنثى والانثى عاجزة عن الذكر وأما البرغوث لما كان منشؤه من التراب كانت طينته قوية ولهذا يشبه بالفيل وهو أعظم الحيوانات ذاتا فكانت القوة ناشئة فيه فصار ينط فاتضح الحال عن هذا الاشكال وقال بعضهم ان أذى البرغوث أقوى من أذى القمل قال الشاعر

أشكو اليك براغيثا بليت بها * قد جرعوا القلب كاسات من الغصص
أصيدهذا يجى هذا يؤلمنى * فتنقضى ليلتى فى الصيد والقنص

وما أحسن ما قال بعضهم

بعوض وبرغوث وبق لزمننى * حسبن دمى خمرا فطاب لها الخمر
فبرقص برغوث لزمر بعوضة * و بقهم يسكت ليسمعه الزمر

وأفادنى بعض اخواننا الحشاشين أدام الله بأكل الحشيش انسهم وأخمد بدخول الارطال عند النوم حسهم ان الشخص اذا أسقط ما تيسر من الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الارطال ونام فلا يحس بأذى البراغيث ولا غيرها خصوصا اذا استعمل الحلوى بعد أكله فانه يفعل افعالا غريبة و يظهر مظاهر عجيبة ولا يضره الا أكل الحامض كما قال بعضهم مضمنا كلام سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه

امنسطل بالزيه من فقد قهوة * شمول على نيرانها يجمع الشمل
نصحتك ان أصبحت فى سطلة فلا * تذق حامضا واختر لنفسك ما يحلو

(وسمعت) من أمي عفا الله عنها الغزا في البرغوث ولم أفهمه الا بعد زمان طويل لما فهمت العلم ومارست الفصحاء وهو هذا * ياشي من شي أحمر حمير ورق الجمير جرواو راه خمسه مسكوه اثنين * وتفسيره ياشي يا حرف نداأي يارجل فسر لنا اسما يخرج من شي مبهم وهو أحمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت تصغير أحمر يعني شديد الحمرة ورق الجمير أي كورق الجمير في لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقها الليف الملتف عليه جروا وراه خمسة وهي الاصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والابهام وبين حمير وجمير الجناس المصحف انتهى (ومما يمنع أذى البراغيث) البخور بقشر النارنج الناشف عند النوم (ومما يقتل القمل) الحناء والزئبق اذا لت فيهما خيط صوف وعلق في العنق فعل ذلك (وأما منافع القمل) فقد ذكر صاحب كتاب الفقراء أن صاحب الشقيقة اذا أخذ قملة من رأس سالم من الوجع ووضعها في باقلاية مشوية وسدّ عليها بشمع وعلقها على موضع الشقيقة برئت باذن الله تعالى وقوله (والصيبان) معطوف على القمل وهو بزره المتولد منه فعطف الفرع على الاصل لانه من لازمه وغالب كثرته في رؤس الاطفال لرقة أجسادهم فيعالج بالادهان والحناء المعتادة وتسريح الشعر ونحو ذلك وله أكلان في الجسد بسهولة فهو أخف ضررا من القمل لكونه أضعف منه وألطف جسما وأصله صبيان بتقديم الموحدة على الياء المثناة من تحت جمع صبي ثم انهم أرادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه بأولاد الآدميين فقدموا الياء المثناة من تحت على الموحدة وقالوا صيبان وهو مشتق من الصابون لبياضه أو من المصيبة أو من قناطر اصابوني ومصدره صبين يصبين صيبانا وسكت الناظم عن نوع آخر من أولاد القمل وهو النمم بكسر النونين وسكون الميم لكونه من لوازمه أيضا لان الفرع تابع للاصل كما تقدم ونمم على وزن سمسم وهو مشتق من النميمة أو النمام نوع من المشموم وأما اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل أمر فكأنه يأمره بالنوم مرتين ومن معناه قول الحريري عفا الله عنه

سمسمة تحمد آثارها * فاشكر لمن أعطى ولو سمسمه

وهذا يقرب من فن الاحاجي كقولهم طاجن وطاقيه والياسمين وقول بعضهم

اني رأيت عجيبا في دياركم * شيخا وجارية في بطن عصفور

وقول الآخر وأحمر الحدقاني * يغري اليه الخضاب بغير عين وناب * وفيه عين وناب

(ويطلق) لفظ نمم على كلام الطفل الصغير اذا اشتهى الاكل فيقول نمم أو بف بضم الموحدة وسكون الفاء لانه ينطق بالفاظ تخالف ألفاظ الكبير كما هو مشاهد (وأما لغته قبل نطقه) فقيل انها بالسريانية واذا اشتهى الماء يقول انبوه بضم الهمزة وسكون النون ورفع الموحدة وجزم الهاء واذا مدّ يده لنجاسة يتناولها يزجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمة واذا تناول الاخذ شيء يؤذيه يزجر أيضا بلفظ أح بالالف والحاء المهملة واذا أخذ شيأ أعجبه واعب به يقال له أو يقول هو عليه دح بالدال والحاء المهملتين

ويقال له أو يقول هو على المأكول اذا فرغ منه بح بالموحدة والحاء المهملة واذا أرادت امه أن تخوفه وتسكته عن الصياح تقول له اسكت لايا كاك البعبع بكسر الموحدتين أو رفعهما وجزم العينين المهملتين (والبعبع) مشتق من البعبعة وهي صوت الجمل وبين أح وبح ودح الجناس المتغير الاول ويخاطب امه بلفظ ماما وأباه بابا وأخاه الصغير وا وا ونحو ذلك وتغزل بعضهم فى صغير ببيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال

يامن سلب للحشا والروح واوا أح * غيرى تواصل وانا الى من وصالك بح
أنا أطعم البف والنم وقولة بح * بعبع أنا كخ يانتا وغيرى دح

وقال ابن سودون رحمه الله فى معنى ذلك

لموت امى أرى الاحزان تحنيني * فطالما لحستنى لحس تحنيني
وطالما دلعتنى حال تربيني * حتى طلعت كما كانت تربيني
أقول نمم تجى بالاكل تطعمنى * أقول انبوه تجى بالماء تسقينى

وقوله تحنيني وتحنيني فيه الجناس التام الاول من الانحناء والثانى من التحنن والشفقة كما لا يخفى ويقال عذار ممنم أى يشبه نبته بدبيب النمم أو نبات النمام وقد قلت فى تشبيه دبيب النمم

دب العذار على خديه خيل لى * بانه نمم يمشى على مهل

(وبعضهم زاد نوعا رابعا) وسماه لحيس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن بعبيص أو لقيس مأخوذ من البعبصة وهى ادخال الاصبع فى دبر الغير ولقيس من اللقاسة يقال لقس الكلب الاناء أى لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه باللحيس أو يكون على قياس فطيس واللحاسة والنحاسة على وزن واحد يقال فلان لحس أى مرتكب شيأ يشبه النحاسة أو كثير الكلام بلا فائدة فتكون اللحاسة والنحاسة بمعنى واحد (قال) فى القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسة ونجاسة فيها بلا شك فهذا أصوب ويقال أنت تعيس لحس أى انت تشبه لحس الكلب للاناء أو أنك تلحس الخرا بلسانك أو تتلحس بالكلام ولا تدرى منطوقه من مفهومه والتعيس من معنى ذلك أيضا فكلها ألفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا اللحيس مزيد ضرر قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق

ولى من أذى اللحيس فى الرأس كربة * وغلى وأكل فى الثياب وفى الجسد

ومصدره لحس يلحس تلحيسا (فان قيل) ان هذا اللحيس الذى زاده هذا البعض شئ تافه جدا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كغيره فالجواب (قلنا) نعم وان سلمنا أنه لا وجود له الا بعسر لدقته ففى الجملة له محض أذيه وضرر فصار من أتباع القمل بل من أولاده كالصيبان والنمم كما تقدم أو يكون هذا قياسا على من زاد فى أقسام الكلمة نوعا رابعا وسماه خالفة وعنى بها اسم الفعل وهو صه بمعنى اسكت فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال وقوله (فى طوق جبتى) أى كائن أو مستقر فى طوقها

والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة وجوق المغانى ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق
من ثوب أو غيره كالحديد والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيامة أى المال الذى كنزوه فى الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم يصرفوه فى وجوه الخير يجعل فى عنقهم
كالطوق ويعذبون به فى النار والطوق مشتق من الطاقة أو من الطواقى لتدويره أو من خان أبو
طاقية بمصر (ومصدره) طوق يطوق تطو يقا ونساء الارياف يجعلونه من فضة ويسمى عندهم
ضامن أيضا وهو أحسن الحلى عندهم وأما ما يوضع فى أعناق الرجال فى السجن فانه يسمى عندهم
ضامنة يقال فلان فى الضامنة أى بمعنى ان هذه الآلة الحديد التى فى عنقه ضامنة له لا يقدر أن ينفك
عنها مثل الرجل الضامن للانسان متى طلب منه أحضره وقوله (جبتى) على وزن شختى ولحيتى هذا
اذا نسبتها لنفسك وأما اذا كانت لغيرك فتقول جبتك على وزن شختك ولحيتك مثلا واذا وصفتها
وقلت جبتك حره فتكون بالتصحيف خنتك حزه أى ناكك رجل يسمى حزه والجبة واحدة الجبب
مشتقة من الجب وهو القطع لان الخياط يجبها أى يقطعها ويفصلها يقال جاب الثياب بمعنى قطعها
وقد قلت فى المعنى أجوب الثياب طامعا فى وصالها * وأقطع أرضا است منها بخابر
(ومصدرها) جب يجب جبا وجبة وهى على قسمين ريفية وحضرية فالريفية من صوف ثخين
غليظ مسدود محكم الثوب ويجعلون أكمامها متسعة خصوصا شعراؤهم فانهم يعرفون بزيادة وسع
الاكمام لان كم الرجل منهم مختصر زكيبه ونساؤهم على شكل الشعراء فى وسع الاكمام وزيادة فان كم
المرأة منهن يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثانى وربما جامع الرجل زوجته من كمها ولا
يحتاج لرفع بقية الثوب (كما وقع لى فى ذلك) فانى تزوجت منهن وكنت أجامع زوجتى فى بعض
الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة الهندام حتى فى الثياب والاكمام فهى امور بينهم محبوبه
والمناسبة مطلوبه (وفى المثل) رأوا قرديسكر على خراره فقالوا ما للمدام الرايق الا لهذا الشب
العايق ورأوا جاموسة منقبة بكيب فقالوا ما للصبية القصيفة الا للنقاب الرفيع قال الشاعر

رأيت مجزما فى قاع بئر * وآخر أبرصا يخرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

(وأما الحضرية) وهى التى يستعملها أهل المدن خصوصا العلماء والظرفاء وهى من الصوف الرفيع
اللطيف يجعلونها محصورة الآباط مفتوحة ويقال لها جبة مفرجة بتشديد الراء لكونها انفرجت
من مقدم الشخص وبان ما تحتها ويضعون لها السجاف الحرير وغيره حتى تصير أعجوبة للناظرين
وبهجة للابسين فسبحان من حلاهم بطلاوة الملبوس وزينهم بكل قدمأنوس وجعل نساءهم
زينة للنفوس (كما فى المثل) الاساس بحسب بانيه وكل شئ يشبه قانيه فالانسان نشأ
على الطبع الذى جبل عليه وشبه الشئ منجذب اليه قلت فى المعنى

رايت

رأيت بخده ماء ونارا * وذاك الورد منتثر عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

(ثم ان الناظم) لما علم أن القمل والصيبان وغيرهما الكائن فى طوق جبته لا يمكن حصره لكثرته أراد أن يشبهه بشئ يناسبه فى الكثرة واللون فقال (شبه النخاله) وهى قشر البر والشعير الذى يعلو المنخل عند النخل وسيأتى تعريفها واشتقاقها وهذا الشبه يعطى حكم المشبه به من وجهين الاول أن القمل ابيض والنخالة كذلك الثانى أنه اذا تراكم على بعضه البعض يرى فى العين كثيرا كما ترى النخالة فكان تشبيهه بها هو المناسب وهى مشتقة من النخل أو المنخل او المنخال * قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق شعر

اسم النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخيل ثم منخال

ونخالة الشعير أقوى نفعا لانها اذا انقعت فى الماء وسخنت بالنار وشربها من يشتكى وجع الصدر أبرأته باذن الله تعالى وقوله (يجرفوه) أى القمل والصيبان وتوابعهما المتقدمة (جريف) أصله جرفا لانه مصدر حذفت ألفه وزيد فيه الياء لاجل الضرورة أو أنها لغة ريفية فلا اعتراض وهو مشتق من الجرف او من المجرفة او الجرافة (فان قيل) كان حق الناظم أن يرجع الضمير لاقرب مذكور وهى النخالة وكان هذا هو الانسب (قلنا) لعله عدل من تأنيث الضمير لضرورة النظم اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن أو يكون من باب الترخيم كقوله

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان أنت قد أزمعت صرما فأجملى

أو أنه رجعه الى قشر البر والشعير المسميان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف فلا اعتراض عليه (فان قيل أيضا) ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصيبان قد انحصرا فى طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منهما شئ واذا كان كذلك فما فائدة الشكوى منهما (قلنا) يمكن الجواب بأن يقال ان قوله فى طوق جبتى أى غالب القمل يتراكم ويصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة فى الجرف ولا يلزم من هذه العبارة أن بقية جسده سالم منه بل اذا كان فى طوق جبته بهذا المقدار فيكون شئ منه فى الجسد من باب أولى لان الجسد محل معاشه وغذائه من مص دمه وشرب أوساخه وانما القمل من شأنه أن يسعى اولا فى الثياب ثم ينتشر على البدن يمص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعد الى أعلى الثوب أو الجسد فيمكث فيه ليستنشق الهواء ويرتاح كما أن الآدمى اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا فهذا دأبه كما جرت به العادة فاتضح الجواب (فان قيل) لاى شئ لم يتعرض الناظم للشكوى من البق والنمل والبعوض ولم يذكر شيأ منها مع ان لكل منها أذيه وضرر شديد (الجواب) عن هذا السؤال من وجوه شتى الاول ان البق وان كان كثير كما فى المثل * ان البقه تولد ميه وتقول يا قلة الدريه * فانه فى الغالب لا يهوى الا بلاد المدن لعلو اماكنها وكثرة أخشابها وطليها

بالجص والجير لانه يعيش بها ويتولد فيها وبلاد الارياف ليس فيها شئ من البناء العالى المكلف وان وجد فى القرية فيكون دار الشاذ بها أو دار الملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا ينام بها وانما ينوم غالبها من الكرس والوحل وربما كان فيها الجلة أيضا فلهذا لا يعرفون البق ولا يرونه ولا يهوى أماكنهم (وأما النمل) فانه وان كان موجودا فى بلاد الارياف لكنه لا يهوى الا المحل الذى فيه بعض الادهان كالسمن والزيت ويهوى الشئ الحلو كالعسل والسكر فيأتى اليه ويشمه ويكون قوته الشم كما ذكره صاحب حياة الحيوان ومثله الكمون فان الوعد يغنيه عن سقى الماء قال الشاعر

لا تجعلونى ككمون بمزرعة * ان فاته السقى أغنته المواعيد

(والناظم) لم يرى للنمل اثرا فى بيته لقلة مافيه من الحلو والادهان بل لعدمه بالكلية فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا فى ثوب ولا موضع فكان منعه عنه بهذا السبب (وأما البعوض) فانه وان كان موجودا فى بلاد الارياف لكنه يأتى اياما ويذهب بخلاف القمل والصيبان فان أذاهما دائم مستمر فى الثياب وغيرها كما تقدم والشئ اذا كان يؤذى قليلا ويغيب كثيرا يكون وجود ضرره كالعدم فكان هذا سببا لتركه الشكوى من الجميع فاتضح الجواب * (فائدة) * اذا نقع الحنظل فى مقة الغزل بعد استوائه ورش بها فى المحل وهى حارة قتلت البق ولم يبق منه شئ واذا ظهر النمل فى محل فيه البق أكله قال الشاعر أكل البق المنى * جسمى ماحل بقه جبت النمل ساعدنى * فما خلا ولا بقه

(وأما النمل) فيمنعه رائحة القطران ويمنع البعوض دخان النخالة (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى أن الشخص اذا أكلته قملة أو قرصه برغوث أو شئ مما يؤذى يسرى ذلك الاذى فى سائر جسده ظاهرا وباطنا حتى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع ان القمل أو البرغوث ونحوهما لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله نادرا ربما مات فى الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيرا مايدخل البرغوث فى اذنه فيمكث قليلا فى حركة وأذية ويخرج بسرعة أو يموت فما وجه ذلك (الجواب الشروى) أن يقال ان الجسم باطنه وظاهره فى التألم على حد سواء لان الروح سارية فيه كسريان الماء فى العود الاخضر فاذا حصل الاذى فى ظاهره تألمت الروح وسرى الالم فى جميع الجسد ظاهرا وباطنا وأمثل لك مثالا فشرويا * وهو أن الشخص اذا حبس فى خزانة صغيرة مثلا وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتألم ظاهرا وباطنا خصوصا اذا حصره البول وبال فيها حتى ملأها أو ضرط فيها أيضا فتصعد تلك الروائح الى العلو فلا تجد لها مصرفا فتعود على لحيته وشواربه فتضر ضررا بليغا خصوصا صاحب اللحية الطويلة العريضة مالم يكن عرضها شرطوا لها فيخف الضرر أو قل طولها فكذلك على كل من الحالتين فانكشف الحال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة أخرى ابتلى بها وهى فى الجملة أشد ضررا من القمل والصيبان لكونها من جهة الاقارب فقال

(ص) ولاضرني الاابن عمي محيلبه * يوم تجي الوجبه على نجيف

(ش) قوله (ولاضرني) أي ضررا زائدا على ما تقدم (الاابن عمي) اخو والدي وهو مشتق من العموم لان نفعه يعم أولاده واولاد أخيه لانه في حكم الاب لهم اذا فقدوا الدهم ولهذا تسميه العرب أبا (قال) بعض المفسرين في قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر ان المراد به عمه أو من العمامة لعلوّها ووضعها فوق الرأس حكم التاج كما في الحديث * العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على أولاد أخيه لكفالته اياهم وولايته عليهم وقوله (محيلبه) تصغير محلبة وهي اناء يعمل من فخار أحمر مجوف البطن محصور الرقبة لها أذن واحدة وتعمل بأذنين أيضا اذا كانت كبيرة سميت بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف (والحاصل) ان الاواني المعدّة للحلب على أقسام محلبة ومحلاب وهو على ثلاثة أقسام صغير وكبير ومتوسط والمحلاب أطول من المحلبة وأوسع منها فما وأضيق بطنا وقعره يشبه قعر القادوس صغير جدّا وربع وهو اناء صغير يأخذ في الكيل قدر ربع المحلبة وقرّوفه بفتح القاف وتشديد الراء المهملة وكسر الفاء وسكون الهاء في آخرها وهي تشبه المحلاب في صغر القعر الا أنها محصورة الرقبة واسعة البطن جدا مثل المحلبة ولها أذنان أو أذن واحدة وأكبر أواني اللبن القسط وهو جرّة كبيرة وهنالك اناء آخر يقال له الكوز يباع به اللبن في بلاد المدن كما شاهدنا ذلك وهو ثقيل في الجرم قليل في البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن دولاب وقسط على وزن قبط سمي بذلك لكونه مقسطا بالوزن أو الكيل وربع على وزن سرع وكوز على وزن بوز لانه يشبه بوز البقرة أو العجلة في وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض يقال كزت الارض على المحراث اذا عضت عليه وكز الطفل على اصبعه اذا عضه هكذا رأيته في القاموس الازرق والناموس الابلق فالكوز اذا وضع فيه اللبن أو الماء يقبق وتألم يشكو ما ناله من ألم النار وما قاساه من العناء حتى صار فخارا قال الشاعر ما يقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان القياس الغطيسي من هذا القبيل فهذه الاواني معروفة عند أهل الريف هي وغيرها ومنها الزير والقمنة وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والمحلاب ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدم تعريف أسمائها واشتقاق بعضها فما معنى القروفة وما أصل وضع هذا اللفظ الغريب على هذا الاناء وما مناسبة ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه (الاوّل) ان هذا الاناء عمل في زمن القر بكسر القاف وجزم الراء وهو شدة البرد ثم انهم وفوا حرقه في زمن الصيف فصار يقال قر وفه أي هذا الاناء وفي حرقه وتمّ أمره ثم انهم حركوا الراء من قر مع ضمها مشددة وجعلوا مجموع هذه الحروف علما عليه وقالوا قرفوه فصار مركبا من اسم وفعل (الثاني) أنه لما أتى به وهو جديد ووضعه الحلاب بين رجليه وحلب فيه اللبن فصار يفور وتحلل منه رغوة كثيرة فخاف الحلاب من سيلان اللبن خارج الاناء فصار ينادي اللبن قرّ فيه قرّ فيه أي اسكن فيه واستقر ثم زادوا في هذا اللفظ واوا بين فعل الامر

والجار والمجرور وحذفوا الياء المثناة من تحت لثقلها فى اللفظ وحركوا الواو وقالوا قروفه فسمى بذلك (الثالث) ان طينته فى الاصل أخذت من محل قريب من قرافة مصر فصار وا يقولون اناء قرافى ثم انهم اشتقوا له هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروفه (الرابع) انه مشتق من القرفة بكسر القاف وهو نوع من البهارذكى الطعم والرائحة يدخل فى الاطعمة الفاخرة والمآكل النفيسة وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى لبنا خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه (الخامس) ان الاسماء لا تعلل فلا يحتاج الى هذه الابحاث القشروية وهذه الخرافات الهبالية فاتضح الجواب وبان الصواب (وأما) سبب تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم فعلى أقوال (أحدها) ان امه لما وضعته سمعت انسانا يقول لآخر هات المحلبة فسمته بذلك تفاؤلا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا (الثانى) ان أمه أتت بولد قبله وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت أن تسميه باسم أخيه فانتقت اللفظ وصغرته وقالت محيلبه واشتهر بذلك (الثالث) ان أمه لما ولدته زارها انسان بحلبة جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك وقالت محيلبه فهذا ما ظهر لى من هذه المباحث القشروية والخرافات الهبالية وقوله (يوم) بالتنوين وخفض الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار المضىء المشرق بسبب اضاءة الشمس الذى يصام شرعا كما لا يخفى وقوله (تجى) من المجىء وهو الحضور (الوجبه) ووقت مجيئها وحضورها بمجرد طلوع المشد أو الملتزم أو النصرانى الى الكفر أو البلد فتوزع على الفلاحين بحسب مايخصهم فى الارض من القراريط والفدن ونحو ذلك فمنهم من يكون عليه فى الشهر يوم ومنهم من يفعلها فى كل جمعة مرة ومنهم من يجعلها فى كل ثلاثة أيام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وحسب زيادة الارض ونقصها فلا بد منها فى كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد والنصرانى ان كان حاضرا وجميع من يكون من طائفة الملتزم و يلتزم بأكلهم وشربهم وجميع مايحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يتمنونه عليه من المآكل من اللحم والدجاج ولو كان فقيرا ألزموه بذلك قهرا عليه والا حبسه المشد وضربه ضربا موجعا وربما هرب من قلة شىء يصنعه فيرسل المشد الى أولاده وزوجته و يهددهم ويطلب منهم ذلك فربما رهنت المرأة شيأ من مصاغها أو ملبوسها على دراهم وأخذت بها الدجاج أو اللحم وأطعمتهم وأحرمت أولادها من الاكل منه خوفا على نفسها من أنه لا يكفيهم مثلا وقد يربى الفلاح الدجاج فلا يأكل منه شيأ ويحرم نفسه وعياله من خوفه من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه لاجل هذه البليه و يطبخ بالشيرج و يأكل الخبز الشعير ويصنع لهم القمح الزريع و يأكل الجبن القريش المالح و يتكلف شراء الجبن الطرى الحلو ويرسله فى الوجبة كل ذلك خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجبة لكونها صارت على الفلاحين حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلا بد من فعلها للمشد بالقرية أو النصرانى

أو الملتزم اذا احضر كما تقدم بيانه واذا أسقطها بعض الملتزمين جعل فى مقابلتها شيأ معلوما من الدراهم وأضافه الى المال و يلزمهم بدفعه الى المشد بالقرية تؤخذ منهم كل عام فهى من أنواع الظلم والاكل منها حرام ما لم تكن من الفلاحين عن طيب نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشئ من الارض أو غيرها فى مقابلة ذلك و بعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية ولا يجعل عليهم شيأ لا للمشد ولا لغيره الا اذا تبرعوا بشئ من عند أنفسهم فعلى هذا لا تكون حراما و يحل الاكل منها ومثل الوجبة غرامة البطالين واستخدامهم بغير أجرة ما لم يكن عن رضا منهم فى مقابل السكنى وترك الزرع ونحوه فكل ما كان فيه اضرار للناس فهو حرام قال الشاعر

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا أذنبت من باس

الا اثنتان فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

(فان قيل) ان الامير أو غيره اذا التزم بقرية وجد فى دفاتر من التزم بها قبله الوجبة وغرامة البطالين وغير ذلك مما هو من أنواع الظلم فيجعل ذلك على أهلها حكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الاثم عليه أو على من أحدث هذا قبله أو عليهما معا (الجواب) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد أى من أتى بشئ لم يكن موجودا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد أى مردود ومعناه باطل لا يقتدى به وفيه بيان على انه لا فرق بين أن يكون أحدثه بنفسه أو سبقه به غيره فالاثم على كل من فعله أو أمر بفعله اذ كل فعل لم يكن على أمر الشارع ففاعله آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله وفيما تناوله الحديث رد على ذوى العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب وبان الصواب وفى قوله (تجى الوجبه) نوع من أنواع البديع يسمى التوزيع وهو أن يوزع الشاعر حرفا من حروف الهجاء فى كل كلمة من ألفاظ البيت أو غالبه كقول الصفى الحلى رحمه الله فى بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت * بمجده مرسل الرحمن للامم

فانه كرر حرف الميم فى جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم فى كلمتين فقط (ويقرب من هذا المعنى) ما اتفق أن رجلا قلاسمك كان يهوى امرأة جميلة وكان له غلام صغير فى غاية من الحذق والفصاحة فارسله يوما اليها لتأتى الى محله فذهب الغلام حتى أتى محلها واخبرها أن معلمه يريدها فامتثلت الامر وأرادت الذهاب معه فحضر زوجها فى ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى ولم يشعر به أحد حتى أتى الى معلمه فرآه يقلى السمك على جارى عادته والناس حوله يطلبون منه السمك المقلى فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه القضية ويعمى فيه على الحاضرين فقال له يامعلمى قولى من ذا السمك فاقلى جات تجى بخ الولم يجى لجت ولكن ترتجى لما يروح تجى (وتفسير) هذه

الكلمات ان قوله يامعلى فق لى أى تنبه لقولى واستمع له وافهمه من ذا السمك فاقلى أى بهذا الكلام لتوهم الحاضرين انه يريد شيأ من السمك أو أنه يطلب منه سرعة قليه و بين قوله فق لى وفاقلى الجناس المحرف المزيد وقوله جاءت تجىء أى أرادت المجىء وامتثلت الامر فجاء أى زوجها فى وقت ان أراد الذهاب ثم قال لولم يجىء أى زوجها لجت أصله لجاءت سهله للضرورة أى لحضرت اليك ولم تخالف أمرك ثم استدرك الكلام بقوله ولكن ترتجى أى حضورها من الرجاء وهو حصول الشىء على وفق ارادة الطالب لما روح زوجها و يخلو مكانه اتجىء اليك و يحصل المطلوب والشاهد فى قوله جاءت تجىء فجاء الى آخره فانه كرر حرف الجيم فى كل كلمة كما لا يخفى (فان قيل) ان النصرانى اذا نزل قرية لقبض مالها يحضر اليه الفلاحون و يكرمونه و يرسلون له الوجبة و يتذللون بين يديه و يطيعون أمره ونهيه بل يكون غالبهم فى خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمهم له وهل يكونون آثمين بذلك أم كيف الحال (قلنا) الجواب ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع له والتذلل بين يديه و يكون الفاعل آثما بذلك مالم يخف منه ضررا وأذية بأن يكون حاكما عليه ومتوليا أمره واضطر اليه فى أمر كقباض المال من النصارى فى بلاد الارياف وغيرهم فانهم مالكون هذا الامر بل ان بعض الملتزمين يولى النصرانى أمر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا يأتيه الفلاح الا وهو يرتعد من شدة الخوف (كما اتفق) فى زمن الاستاذ العارف بالله تعالى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد نفعنا الله به أن السلطان ولى شخصا من النصارى على اقليم مصر كله يقبض ماله فكان ينزل الى الاقليم فى موكب عظيم من الخدم والحشم و يمر على البلاد يقبض أموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل الا لضرورة الاكل أو المبيت من شدة أذيته وقوة ضرره وكان لفرسه ركاب من الفولاذ مطلى بالذهب وقد جعل فيه سفوتين من الحديد خارجتين الى الخلا قدرا يسيرا ثم يرسل خلف الرجل فلا يأتيه الا وهو يرتعد من شدة الخوف فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام القبيح و يقول له ادفع ماعليك من المال فى هذه الساعة فان أجاب وأحضر المال فى وقته كان والا ضربه بتلك السفوتين فيجرحه أو يخرق أجنابه فيموت وكان هذا دأبه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتفق انه طلع الى قرية الشيخ ابن دقيق العيد رحمه الله وارسل خلف رجل من أتباعه كان عليه بقية مال من خراج أرض يزرعها فلما حضر اليه قال له ادفع ماعليك فقال له الرجل أمهلنى بقية هذا اليوم فأغلظ عليه وأراد أن يحرك الركاب و يضربه بتلك السفافيت يقتله فولى هاربا والنصرانى يتبعه على الاثر الى أن ألقى بنفسه بين يدى الشيخ وهو يحرق فى قين جير لانها كانت صنعة الشيخ فى ابتداء أمره فقال له ما الخبر فقص عليه الامر فلم يشعر الا والنصرانى واقف على رأسه فقال له الشيخ أمهله بقية النهار فأغلظ على الشيخ بالكلام فاخذ الشيخ الغضب والغيرة على المسلمين وقام اليه وجذبه من أطواقه فبقى فى يده كالعصفور

وقال له يا ملعون الابعد طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين ضررك والآن قد زال اسمك وانمحى رسمك ثم اتكأ عليه حتى قصف ظهره وألقاه فى تنور القمين فاحترق ثم نظر الى جماعته نظرة الغضب فألقى الله الرعب فى قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان وأخبروه بالقضية فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فساروا اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصرانى فقال له الشيخ وأنت ما حملك على توليته على المسلمين وتأمره باذيتهم فزاد به الغيظ واراد أن يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسى الذى هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار للكرسى دوران وطنين فى القلعة ودوى كالرعد القاصف وهاجت العسكر فى بعضها البعض وارتجت القلعة بمن فيها من الجند والاعوان فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شئ الى حاله ثم أشار الى الملك فصحا من غشوته فلما أفاق قبل يديه وقال له العفو يا سيدى تمن على ما تريد فقال له أنا لا أريد منك شيأ غير انك لا تول أحدا من النصارى على المسلمين ولا على أمورهم والاهلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار الى قريته ولم يزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى أحد من النصارى أمر المسلمين فى قبض مال ولا غيره الى أن احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم فى الحساب فولوهم هذا الامر الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان فى الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم * نالوا بمكرهم الآمالا
جعلوا أطباء وحسابا لكى * يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا خشى على نفسه أو عياله ضررا منهم فى أمر دينى أودنيوى يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا بأس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدى عبد العزيز الديرينى نفعنا الله به فى تردده على نصرانى بلدته فقال

يلوموننى فى عشرة القبط خلتى * فوالله طول الدهر ما حبهم قلبى
ولكننى صياد رزق بارضهم * ولا بد للصياد من عشرة الكلب

وأما اذا خالطهم الانسان بالمحبة والصحبة لا لغرض دنيوى قد اضطر اليه ولا لخوف ضرر منهم فربما دخل فى ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفى ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من أحب قوما حشر معهم وقوله (علىّ) بتشديد الياء يريد نفسه لا غيره (يحيف) أى يميل علىّ و يظلمنى و يكلفنى ما لا أطيق فكان عليه هذا الضرر أشد من غيره الذى هو أذية القمل والصيبان ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئا من الاقارب قال الشاعر

أقاربك العقارب فاجتنبهم * ولا تركن الى عم وخال
فكم عم أتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خال

(فانظر) الى هذا الشاعر اللبيب كيف أتى بالعم والخال ووصف الاول بالعم واستخدم لفظ الثانى فى كونه خاليا من الخيرات وحكم فيه الجناس وتورية اللفظ وقال بعضهم

عداوة الاهل ذوى القرابه * كالنار يوم الريح وسط غابه

(وقال) على كرم الله وجهه العداوة فى الاهل والحسد فى الجيران والمودة فى الاخوان وأصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل أخاه هابيل فصارت العداوة بين الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود (وفى الحديث) لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله علما فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعى رضى الله عنه

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى ومابهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر

لامات أعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد
ولا خلا لك الدهر من حاسد * فانّ خير الناس من يحسد

ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه محيلبه الى شكواه من ابن أخيه خنافر لكونه أشأم منه وأضر عليه من ابن عمه فقال

وأيشم منه ابن أخوه خنافر * يقرّط على بيضى بخلبة ليف

قوله (وأيشم) من الشؤم أو من التيشمة وأصله أشأم على وزن أبلم أو أفطم (وفى المثل) أشأم من طويس ويقال فلان مشؤم وذو تيشمة أى عنده قوة وتجبر وشدة ضرر على الناس وسمى الخشب شوما لقوّته وصلابته والعرب تهجو بالشؤم واللؤم (قيل) بنى جعفر البرمكى قصرا بديعا وزخرفه بأنواع الحرير وغير ذلك وجلس فيه أياما فبينما هو ينظر يوما من شباك له اذ نظر الى أعرابى يكتب على جداره بيتين من الشعر وهما

ياقصر جعفر علاك الشوم واللوم * حتى يعشش فى أركانك البوم
اذا يعشش ذاك البوم من فرحى * أكون أول من ينعاك مرغوم

فقال على بهذا الاعرابى فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملنى على ذلك الفقر والفاقة وصبية خلفتها كافراخ القطا يتعاوون من ألم الجوع وجئت لاستمطر احسانك وأرجو نوالك فمكثت شهرا على باب هذا القصر لا أتمكن من الدخول اليك فلما أيست دعوت عليه بالخراب وقلت مادام عامرا لا ينلنى منه شئ فاذا خرب ربما أمرّ به فآخذ منه خشبة أو شيأ من زخارفه فأنتفع به قال فتبسم جعفر وقال عدم علمنا بك قد أطال وقوفك وأضرّ بعيالك أعطوه ألف دينار لقصده ايانا وألف دينار لطول مكثه على باب دارنا وألف دينار لصبية خلفها كافراخ القطا وألف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب وألف دينار لحلمنا عليه

فأخذ الاعرابي الخمسة آلاف دينار وعاد شاكرا وقوله (منه) بتشديد النون لضرورة النظم أى أشد وأقوى منه في الضرر على والظلم لى (ابن أخوه) أى أخو محيليه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافة ولكن لم يساعده لسانه على هذا الوضع لكونه من أهل الريف وأيضا يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله (خنافر) مشتق من الخنفرة على وزن الخرخرة أو البربرة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى انه ردد النفس في حلقه وأخرجه من خياشيمه حتى صار نفسا عاليا بخنفرة وبربرة قال الشاعر

وخنفر عند النوم من خيشومه * فصار بهذا الاسم يدعى خنافرا

وسمى بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن خنشور وخنافر على وزن عبابر واحدتها عبورة وأما أخوه فاسمه قادوس على وزن بعبوص وقادوس هذا خلاف ولدين محيليه وقساقل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن أخى ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يقرط) بضم المثناة من تحت على وزن يضرط ويضرط فيها لغتان قال الشاعر ففيها شرط الواشون جمعا * فصار ضراطهم فيها يفوح

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشدة وقوة وأما القرط بفتح القاف وجزم الراء فهو قرط الزرع وهو أخذ سنبله وابقاء أصله في أرضه يقال فلان قرط زرع فلان وبضم القاف اسم لحلقة صغيرة من لجين أو فضة تعمل في أذن الصبى وهى ممدوحة خصوصا الولد الجميل فانها تزيده حسنا وتكسوه حلاوة قال أبو نواس في مطلع قصيدة له

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة في درة بيضاء

أى أن هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذى زانه هذا القرط واتصف به صار يسعى على الندماء وبيده خمرة تشبه العقيقة في لونها وهى في كأس يشبه الدرة البيضاء من صفاء جوهره ولطف ذاته ويسقيهم مما في يده ويدير عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى آخر ما قال وقوله (على بيضى) أى بيض الناظم لا بيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور ونحو ذلك وسمى بيضا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من البياض أو من أبو بيض حيوان يشبه العنكبوت أو من بيضة القبان (مسئلة هبالية) ما الحكمة في تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى لهما في الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك (الجواب الشربوى) وهو ان الخصيتين واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصا خصوان واحدهما خصا فاذا أخذت الخصا مثلا وأضفت اليه آخر صرت آخذا خصوين بلا خلاف فافهم ذلك وقد يقال له خصو بالواو بدل الالف المقصورة وهو اسم للزب فاذا قعدت عليه فهمت لذة الكلام وهو في حكم الاب للخصيتين لانه لا يفارقهما وهما في حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه ولهذا ان الخصيتين دائما في مقام الخضوع للذكر وهو في مقام الرفعة عليهما وهما

فى مقام التدلى وهو فى مقام الترقى وهما أيضا فى مقام الاضافة وهو فى مقام الرفع والنصب وأيضا له قوة فى فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون وقرع القبب المسطحة وهما واقفان له على الباب تأدبا معه وهذا من علامة البر بالوالد (كما اتفق) ان بعض الشعراء قصد ملكا يستمطر احسانه فرآه فى البستان فوقف على الباب وأراد الدخول فمنعه الحارس فنظر خلف حائط البستان فرأى جدول ماء يجرى وينتهى الى محل تحت الحائط ينصب فى فسقية كبيرة ورأى الملك جالسا عليها فاخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت الناس كلهم كالاير قد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب ثم طواها ووضعها فى قصبة فارسية وسد عليها بالشمع وألقاها فى الجدول فأخذها الماء حتى ألقاها بين يدى الملك فتناولها وفك ختامها وأخرج الورقة فلما قرأ البيت تبسم وناداه ادخل يا خصا فقال الشاعر أدام الله الملك ماهذا الاعن وسع عظيم فاعجبه كلامه وأنعم عليه وارتد شاكرا (قلت) وبذكر مصادفة هذه الالفاظ ذكرت ما اتفق ان السلطان قانصوه الغورى رحمه الله غضب على انسان وأراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة آلاف دينار ونزل من عند الملك ليأتى بها فلقيه رجل من أصدقائه وهو على سلم الديوان فقال له بلغنى أن الملك عمل عليك ألف دينار فقال لا على الطلاق ثلاثة قال فلما سمع الملك وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها فى معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه من الثلاثة آلاف دينار وأنعم عليه ومضى الى حال سبيله (وقد يطلق لفظ الخصا على الذكر أيضا ويسمى الدلدول والذنب والزب والاير والغرمول وغير ذلك لكن أشهر أسمائه خمسة وقد ذكرتها فى رسالتى رياض الانس فيما جرى بين الزب والكس وهى

لى عندهم أسماء حقا تذكر * اير وزب دلدل وذكر
وخامس الاسماء أدعى بالخصا * اذا غضبت خلتنى كالعصا

ويلقب بالاعور والافطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج ويكنى أبو الجلات وأبو الصدمات وأبو الهيازع وأبو الزلازل ونحو ذلك واذا أطلق الانسان عنانه وأطاع هواه ألقاه فى أشد المصائب قال ابن عروس رحمه الله تعالى

الناس فى الله تاهوا * والاجواد شاعت ثناها ماضرنى غير بطنى * واللى مدلى حداها

وقد تشبه الخصيتان بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين

يارب زول نعمنا باريا * يارب أهلك شيخنا الادبا كان خصيته اذا كبا * دجاجتان يلقطان حبا

فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين وكذلك بابدال الالف واوا كما تقدم ويكون من باب تسمية الشئ بما جاوره وخصيتين على وزن ضرطتين أو شختين فيكون فيهما الضرطة والشخة بيقين واشتقاقهما من الخص بضم الخاء المعجمة أو من قرية تسمى انا صوص أو من قولهم للكتاب أخص مثلا ومصدرها خصا يخصو خصاء قال الشاعر

خصا بخصوم مصادر خصيتين * خصاء صح فى نظم الطنبنى

انتهى الجواب عن هذه المباحث الفشروية والاشكالات الهبالية وقوله (بخلبة ليف) أى ربطة قوية دائرة على بيضه مرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمى بذلك لكونه ملتفا على أصول الجريد وسميت هذه الربطة بالخلبة لكونها تخلب على الشئ فلا ينفك منها الا بعسر وفى اصطلاح الرعيان أنهم اذا أرادوا ربط شئ بمكنة يقولون اخلب عليه خلبة الوتد أى لف عليه الحبل مرتين واربطه ربطة قوية حتى لا ينفك منه وهى مشتقة من خلب الزرع أو من مخلاب الطير أو من البرق الخلب بضم الخاء المعجمة وتشديد اللام وهو الذى لا مطر فيه قال ابن العربى نفعنا الله به

كل الذى يرجو نوالك أمطروا * ما كان برقك خلبا الا معى

ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل لحدوث شيبه قبل أوانه فقال

ص ﴿ومن نزلة الكشاف شابت عوارضى * وصار بقلبى لوعة ورجيف﴾

قوله (ومن نزلة) النزلة واحدة النزول وتطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلوا فى محل واستمروا فيه زمنا كما يقال نزلة بنى فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازى ومن هذا القرية المعروفة بالنزلة وأما النزول فمعناه نزول الشئ من الاعلى الى الاسفل وضده من الصعود وهو الترقى من الادنى الى الاعلى يقال صعد الى أعلى الجبل ونزل الى أدنى الارض قال امرؤ القيس يصف فرسا شجاعا

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله (الكشاف) جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقاليم المتولى عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويسد النهور ويعكى الجسور ويزيل اللصوص وكان هذا عادة كل كاشف تولى فى قديم الزمان يسير سيرة حسنة ويمر على البلاد واذا أقبل على قرية يقرع الطبل فيخاف منه أهل البدع وأرباب المفاسد ويتخلوا هاربين خوفا منه وربما وقعوا فى يده فيعاقبهم بما يستحقونه من قتل أو حبس أو ضرب أو أخذ دراهم ثم ينزل على القرية اذا كان له عليها عادة بالنزول وتأتى اليه مشايخها ويقفون بين يديه فى أشد ما يكون من الرعب والخوف ويستخبرهم عن أحوالهم ويسألهم عن أرباب المفاسد وأصحاب البدع ويلزمهم بالقبض عليهم اذا لم يكونوا فى القرية ثم بعد ذلك يسرعون له فى الاكل والشرب والتقاديم على ما جرت به العادة واذا وقع فى قرية فتنة فيما بينهم أو قتل أو خروج عن طاعة أستاذهم أو قائم مقام القرية هجم عليهم بامر الوزير وأحرب القرية وقتل منهم من يستحق القتل وأزال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على الاقليم رحمة وسيره كشف غمة مالم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر على الناس من نهب متاعهم وأذيتهم وتكلفهم فى المأكل والمشرب فوق طاقتهم والا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لاربابه الا ان سمحت نفوسهم بذلك فلا بأس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف تقديره أى ومن

تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لى منه من الرعب والخوف من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول ورجفان القلب من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصة وخوفى من هذا الامر أن ينالنى منه ضرر (شابت عوارضى) اضعفنى عن مقابلة الكشاف وعجزى عن شئ يأخذونه من دارى من جملة المطلوب أو غير ذلك فمن هنا تنزعج الاعضاء وترجف الجوانح وينبت الشيب فى غير أوانه (والشيب) كرامة من الله تعالى لعبده اكرمه به وأول من شاب ابراهيم الخليل عليه السلام شاب نصف لحيته فقال يارب ماهذا فقال هذا وقار لك فى الدنيا ونور لك فى الآخرة فقال يارب زدنى من هذا الوقار فاصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفى الحديث ان الله يستحى أن يعذب شيبة شابت فى الاسلام وللشيب فضائل كثيرة منها انه وقار للشخص كما تقدم وهيبة له ويذكره قرب حمامه لانه نذير الموت قال بعضهم

اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه ثوبه من أمامه
وقارب عند المشى فى خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

وقال آخر وأجاد

تبسم الشيب بوجه الفتى * أوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لايبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وفى هذين البيتين الطباق اللفظى كما لايخفى (والشيب) مذموم عند النساء قال هرون الرشيد لزوجته ماتحبين من الرجال فقالت من خده كخدى وأيره كزندى قال فاذا التحى قالت يطرق الحدقة ويعجل بالنفقة قال فاذا شاب فقالت يصبر على الخناق أو يبادر بالطلاق فهو عندهن مذموم وصاحبه من أنس الغانيات محروم خصوصا اذا قل ماله وساء حاله قال بعضهم

سلونى عن حال النساء فانى * خبير باحوال النساء طبيب
اذا ابيض شعر المرء أوقل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم وقال القاضى الفاضل رحمه الله

تعجبت حين راح سعدى * من بعد نضو الخضاب حالى

قالت أهذا الذى أراه * غبار طاحونة بدالى فقلت لاتعجبى فهذا * غبار طاحونة الليالى

أى انها تكدرت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحونة قد لاح على وجهه وغبر لحيته وتعجبت من حدوثه بسرعة وتعجبها منه يقتضى تكدرها وطى بساط أنسها فاجابها بقوله لاتعجبى من اسراع ظهوره فان عجائب الليالى واستنتاجها المصائب المشبهة عند دورانها بالطاحونة اظهرت هذا الغبار الذى تريته فلا تلومى واصبرى على ما بليتى به (وبعضهم) شبه حدوث الشيب فى لحيته بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها فى السواد بابن داية وهو الغراب الاسود فقال

ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش فى وكريه ضاق له صدرى

(ومنهم) من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله في السواد كاشتعال النار في الحطب الغليظ اليابس قال ابن دريد رحمه الله في أول قصيدته

يا ظبية اشبه شيء بالمها * راتعة بين العقيق واللوا
أما ترى رأسي حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجا
واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جزل الغضا
فكان كالليل البهيم حل في * ارجائه ضوء صباح فانجلا

والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشيبة التي تباع عند العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال رأوا في الشيبة نجاسة مثلا ومصدره شاب يشيب شيبا وذكره الشيب في العارضين أولا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء لان اول مايشيب من الكرام العارضان ومن اللئام العنفقة قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضين * وشيب اللئام من العنفقه
وشيب الرؤس بعاقي النفوس * وشيب الصدور من الزندقه

وقصره المشيب في عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه في عارضيه ثم جرى في بقية لحيته بيقين فذكر الاصل والفرع تابع له * وأما الحاقه تاء التأنيث في الفعل فهو جرى على لغة الرياقة والناظم منهم وأيضا لو قال شابا عارضي أو شابوا عوارضي لاختل الوزن فراعى لغته ووزن الكلام (مسئلة هبالية) لاي شيء قال ومن نزلة الكشاف ولم يقل ومن نزولهم لئلا يتوهم سامع بليد الطبع انها النزلة التي تعترى الانسان من حصول برد يحصل به فينزل في رأسه ويتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك ودواؤها ان تدهن الجبهة ببياض البيض ممزوجا بالمصطكي فانه يخفف ذلك وما الحكمة في انه أتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينه وبينهما مناسبة وكان حقه أن يأتي بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر

شواربك والعنفقه * في طيز كلبة مطلقه والحس خراها بافهيم * ومزمزه بالملعقه

(قلنا الجواب الفشروى) أن النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وأيضا الاتى ألطف من الذكر في الذات والصفات وان كان الذكر أشرف وأيضا الفلاح عنده العجلة أو البقرة أكثر نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا أن الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور بخلاف مذهبنا نحن معاشر الفساق فانا على حد قول أبي نواس رحمه الله

عجبت لمن يزني وفي الناس أمرد * أليس ركوب الفحل في الحرب أجود

وأما ذكره القلب مع العارضين فانما هو تغاير في اللفظ والمعنى واحد من حيثية أن الروح سارية في الجسد كله فاذا اهتم القلب وتعب سرى ذلك في الجسد ونشأ الشيب منه فيكون على معنى ما قارب

الشيء يعطى حكمه أو على حد قولهم شاب القلب فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فاتضح الاشكال على وجه هذا الهبال * والعارض مشتق من العرضية التي تلف على الرأس أو من عارضة الباب أو من العروض الذي يعتري الانسان من لمس الجن أو من العارض الذي يأتي بالمطر أو من عارض الجبل قال بعضهم قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض أو أنه سمي بذلك لتعرضه في الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض وقوله (وصار) على وزن فار من الصيرورة أو من صاري المركب أو من الصرة التي تنقل في كل عام الى الحرمين (القلبي) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما لا يخفى على صاحب العقل القشروي وقوله (لوعة) وهي شدة حرارة القلب ولهفته من ألم العشق أو الخوف أو بعد المحبوب ونحوه كما قلت في معنى ذلك

أواه واحربا من لوعتي وكفى * أني أكابد زفرات بأشجاني

وقوله (ورجيف) على وزن رغيف أي رجفان لا يسكن ألمه ولا يهدأ تحركه من شدة ما نالني من رعب نزول الكشاف وخوفي منهم كما تقدم ومصدره رجف يرجف رجفا مثل غرف يغرف غرفا ثم ان الناظم شرع في ذكر مصيبة أخرى ابتلي بها هو واخوانه الفلاحون وهي أشد عليهم من الامور المهمة فقال

ص ﴿ويوم يجي الديوان تبطل مفاصلي ، واهتز على روحي من التخويف﴾

ش قوله (ويوم) بالتنوين (يجي) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب واسأل القرية أي أهلها وهو أن النصراني اذا حضر الى القرية أو الكفر وفرد المال على الفلاحين حكم الجوالي والقوانين التي جرت بها العادة وشرع في أخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على غلاق المال في الفلاحين من يقترض الدراهم بزيادة أو يأخذ على زرعه الى أوان طلوعه بناقص عن بيعه في ذلك الزمن أو يبيع بهيمته التي تحلب على عياله أو يأخذ مصاغ زوجته يرهنه أو يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن للنصراني أو لمن هو متولي قبض المال وان لم يجد شيأ ولا يرى من يعطيه وخشي الملتزم أو المشد من خرابه من البلد أخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال أو يأخذ أخاه ان لم يكن له ولد أو أحدا من أقاربه أو يوضع في الحبس للضرب والعقوبة حتى تنفذ فيه أحكام الله تعالى ومنهم من ينجو بنفسه ويهرب تحت ليل فلا يعود الى بلده قط ويترك أهله ووطنه من هم المال وضيق المعيشة كما قال بعضهم قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن

وأجبتها بتذلل ، والقلب يعلوه الشجن هم المعيشة فرقت * بين الاحبة والوطن

فلا بد على كل حال من تغليق المال ولو حصل من ذلك الهم والنكال كما في المثل الذي اشتهر وعم مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم وما دام على الفلاح شيء من المال فهو في هم شديد ويوم السداد عند الفلاح عيد والحاصل ان الفلاح على قسمين قسم ناجي ناجب وقسم خائن خائب

(فاما)

(فاما الاول) فهو صاحب عقل وسياسه وحسن تصرف ورياسه عقله رزين ملازم للصلاة والدين والزرع والغيط تارك للسندة جنب الحيط له على جاعته الجاسه متجنب الرذالة والخساسه يباشر الزرع ويقف عند الحصيدة والقلع لا يتكل على خولى ولا مرابع ولا يركن لتوار ولا مزارع بل يباشر الامور كلها ويعرف مرضها وعللها ويلازم المشد والاستاد ولا يسعى فى خراب ولا فساد فان أخذ من معامل فلوس لا يصرفها فى أمر معكوس بل على مصالح الزرع والبهائم والامر الذى عليه لازم وينوى السداد لصاحب الدين ويشفق على الفقير والمسكين ويفيق لاتواره ويحفظ غيط جاره وينوى سداد المال ويتكل على العلى المتعال ويترك نفش الشوارب والجلوس على المصاطب يبارك له الديان ويسدد مال السلطان وان جاءه المعامل أوفاه وان طلب منه ثانى مرة أعطاه وترتاح أولاده ويرضى عنه استاده ويعيش فى راحة ودين ويرضى عليه رب العالمين

(وأما القسم الثانى) لا عقل ولا معروف عريان منتوف لا صلاة ولا دين ولا طاعة لرب العالمين ولا ذوق ولا معرفه فائق للشر والمقرفه بالنهار فى لعب المنقله وبالليل صاحب العتله لا يلازم الغيط حب الطعة جنب الحيط نافش الشوارب قليل المكاسب عويل مهدار سنلاق فشار ان دخل فى يده فلوس فرقها على العتورة والتيوس لا يلازم مشد ولا استاد دائر فى العكس والفساد تيرانه جائعه وخيوله ضائعه لا يصرف الاشياط وعياط وزرعته مافيها الاضراط يصرف من غير قانون مشحوت منحوت مديون ممقوت مع استاده دائر فى غيه وفساده لو ضربه مقارع أو كسارات لا يخلى النط فى الدور والحارات ان قال له استاده على الصواب ينوى على الرحيل والخراب دائما فى مقت وكرب ولا يفيد فيه الحبس والضرب فنف معكوس محرك الشر حرب البسوس لا يقدر على وفاء دين مكسور عليه ما دالف والالفين فتنة فى البلد عمره فى هم ونكد لا يوفى المعامل ولا له رأى كامل المقت منسكب عليه وشبيه الشئ منجذب اليه فلا خير فى حياته ولا يبكى عليه بعد مماته لانه طويل الكم فشار قليل الفرح فى الدار عترا كالخره لا دنيا ولا آخره كما قيل

فهذا الذى ان عاش لا نفع به * وان مات لا تندم عليه أقاربه

(وأول) من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأول ديوان عمر بمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم ينضبط على وتيرة واحدة وكان الخراج فى زمانه يسيرا ولهذا لما فتحها صلحا أو عنوة على ماقيل جمع منها أموالا كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها قال هشام بن رقية اللخمى ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر من كتم عنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فطلبه وسأله فأنكر فحبسه فى السجن وجعل عمرو يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب من الطور فأرسل عمرو الى بطرس وأخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب على لسان بطرس يحرضه على حفظ

المال وعلى مكانه وذكر له ماشاء أن يذكره وجهز الكتاب مع قبطي وثق به فجاءه الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها اما الكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاطة التي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر فأخذ المال وضرب رأس بطرس عند باب المسجد انتهى (وحكى) ان المرحوم السلطان سليم لما أخذ مصر من المرحوم السلطان الغوري في رجب سنة ٩٢٠ عشرين وتسعمائة جعل له قانونا ودونه بمصر (منه) انه لا يكتب شيء من مال الديوان على أحد من الجند ووافق ذلك رأى مولانا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما أرسل الى نائبه عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه يأمره بذلك (ومنه) ان الجند لا يسكنون في بيت الملك (ومنه) انه لا يتزوج بمصرية (ومنه) أنه لا يقيم في مصر أكثر من سنة وبعدها يجهز الى مكان آخر (ومنه) ان الجندي لا يجمع بين الحكية وجهات الاوقاف والمراد بالجندي المثبت في الديوان أصحاب الجوامك والعلوفات وأول من جبى خراج مصر في الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وكانت جبايته اثني عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعد بن أبي سرح خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال ابن عفان لعمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما يا أبا عبد الله درّت اللقحة بأكثر من درها الاول فقال له سيدنا عمرو أضررتم بولدها (وهذا الذي) جباه عمرو وعبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج (وكان) خراج مصر في زمن المأمون والمعتصم اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة أصابع أربعة آلاف ألف ألف ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينار والمقبوض على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن عشرة انصاف (واعلم) أن مصر كانت قبل الاسلام مائة وثلاثة وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمسة وستين قرية فخرب منها ثمانية وستون كورة ثم تناقصت فجاء الاسلام وفيها أربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص منها شيء (ونقل الاستاذ السيوطي) أن سيدنا عمر بن الخطاب كتب الى سيدنا عمرو بن العاص يقول له اياك ان تكتب شيأ من مال الديوان على أحد من الجند الحذر الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشيء بما يصير اليه وسمى ديوانا لاقامة الدين فيه باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم أو لحضور ما دون الملك فيه أو لجمعه على أجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصائد والتواشيح ومقاطيع الاشعار اذا أنشأه شخص ديوان فنزول الديوان في البلد على كل حال أمر مهول على الفلاحين ومصيبة على المقلين والناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين المنكسرين في مال السلطان كما سيأتي في قوله ويادوب عمري في الخراج وهمو وان الدهر والزمان مال عليه وصيره في هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه انى اذا حضر الديوان أوقرب حضوره داخلني الخوف واعتراني النزع ودهمتني الداهية الكبرى ولحقتني طربة عظيمة

لعدم شيء من الدراهم أورده في مال السلطان أو الخوف من العقوبة والحبس فبسبب ذلك (تبطل) أي ترتخي وتسكن ويقل نفعها (مفاصلي) جمع مفصل وهو فرجة يسيرة بين العظمين مستمسكة بالعروق فاذا سكنت تلك العروق وارتخت بطل عملها وقل نفع ذلك العضو وقد ذكر ابسط المفصل في قول أبي نواس لما احتضر

لم يبق الا نفس هافت * ومقلة انسانها باهت ومغرم تضرم أحشاؤه * بالنار الا أنه ساكت مافيه من عضو ولا مفصل * الا وفيه ألم ثابت رثا له الشامت مما به * ياويح من يرثى له الشامت

فنبه في هذا البيت الناظم على هذا الامر الذي حصل له لعجزه عن دفع ما عليه من خراج الارض ولكونه لا يمهله النصراني ولا يرثي لحاله ولما كان يلزم من حدوث بطلان مفاصله من شدة الخوف والطربة انطلاق البطن كما يقع غالبا لبعض الناس قال (واهر على روحي) أي على ذاتي لا الروح السارية في الجسم من شدة الطربة وهم (التخويف) أي تخويف جماعة النصراني أو المشد أو الخوف الذي يصيبني يعني ان الطبيعة تلين من انحصار هذا الهم وشدة تلك الطربة الحاصلة فينزل الغائط لينا يشبه هرار الطين بعد أن كان اذا ضربته في الحائط رد في وجهك من يبسه فيسيل على ذاتي وثيابي فلا أعالك دفعه لانه يتدفق بسرعة من شدة الخوف * والهر واحد الهرار والهرار على وزن الجرار واحده الهرة من قولهم هر عليك الحمار أو هرت على لحيتك الكلبة أو هر على ذقنك الكلب مثلا و يقال هر التراب وهر الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لنفسه من الاعلى للادنى فانك اذا نظرت الى أكوام الرمل نظرت فيها الهرار بيقين أو هو مشتق من الهرة التي تصيد الفأر وتسمى بلغة أهل الحجاز البسة بضم الموحدة وبلغة أهل مصر القطة ومصدره هر يهر هرارا ثم ان الناظم نبه على انه لم يسعه من هذا الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهروب من عادهمه والاختفاء منه فقال

ص ﴿وأهرب حدا النسوان وألتف بالعبا * ويبقى ضراطي شبه طبل عنيف﴾

ش قوله (واهرب) أي أنا لا أجد غيري (حدى) أصل بالمد والذال المعجمة واستعملت بالدال المهملة جريا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشيء أي جانبه أو مقابله وقوله (النسوان) أي عندهن أو محاذي لهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من التأنس أو الانس أو المؤانسة لان آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حواء أنس بها وسعى لها فمن هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهن لانهن غاية المطلوب ورياحين القلوب قيل مر بعضهم بامرأة جميلة فأنشد يقول

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فأجابته بقولها ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهي شم الرياحين

(والنسوان) على وزن الجروان والنسوة على وزن القهوة أو العجوة والنساء على وزن الكساء وقد

يأتي فيها الفساء أيضا والمعنى أني اخشى على نفسي وأخاف مما دهاني فامضي بسرعة وأنا في هذه الحالة وأهرب أي أنطلق بسرعة الى النسوان وأختفي بينهن أو اجلس بجانبهن أومقابل لهن كما في المثل الهروب نصف الشطاره وقد هرب عنترة مع قوته وشجاعته وقال اعاير بهذا ولا أقتل فالشخص اذا خاف من ظالم أو أحد يؤذيه وتمكن من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوز له ذلك قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (ومما نقل من الامثال) جدع قصير أنفه وقصير اسم رجل وهو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الابرش الذى هو أول من اتخذ الشموع وأوقدت بين يديه وكان له أخت جميلة زوجها العدى أحد ندمائه حال سكره فلما أفاق عدى وهرب أتت منه بولد اسمه عمرو فتربى عند خاله جذيمة الابرش وأحبه حبا شديدا ثم ان جذيمة أغار على أبي الزباء فقتله واستولى على بلاده وهربت الزباء الى القسطنطينية فجيشت جيوشا وعادت له حتى استخلصت منه بلاد أبيها ثم انه أرسل لها يخطبها فأجابته فاستشار خواصه فنعه قصير وقال هذه مكيدة فلم يقبل وذهب اليها بالاموال والجهاز فأمرت عسكرها بأن يتلقوه ويحيطوا به حتى يفردوه من عسكره ففعلوا فلما رأى قصير ذلك ركب فرس جذيمة الابرش وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا جذيمة وأدخلوه عليها فكشفت له عانتها وكانت تركتها سنة وقالت له أجهاز عروس ترى فقال بل جهاز أمة بظراء فأمرت الجواري أن يفرشن له نطعا وأجلسوه عليه وفصدوه في جميع عروقه حتى فرغ دمه فمات ثم ان قصيرا سعى في أخذ ثاره بحيلة جدع أنفه واذنيه وذهب اليها مستجيرا من عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لانه تولى المملكة بعد خاله فقبلته وأحبته وملكته ثم انها أرادت غزو عمرو فقال لها عندي من السلاح والاموال شئ كثير فجهزته ليأتيها بذلك فجاء لعمرو وقال له قد أصبت الفرصة وأعطاه ألفي رجل بسيوفهم في صناديق مملوءة ذهبا وسبق قصير فأخبرها بذلك فجلست في محل عال تنظر للجمال باحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق وخرجت تلك الابطال بسيوفهم وكان في يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى عليه السلام (فان قيل) لاى شئ اختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع أن النساء لا يقدرن على دفع الاذى والضرر ولا منع من يؤخذ من بينهن لضعفهن وعدم مقاتلتهن فما حكم ذلك (قلنا الجواب من وجهين) الاول لما دهمه هذا الامر وأتاه الديوان على حين غفلة وارتخت مفاصله وحصلت له حالة الهزهزة على روحه كما تقدم ولم يستطع النهوض ولا المسير الى أحد من الرجال يختفي عنده أو الى محل بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدة خوفه وكثرة هراره على نفسه وضراطه عليها أيضا اذ هو من لوازمه كما سيأتي ورأى هؤلاء النسوة قريبا منه أو من محله فتوارى بينهن (الثاني) يفهم منه انه كان ضعيف القلب جبانا لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة ولا على شئ من أمور الرجال وخشي أن يمضي الى أحد من الناس أو من أقاربه فيدل عليه النصراني فيأخذه

ويشوش عليه وينتقم منه لان الفلاحين ليس لهم أمان ولا عشرة حسنة مع بعضهم خصوصا الاقارب كما تقدم فكل شئ له من جنسه آفة كما قيل

ولكل شئ آفة من جنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد

وأيضا النساء غير متهمين بهذا الامر فاذا رآهن أحد قد اجتمعن فى محل لا يشك أن بينهن رجلا الا ان ظهرت له قرائن تدل عليه وربما منعه الحياء منهن عن التفتيش وقد توارى سيدنا حسان رضى الله عنه عند النساء فى بعض الغزوات لجبنه وقلة شجاعته كما هو مذكور فى السير فاتضح الجواب ثم انه لما كان هروبه عند النساء يحتاج لشئ يواريه من الاعداء ويستره عن الاعين قال (والتف بالعبا) أى وقت جلوسى بين النساء أو بجانبهن أو قبالهن التف فى العباء أو أرقد بعد لفى فيها لاطرد عنى الوهم بالتفافى بها فان الخائف أى شئ رآه توارى فيه سواء كان عباء أو ثوبا أو شيأ يواريه عن الاعين بل ربما تزيا بزى النساء واختفى عن عدوه ونجاه الله تعالى منه (كما تفق) أن بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل من العصاة ليقتله فقيل له هو فى القرية الفلانية فأرسل له بعض الامراء بطائفة من العسكر فدخلوا القرية وأحاطوا بها فلما عرف الرجل أنهم يريدوا أخذه للملك تزيا بزى النساء وخرج فى جمع منهن ينوح ويبكى ويصيح وهن يخرجن معه فقال الامير ما بال هؤلاء النسوة سلوهن عن حالهن فأقبل جماعة وسألوهن فقلن مات لنا ميت فى القرية الفلانية ونريد التوجه اليه فخلى سبيلهن فذهبن والرجل المطلوب بينهن ولم يعرف الامير حاله الى أن جاوز العسكر ومضى الى حال سبيله ونجاه الله تعالى من ذلك الملك (ومثل هذه الواقعة) ما اتفق لى أنى كنت فى سفينة مسافرا من بلدى شربين لمصر فلما جاوزنا قرية تسمى مسيد الخضر واذا بغلام جميل الصورة عليه ملبوس حسن فى زى خدمة الامراء وهو يصيح على رئيس السفينة خذنى ويتذلل له ويتداخل عليه أنه يأخذه وهو فى كرب عظيم فامتنع رئيس السفينة من أخذه وخشى أن يكون خلفه أحد يفتش عليه أو يأتى فى أثره وكان فى السفينة ثلاث من النساء وفيهن امرأة كبيرة فقالت يا رئيس غلام مكروب يسألك فى أخذه فلم تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وأنا أصنع له حيلة تواريه عمن يطلبه وأخفيه بين بناتى ولا يعرفه أحد فسمع الرئيس كلامها وأخذ الغلام فلما صار فى السفينة أخبر أنه كان فى خدمة بعض الامراء وانه استغفله وهرب ولا بد من مجيئه خلفه فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعها فأخذتها وأخفتها فى حوائجها وألبسته لبس النساء وأجلسته بجانبها فبينما نحن فى هذه الحالة واذا بأمير راكب على فرس وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال ومماليك حتى صار قبالة السفينة وقال للرئيس ادخل البر حتى أفتشك فانه هرب لى غلام فى هذه الساعة ومعه ألف دينار سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل البر وصار كل من فى السفينة فى خوف من هذا الحال فطلع الامير وأعوانه وفتش السفينة والمرأة تقول هذا شئ ما رأيناه قط وانما رأينا

غلاما يجري من بعيد الى الجهة الفلانية فمنعه الحياء وعدم الشك فطلع من المركب ولم يظفر بشئ وأما الغلام فانه مكث معنا فى المركب الى أن طلع مصر وذهب الى أهله سالما والناظم لما رأى هذه العباءة اندرج فيها والتف بها واللف هو الاندراج فى الشئ واللف به مرارا ويطلق على الاكل بلغة أهل الريف يقال فلان لف متردعدس أو مترد بيسار يعني انه أكله ويقال داهية تلفك مثلا فالناظم اندرج فى العباءة المذكورة ليوهم من رآه ان هذه عباءة ملتفة ولا يشك أن داخلها أحدا والعباءة كساء عريض طويل يعمل من الصوف له خطوط مختلفة الالوان يجعلها أهل الريف فراشا فى الصيف وغطاء فى الشتاء فهى مناسبة للفصلين وهى أفخر ما عندهم من الفراش والغطاء وقد ورد لفظ العباء فى قول سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه

نحن أصحاب العبا خمستنا * قد ملكنا شرقها والمغربين

والعباء مشتقة من عب الماء لانها تعبه اذا ألقيت فيه أو من عبوب البحر أيام النيل أو من أبو عبية كنية لبعض الفراريج الصغار يكنيه نساء الارياف بها ومصدرها عب يعب عبا وقوله (ويبقى) أى عنده هذه الحالة التى أنا فيها وهى انسهال الطبيعة وسيلان الهرار على نفسى من عدم الامن وشدة الخوف وأنا ملفوف فى هذه العباءة ومندرج فيها (ضراطى) أى صوت الريح المتلاحم فى بطنى من أكل العدس والبيسار عند خروجه من ضربان الاعضاء ورجفان القلب (شبه) أى يشبه صوت قرع (طبل) وهو جلدة مركبة على خشب أو نحاس تقرع عند المواكب والتحام الحرب له دوى شديد ورعب زائد وكله حلال الا الكوبة وهى طبلة صغيرة مخصورة الرقبة وتسمى أيضا بالدرابكة وطبل الرق يستعمله أرباب الملاهى وكذلك الزمر كله حرام الا النفير وقوله (عنيف) أى شديد الضرب يقال فلان عنف فلانا يعنى انه ضربه أو أدبه والمعنى أن صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط يشبه صوت طبل يضرب به رجل بقوة وشدة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس المضروب أو أن مراده بالطبل العنيف الكبير مثل النقارة ونحوها لكونه لا يعرف غيرها والحاصل من هذه العبارة أن الضراط فيها على أربعة أقسام (الاول) ضراط يخرج رقيقا ضعيف الصوت ممتدا بصوت ضعيف (الثانى) ضراط يجول فى البطن بقرقرة ثم يخرج ريحا من غير صوت (الثالث) ضراط يخرج ممتزجا بالغائط وصوته يشبه صوت قلة الماء عند امتلائها (الرابع) ضراط يخرج بعنف وله صوت عال يفزع القلوب وهو الذى نبه عليه الناظم وصرح به ولكل قسم من هذه الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه أرياح لطيفة تتولد فى بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين الاليتين بصوت رقيق بحسب لطفها ورقتها للطف المأكل قال الشاعر

خرج الضراط من الحبيب برقة * ولطافة لوجود لطف المأكل

وهذا ينشأ من أصحاب الاجسام اللطيفة وأرباب المآكل الخفيفة (والثانى) ضراط يجول فى البطن

بقرقرة وربما وقف فى وسطها فلا يتحرك حتى يكاد يهلك صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقرة فيتولد منه الضرر وهذا يسمى عند الاطباء ضراطا لا ينضج وسببه من الماء كل الغليظة واذا انضج أسرع فى الخروج وقبل نضاجه اذا خرج منه شئ يكون فساء وفى هذه الحالة يكون خروج الضراط نادرا قال الشاعر

يخلط فى المأكول طول نهاره * وفى الليل تلقى بطنه يتقرقر

(كما اتفق) ان رجلا أتى الى طبيب فقال له أحس فى بطنى معمعة وقرقرة فقال له أما المعمعة فلا اعرفها وأما القرقرة فضراط لا ينضج فاذا كان الريح يجول فى البطن من غير قرقرة مع شدة وجع يقال له مغص يعالج بأكل شئ من الشيح أو الصعتر المغلى بالسكر فطورا وربما مكث يوما كاملا أو ليلة كاملة (كما اتفق) لابن الراوندى عفا الله عنه انه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسأل الله تعالى أن يفرج عنه بفسوة تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح يتوكأ على عصا له فسمع رجلا يقول اللهم ارزقنى ألف دينار فقال له ياسقيع الذقن أنا طول ليلى أطلب منه فسوة فلم يعطها الى أيعطيك ألف دينار وتركه ومضى ولهذا يقال مغصة قليله الفساء (قال المسعودى فى مروج الذهب) فى ذكر جمل من الاخبار عن البحار ومافيها وما حولها من العجائب والامم ونعود الى مراتب الملوك ونسوق مابقى من الممالك على البحر الحبشى الذى شرعنا فى وصف من عليه الى أن قال فى آخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم أنهم لايرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤذى ولا يحتشمون من اظهاره فى سائر احوالهم وكذلك قال حكماؤهم ان حبسه داء يؤذى وان ارساله شفاء يحيى وان فى ذلك العلاج الاكبر وان فيه راحة لاصحاب القولنج والمحصور وان فيه دواء للسقيم المطحول ولا يحتشمون الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا (وذكر هذا الخبر) عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء على وزن الفساء اقبح منه (واستشهد هذا الخبر) على صحة ماحكاه عن الهند باشتهار القول فى ذلك بين كثير من الناس حتى ذكر ذلك عنهم فى السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندى * مقالة ينتج منها قصدى
لا تحبس الضرطة مهما حشرت * وخلها وافتح لها ما استفتحت
فان أدوى الداء فى امساكها * والروح والراحة فى اخراجها
والقبح فى السعال والمخاط * والسوء فى الفساء لا الضراط
أما الجشاء فقساء صاعد * وتنتنه عن الفساء زائد

(وأن الريح) واحدة فى الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الى الصعداء يسمى جشاء وما يذهب الى أسفل يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال

اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قريش والعرب فبينما هو في المجلس اذ دخل عليهم اعرابي وكان عبد الملك يعجب به فسر عبد الملك وقال هذا يوم سرور وأجلسه الى جانبه ودعا بقوس رمى عنها وأعطاها من على يمينه فرمى عنها حتى اذا صارت الى الاعرابي فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابي فرمى بها مستحييا فقال عبد الملك دهينا في الاعرابي وكنا نطمع في أنسه واني لأعلم أنه لا يسكن ما به الا الطعام فدعا بالمائدة وقال تقدم يا أعرابي لتضرط وانما اراد لتأكل فقال له الاعرابي قد فعلت انا لله وانا اليه راجعون لقد امتحنا هذا اليوم فقال عبد الملك والله لا جعلنها مذكرة يا غلام ائتني بعشرة آلاف درهم فجاءه بها فأعطاها للاعرابي فلما صارت له تسلى وانبسط ونسي ما صدر منه فانشد حكيم ابن عياش الكلبي يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس * فيحبوه الامير بها بدورا
فيالك ضرطة جرت كثيرا * ويالك ضرطة اغنت فقيرا
يود القوم لو ضرطوا جميعا * وكان حباؤهم منها عشيرا
أيقبل ضارط ألفا بألف * فأضرط اصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الملك واجاز حكيم بن عياش بمثلها (وقيل) أقبل الصغيري على مجلس بعض الامراء واراد أن يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيري اذ ولى على عجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانما هي ريح لست تملكها * اذ أنت لست سليمان بن داود

(وهذا) كله من باب الحلم والتستر وابداء العذر عن الجالس في الحضرة اذا ضرط فيها قهرا عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره ولهذا يلغز في الضرطة ويقال

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لها روح ولا تتحرك
تقهقه منها القوم من غير نظرة * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وأما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا لعلة ولا لمرض فانه يكون من القباحة وسوء الادب والازدراء بالجالس في الحضرة فلا يليق بالضارط فيها أن يفعل ذلك ولو أراد به المزح مثلا (وذكر) في كتاب نزهة الابصار في أخبار ملوك الامصار أنه خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظر اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل أين تريد أيها الشيخ قال حائطا لي فقال هل لك أن أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما أحوجني الى ذلك فقال له الفضل خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكمأة فصيره في قشر جوزة واكتحل به فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة مزعجة ثم قال هذه أجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد أن يسقط عن دابته (ويحكى) أن هرون الرشيد وجعفرا مرا ببغداد فوجدا رجلا بعينيه احمرارا

فقال الرشيد لجعفر ماهذا يا جعفر قال هذا رمال فقال لابد من اختباره فتوجه اليه جعفر فقال ماصنعتك فقال ماترى من الاصطرلابات والادوية فقال لم لاتداوى عينيك قال داو تهافلم يفد فقال أصف لك دواء ينفعك فقال قل قال خذ ثلاثة أواق من عروق الهواء وثلاثة أواق من منزوع الماء ودقهما فى هون من الثلج واكتحل بها فقال ذلك الرمال مامر آنفا ثم أتى اليه الخليفة وقال له ماذا تصنع فقال ماترى فقال بى أمراض أخبرك بها فقال له قل قال بشعر ذقنى مغص وما آكله من الطيبات ينزله من أسفل خبيثا وباطنى ظلمة فقال اما ما بلحيتك من المغص فعليك بالموسى واما ماتأكله من الطيبات فينزل خبيثا فكله خبيثا ينزل خبيثا وأما ماتراه من الظلمة بباطنك فعلق على باب صرمك قنديلا لاجل ماينور على استك وبطنك (وقد شاهدنا فى بلاد الارياف) أن الشخص اذا ضرط فى مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر ويلزمونه بطعام يفعله لهم وربما جعلوا له علامة فى الحائط التى يجلس بجانبها من جص او جير حتى يراها كل واحد ويعرف انه ضرط بهذا المكان وربما خرج من القرية بهذا السبب من كثرة مايلومونه على مافعل وكل هذا من كثافة طباعهم وسوء أخلاقهم وقلة معذرتهم للضارط وعدم تسترهم عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور وخصوصا اذا كان كتم الريح يشوش عليه وكان فى مجلس فلا بأس بضراطه فيه وينبغى مسامحته لهذه العلة (ورأيت فى بعض الكتب) ان سبب مالقب حاتم نفعنا الله به بالاصم أن امرأة جاءت اليه تسأله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح بصوت فخجلت وسكتت فقال لها حاتم أعلى صوتك بالكلام فانى رجل أصم وكان كلامه لها من باب التستر عليها ففرحت المرأة وظنت انه لم يسمع منها الضراط فاشتهر بذلك رضى الله عنه (واتفق لى) انى كنت أهوى غلاما جميل الذات لطيف الصفات فصيح اللسان رطب البنان بديع الجمال رخيم الدلال وأنا مشغوف بجماله وراغب فى وصاله وكنت أترقب ان أخلو به ساعة من الزمان وان يجمعنى السعد واياه فى مكان الى أن صادفته فى روضة بالمشموم عابقه ونخيلها باسقه وطيورها بالتغريد ناطقه يرفل فى ثياب العز والامداد وكل صدفة خير من ميعاد فبدأته بالسلام وأبديت له الغرام وسألته الجلوس فأجاب وما أحلى اجتماع الاحباب فلما استقر بنا الجلوس وأردت أن أتملا بقده المأنوس بين هاتيك الرياض الزاهره والروائح العاطره واحظى بحديثه العذب الرائق وبنطقه الشهى الفائق اذ أقبل علينا جماعة من أرباب الذوات الكثيفه والطباع العنيفه وجلسوا من غير طلب وخاضوا فى الحديث من غير أدب فخجل الغلام منهم وأطرق واعتراه الوهم والحنق وأراد أن يتحرك للنفار فخرج منه صوت من غير اختيار فضحكوا عليه وقاموا منصرفين وعليه بالقول لاغين فنظر الى بطرف كحل ووجه جميل وقال ماتقول فى لؤم هؤلاء الارذال فانشدت أقول بارتجال

لاموا الحبيب وما دروا * قصد الحبيب بما فعل لما ازدرى جلاسه * ورأى بهم ذاك الثقل

ورأى التفوّه معهمو * بلطيف انذ كالعسل فيه الخسارة اذهمو * أهل الكثافة والملل
نادا هم من استه * بلطيف صوت قد حصل كما يناسب حالهم * ومقامهم ذا الاقل
فتفرقوا عن مجلس * حاوى الغزال مع الغزل ياحبذا من ضرطة * فيها ذهاب للعمل
رقت وراق محلها * من العواذل والعذل والحمد لله على * ذهابهم قد رحل
فاضرط وغنى وانبسط * واشطح وطب ياذا البطل فى روضة ياحسنها * بها السرور قد وصل
فكلما ترضى به * فالعبد عنه ماعدل لكن بحق المصطفى * غيرى فلا تأخذ بدل

فتبسم عن ثغر كأنه عقود الجمان ومال على بقد كأنه غصن البان وقال لا وحق من فلق الحبه وغرس فى فؤادك شجر المحبه لا أكون فى يمينى حانث ولم يدخل بيننا مدا الدهر ثالث ولم أزل أنا واياه على هذا الحال حتى لحق بذى الجلال ۞ ومن اللطائف أن السلطان قانصوه الغورى مر يوما فى شوارع مصر مختفيا هو والوزير فسمع رجلا من أرباب الدخول يقول لآخر مثله تفتخر على يا فلان وأنا اقدر اصور النغمات من طيزى فقال الملك لوزيره على بهذا الرجل فاحضره بين يديه فاخبره الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لا بد من فعل ما التزمت به فقال له تعفو فى يا ملك فان الرجل فى المخاصمة يقول ما شاء قال لا بد من صدق مقالتك والا قتلتك فقال تعطينى الامان قال لك ذلك فقال يكون فى محل خال قال نعم فتحول الملك الى قاعة الجلوس وأحضره وطايبه فى الكلام وقال له افعل ما بدا لك وكان السلطان الغورى له دراية بهذا الفن وألف فيه بعض رسائل فقال له أى نغمة تريد فقال الحجاز مثلا فحرك أليه وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد أخرى حتى أتى على جميع النغمات ونهزاتها ولم يترك شيأ يلام عليه فتعجب منه الملك وقال له مثلك لا يكون الا رئيس مصر فى هذا الفن ثم انه أجازه بألف دينار وجعله رئيسا على أرباب الدخول كلهم ويقال انه جد أولاد العتر المشهورين الآن (وما حكى) أنه حضر بعض الخياطين عند بعض الامراء ليفصل له قباء فاخذ يفصل والامير ينظر فلم يتهيأ له أن يسرق شيأ فضرط الخياط فضحك الامير حتى استلقى على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما أراد فجلس الامير وقال يا خياط ضرطة اخرى فقال الخياط لالئلا يضيق القباء (وقد) اجتمعت برجل يقال له مافى الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة والدخول وكان يحفظ القرآن حفظا جيدا وكان ضراطه متنوعا يفعله بابطه وكان يفعل به أى نغمة كانت ويعمل منه أشغالا ونحو ذلك فكان بهذه المثابة أعجوبة لكل من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الامراء مقبولا عند العظماء عفا الله عنه (فائدة فشرويه) سمعتها من بعض أهل الخلاعة وهو أن ابليس لعنه الله يضرط فى كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة أنفار أولهم من يركب زوجته ويزورها أضرحة الاولياء والمقابر والثانى من رأى اثنين يتساران وأدخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل المصاحبة والثالث من رأى اثنين يتضاربان وأدخل نفسه

بينهما

بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما في المثل ما ينوب المخلص الا تقطيع الثياب والرابع من يمشي في الطريق ويلتفت من غير حاجة والخامس محبوس الزوجة وقس على أمثالهم (ويحكى) أنه كان لفتى من قريش جارية في أيام ثروته فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة أشغل زمانها فقعد به الدهر فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم عليه فتى من أولاد عمه من ثقيف فانزله بمنزله فدخل عليه ذات يوم والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج لها فعلم أنها شغفت به فوهبها له فأخذها وودعه وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت وصار لا يدري الى أين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج فنادى برئت الذمة ممن رأى وصفته صفتها كذا وكذا فلم يلبث قليلا حتى أتى بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندي من أحب الناس فاخترت ابن عمي شابا حسن الوجه بعد ما رأيتك تسارقيه النظر فعلمت أنك شغفت به حبا فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع ما أنت صانع فقال تكلمي فقالت كنت للفتى القرشي فقعد به الدهر فأتى بي الى الكوفة قاصدا اليك لتشتريني حتى اذا قربنا منها دنا مني فواقعني فسمع هدير الاسد فوثب قائما وأتى الاسد وقتله ثم أتى الي وما برد ما عنده من الانعاظ وقضى حاجته وان ابن عمك هذا لما قام الي وواقعني سقطت فأرة من السقف فضرط وغشي عليه فرششت عليه الماء وهو لا يفيق فخفت موته فتهمني فهربت خوفا منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال لها ويحك اكتمي هذا ولا تعلمي به أحدا فقالت على أن لا تهبني اليه ثانيا (فان قيل) ان الضراط صوت وقد عرفوا الصوت بأنه هواء منضغط بين قالع ومقلوع أو قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا مقروع انما هو يخرج من الاست عند انفتاح الاليين وتحركهما فما الحكم (قلنا الجواب) يقال ان هذا لا يتاتى الا على التعريف الثاني وهو ان الصوت هواء يتموج بتصادم جسمين فاتضح الجواب (فان قيل) ان في قول الناظم ويبقى ضراطي شبه طبل عنيف اشكالا من حيث انه اذا كان ضراطه يشبه صوت الطبل الشديد يكون كل من سمعه أقبل عليه وعرفه وظهر حاله واستدل بهذه الحالة عليه النصراني وغيره فلا فائدة في اختفائه بين النساء ولا في اندراجه في العباءة فما الحكم (قلنا الجواب) أن الناظم ماذكر حصول الضراط له بهذه الصفة الا بعد لفه في العباءة فهو وان كان قويا وله صوت عال فلقوة اندراجه في العباءة لا يسمع منه شيء والمعنى أنه لو كان خاليا عن اندراجه ولفه في العباءة لسمع منه الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس في جب عميق مثلا ومعه طبل يقرعه فلا يسمع منه الا القليل وان كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا على نفسه أو على من يكون واقفا على باب الجب أو قريبا منه فالعباءة حكم الجب وهي أضيق لاندراجها ولفها عليه ولو كان الضراط فيها قويا لا يظهر حسه من الخارج الا ضعيفا أو أنه من باب الغلو في الشيء كما قال الصفي الحلي في بديعيته

عزيز جار لو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس في الظلم

أو يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التى ذكرها لا يتوهم أنه رجل مختفف بل ربما يظن أنه رجل أو امرأة يقضى حاجة فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حال لا اشكال فى كلامه فاتضح الجواب (قلت) ولم أر من صرح بهذه العبارة وجعل الضراط فيها على هذه الاقسام وعرفه بهذه التعاريف غيرى ثم ان الناظم نبه على أن عمره قد انقضى وزمانه قد مضى فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه لشدة فقره وقلة كسبه فقال

ص ﴿ويادوب عمرى فى الخراج وهمه * تقضى ولالى فى الحصاد سعيف﴾

ش قوله (ويادوب) الواو عاطفة بحسب ما قبلها والياء للنداء ودوب هذه لفظة لها اشتقاقات فشرويه ومعان مختلفة * فاما أن تكون مشتقة من دأب الانسان وهو شأنه وحاله الذى هو مهتم به والمعنى انكم تعلمون يا اخوانى أن دأبى طول عمرى مع ما حصل لى من الهموم سابقا فى حساب وفكر وتعب شديد مما على من الخراج وما ينشأ من همه أى خراج الارض وهو المال المكتتب على تحت زرع الارض وما يخرج منها فى كل عام فلا يفى بما على من المال لزيادته وقلة الزرع واضعفى وشدة فقرى وقلة من يسعفنى فى الزرع والقلع فلهذا تقضى عمرى وأنا فى هذا الحال الى آخره * أو أنه من الدب ليلا على الولد الامرد اذا رقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غالبه أو كله فيخشع خوف أحد يتحرك أو خشية الفتنة حتى يقضى الفاسق مراده وربما انتبه الامرد دعتا بالطيفا أو شتمه شتما خفيا فيقول له قدر الله وأنا عبدك مثلا وانى هلكت فى حبك الى أن تمضى القضية على أحسن حال قال بعضهم مواليا

دبيت ليلا على من للملاحة حاز * بقيت راكب على ظهر وشبه الباز

لما انتبه من منامو قال من دا فاز * بوصلنا قلت أعمى جس بالعكاز

وما ألطف قول بعضهم

رمى حر قلبى باجفانه * رشا ما درى قدر ما قد رما وأضرم نار الاسى فى الحشا * ولم يشتكى ضر ما ضر ما وسلم قلبى الى ضده * فياليته سل ما سلما وقد كان قدم احسانه * ولكنه قد ما قدما وقد هد بنيان صبرى به * وما واحد هد ما هدما وحرم ما حل من وصله * وفى مهجتى حرما حرما وقد عز عن أحب الوفا * وما أحد عز ما عزما عجبت لفيض دموعى به * اذا ما جرى أوهما أوهما فسلمت أمرى به للقضا * وحزت به أجرما أجرما وقد رقم الحسن فى خده * فلله قد رقما رقما

(وقال آخر)

شكوت الى الحبيب أنين قلبى * اذا جن الظلام فقال انا

فقلت له أظنك غير راثى * بما كابدت فيه فقال انا

فقلت له أترنى آن قلبى * بأثقال الغرام فقال انا

فقلت له أتحكم مثل هذا * على أهل الغرام فقال انا

اعلم

(اعلم) ان الاولى فعل أمر من الانين والثانية بمعنى نعم والثالثة مركبة من ان الشرطية واما فعل ماض والرابعة انّ واسمها

(وقال آخر)

جلّ الذى أطلع شمس الضحى * مشرقة فى جنح ليل بهيم
وقــدر الخال على خده * ذلك تقدير العزيز العليم
بدر ظننا وجهه جنــة * فمسنا منه عذاب أليم
ينفر كالريم ألا فانظروا * الى بخيل وهو عندى كريم
لما انحنى حاجبــه وانثنى * يهـز للعشاق قدا قويم
عجبت من فرط دلال وقــد * بدا لى المعوج والمستقيم
داوى حنينى يا طبيب الهوى * وخلنى انى بحالى عليم
لخصره واه وأردافــه * ثقيلة والحظ منه سقيم

(وقال آخر)

صيرنى فى كل واد أهيم * من حظ قلبى منه هاموهيم
فتى بخيل شبه ريم الفلا * يا طول شوقى من بخيل كريم
لم انس من وحشته ليلة * خلتنى أرعى دجاها البهيم
تطرت من حبى بها ناظرة * فقال لى جسمى انى سقيم
شوقا لمن لست على حبه * بصابر لكنّ قلبى كليم
لا أسمع اللوم على حبه * أعوذ بالله السميع العليم
فى شرعه حلّ وحكم الهوى * دمع نزوح وعذاب مقيم
وثابت الود لديه الحشا * يأتى الى الله بقلب سليم
يا روضــة تجنى بالحاظه * فيجتنى حلو الرضاب النعيم
كن كيفما شئت وعن مهجتى * فلا تسل عن حال أهل الجحيم

(والمعنى) انى أكون لى حين غفلة قيدب على هم الخراج وتعبه والحساب فيه فيمنعنى الراحة فى معاشى والسرور فى أوقاتى وهكذا طول زمانى كما يدب الفاسق على الامرد فما يشعر الا وقد علا فوق ظهره ونال مقصوده كما تقدم أو أنه من دبيب سم العقرب بمعنى ان الحساب فى هذا الامر فى الليل والنهار يتولد منه غم يسرى على القلب ويدب فيه دبيب سم العقرب فى سائر الجسد أو أنه مشتق من الدب بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس فى الحيوان أبلد طبعا منه الا أن عنده قوة ادراك عن غيره كما فى المثل (بلادة الدب غلبت فطانة القرد) وعجيب منه انه اذا رأى جماعة يريدون صيده يلصق شعره على صمغ الشجر فيمتزج الصمغ بشعره ثم يتمرغ على الرمل حتى يصير شعره يابسا كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب النشاب ولا غيره و يكون وقاية له فى

التبلد فى الامور ضرب من الراحة واختبار للعقول قال الشاعر

تبالدتن عقل الانام و يظهروا * اليك أمور الست منها بخابر

والمعنى أن كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرتنى فى حالة تشبه بلادة الدب وعدم حركته فى السعى لعدم المكاسب وقلة البركة فى الزرع وشدة الفقر وتواتر الطلب على فى كل ساعة فأنا محروم من لذات الدنيا ولم يفدنى ما أنا فيه شيأ قال بعضهم

أصبحت لا شغل ولا عطلة * مزيدنا من صفقة خاسره وحاصل الامر وغاياته * أنى لا دنيا ولا آخره

فلا أرى فى الزرع بركة فى ابتدائه لقلة التقاوى وضعفى عن اصلاح الارض لان الارض لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوى المتيسر خصوصا لما زاد عليها الآن من المظالم وزيادة الخراج والعوائد المكتتبة على الفلاحين والمغارم فالزرع وان ورد أن فيه تسعة اعشار البركة لا يفى بهذا المقدار من كثرة الظلم وأما فى الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوائد ولا كاف ولا مغارم ولا شئ مما هو موجود الآن بل كان الشخص يزرع الارض وكان خراجها شيأ يسيرا ولا يعرف وجبة ولا غرامة ولا شيأ من ذلك قط وكانت البركة حاصلة بزيادة والارض كلها عامرة بالزرع والناس فى غاية الخير وسعة الرزق والكسب (ومما روى) أنه اعترض رجل المأمون فقال أنا رجل من العرب فقال له ليس بعجيب فقال أريد الحج فقال الطريق أمامك قال ليس لى نفقة قال قد سقط عنك الفرض قال قد جئتك مستجديا لا مستفتيا فضحك وبره بجائزة (ومن النوادر) أن الاصمعى مر بحى من أحياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان فى الصحراء ويتكلم بالفصاحة فقال له الاصمعى أين أبا الفنطر الصبى الصغير ولم يجبه فقال له أين أبك فلم يجبه فقال له أين أبوك فقال له فاء الى الفيفاء اطلب الفيء فاذا فاء الفيء فاء (ولما دخل المأمون مصر) وسار فى قراها كان يبنى له فى كل قرية تكية يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله وكان يقيم فى كل قرية يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طاالنمل فلم يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امرأة عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهى تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وبين يديه التراجمة من كل جنس فذكروا له أن القبطية قالت أمير المؤمنين نزل فى كل ضيعة وترك ضيعتى ولم ينزل بها والقبط تعايرنى بذلك وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يشرفنى بحلوله فى ضيعتى لتكون لى الشرف ولعقبى ولا يشمت الاعداء بى وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفوا كه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة قال كذا وكذا فاحضرت أمه جميع ماذكروزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وولده العباس وأولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن أكثم والقاضى ابن أبى دواد فاحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم أحضرت هى للمأمون من فاخر

الطعام ولذيذه شيأ كثيرا حتى انه تعجب من ذلك فلما أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشرة وصائف مع كل وصيفة طبق مغطى فلما عاين المأمون ذلك ورآها قال قد جاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه وكشفت الاطباق فاذا هي ملآنة كلها ذهبا فاستحسن ذلك وأمرها باعادته الى بيتها فقالت لا والله هذا هدية لك يا أمير المؤمنين فتأمل الذهب فاذا هو ضرب عام واحد كله فقال هذا عجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقر بنا فقال ان في بعض ما صنعتيه لكفاية ولا يجب التثقيل على أحد فردي مالك عليك بارك الله لك فيه فاخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدلك وانصافك يا أمير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فامر به وأخذه منها واعطاها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل ما ئتي فدان بغير خراج وارتحل متعجبا من كبر مروءتها وسعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض في الزمن الماضي تعطي زراعها من الخير والبركة وسعة الرزق وكله من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث (وأول) من أحدث بمصر مالا سوى الخراج أحمد بن المدبر لما ولي خراج مصر فانه كان من دهاة الناس ابتدع بدعا كثيرة منها انه حجر على الاطرون بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على البهائم مالا وسماه المراعي وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصائد فانقسم من حينئذ مال مصر الى نواحي وهلالي وعرف المال الهلالي بالجديد (وقال) سيدي أبو بكر الطرسوسي دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد على السلام نحو ما سلمت ردا جميلا وأكرمني اكراما جزيلا وأمرني بالدخول الى مجلسه والجلوس فيه فجلست طويلا وابتدرت قائلا أيها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك وان الله تعالى قد ألزم الورى طاعتك فلا يكن أحد أطوع لله منك وليس الشكر باللسان انما هو بالفعال والاحسان * واعلم ان هذا الذي أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه النعم فان الله سائلك عن القليل والنقير والقطمير واعلم أيها الملك ان الله تعالى آتى الدنيا بحذافيرها سليمن عليه الصلاة والسلام فسخر له الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والبهائم وسخر الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك غوثا للملهوف وأمانا للخائف (قال رضي

الله عنه) ثم أتمت المجلس بان قلت قد رحت شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لى الاقامة فيها غير هذه المملكة أى مصر ثم أنشد يقول

الناس اكيس من أن يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وقوله (ولالى فى الحصاد سعيف) أى ولا أرى من يسعفنى فى حصاد الزرع عند انتهائه ولا من يعاوننى على تحميله على الجمال ونزوله فى الجرن ودرسه ودراوته وحصاد الزرع هو ضمه بآلة من حديد أو قلعه من أصله اذا بلغ الاستواء ويبس حبه وطاب سنبله ونشف وآل الى السقوط فيحملون عليه بالحصاد وقد شبه الآدمى بالزرع فانه فى ابتدائه يكون خضرا نضرا زاهيا وكذلك الشخص فى حال نشأته وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذه الصفة فاذا طاب وآن أوان حصاده انتهى زمانه وكذلك الآدمى اذا صار كهلا ودهمه الشيب آن أوان انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل اذا دهمه الشيب طاب الزرع أى قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسى والمعنوى فالحسى ما تقدم ذكره والمعنوى مثل فعل الخير مثلا يقال زرع فلان الجميل أى فعله مع غيره قال الشاعر

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه * ما خاب قط جميل أينما زرعا

ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرعا

(ومن الحكم) من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زارع يحصد ما زرعه من خير أو شر قال الشاعر

غدا توفى النفوس ما كسبت * ويحصد الزارعون ما زرعوا

ان أحسنوا أحسنوا لانفسهم * وان أساؤا فبئس ما صنعوا

(قيل) لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها وببركاتها يشكون اليها من ظلمه وجوره قالت يركب متى قالوا فى غد فكتبت له رقعة ووقفت فى طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها فقرأها واذا فيها مكتوب * ملكتم فأسرتم وحكمتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وكبود جوعتموها وأجساد أعريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فعدل لوقته رضى الله تعالى عنه (ثم ان الناظم) نبه على مصيبة أخرى من أنواع الظلم ابتلى بها هو وغيره من اخوانه الفلاحين والبطالين وغيرهم فقال

ص ﴿ويوم تجى العونه على الناس فى البلد تخبينى فى الفرن أم وطيف﴾

ش قوله (ويوم) بالتنوين وعدمه فى هذا البيت (تجى العونه) وهو أوان حفر السواقى ونم الزرع وحفر القنى مما يحتاج اليه فى هذا المعنى والعونة انما تكون فى بلاد الملتزمين التى فيها الاوسية

وهو

وهوان غالب الملتزمين اذا أخذ قرية أو كفرا من كفور الريف يزرع فيها أو فى الكفر جانبا من الارض والبقية يعطيها للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذى يزرعه زرع الاوسية فيرسل ثيرانا وأخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له على ذلك وكيلا ومحلا معدا الاخشابه وبهائمه ويقال لها دار الاوسية ويوكل من يصرف على البهائم ونحوها بحساب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل الطين من الآبار أو لحفر القنى او ضم الزرع أمر المشد بالقرية أو الكفر رجلا يقال له الغفير فينادى العونة يا فلاحين العونة يا بطالين فيخرجون عند صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر او لكل ما يأمرهم به كل يوم من غير أجرة الى أن يفرغ الحفر والضم وكل من تراخى أو تكاسل عن السروح أخذه المشد وعاقبه وغرمه دراهم معلومة وبعض البلاد تكون العونة فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا فلا ينفك من عليه العونة منها وان مات جعلوها على ولده وهكذا فهى داهية كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين ولله الحمد أراح الله قريتنا منها انما هى قراريط معلومة على الفلاحين لا يعرف الملتزم الا خراجها يأخذه فى كل سنة على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوائد ومظالم فليست كبلاد الاوسية لانهم دائما فى تعب وكدر وغرامة وسخر وهم زائد والناظم كان مقيما ببلاد الاوسية فلهذا ذكر انه اذا حضرت العونة (على الناس فى البلد) أى بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها الا كل سكان القرية ولعل الناظم كان ممن يسرح للعونة لقلة زرعه وشدة فقره وانه متى غاب ساعة عن عياله من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا يقدر أن يترك العونة ويذهب لشغل يكتسب منه فلهذا قال (تخبينى) أى تخفينى عن أعين الناس حتى لا يرانى أحد ولا يسمع بى (فى الفرن) أى فى فرنه الكائن فى دارها المعد لخبز العيش ودمس الفطير وطبخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك (أم وطيف) أصله وطيفة وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال السارى مناما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزنى * سحيرا وصحبى بالفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * اذا الدار قفرا والمزار بعيد

*أو من الطوفان، أو من أطواف الجلة التى تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة الشغل فى لزق الجلة وعملها أطوافا ففى هذا كنوها أم وطيف وأما اسمها على ما قيل زوبعة وقيل خطيطة أو معيكة وهى أم الناظم أو زوجته أو أخته وسميت العونة عونة لاشتقاقها من المعاونة لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها بعضا فى شغل الملتزم ونحوه أو أنها اسم للجماعة المعاونين على الشئ ولهذا يقال نا كوا فلانا الليلة عونة أى تعاونوا كلهم على نيكه دفعة واحدة فى الزريبة أو الشونة ويعايرون بهذا الامر دو يقولون له أنت يا خور يا بقره دائما عونتك ميه أى مائة نفس أو أنهم من

الماعون اسم للزلعة الكبيرة ومصدرها عون يعون تعوينا وأعان يعين اعانة قال الشاعر

فعون تعوينا وعان اعانة * وكل له معنى صحيحا وقد ورد

(فان قيل) ان كلام الناظم يشعر أنه اذا اختفى فى الفرن يتركونه ولم يشعر به أحد وهذا بخلاف ما تقدم من أن العونه لابد من السروح اليها وخصوصا اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان أو من زمن أجداده كما تقدم فما الجواب (قلنا) الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقى من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يتشكره أحد دوائر أراد الاختفاء خوفا من أقاربه أن يسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه أو يشوشون عليه وهذا القول يدل على أن العونة لم تكن مقررة عليه لانه كان فى ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفا فيه أو أنه اعتراه الكبر وصار شيخا عاجزا فاذا حضر وقت العونة اختفى فى الفرن تسترا على نفسه حتى لا يراه أحد كما يقال فى المثل (ابعد عن الشر وغنى له * وعين لا تنظر قلب لا يحزن) فاتجه الجواب عن هذا الاشكال ولما فرغ الناظم من شكواه من القل والعترة والقمل والصيبان وعداوة أقاربه وما ناله من هم الوجبة والخراج والعونة ونحو ذلك شرع فى تمنى جملة من المآكل أو رؤيتها لشدة ما هو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لا يعرف هذا الطعام ولا يراه الا عند الناس فتمنى أن الدهر يغلط معه و يرى ذلك أو علكه ولو يسيرا قبل انقضاء عمره وابتدأ بالكشك لانه أكثر مأكول أهل الريف فقال

ص ﴿ولا هدنى من بعد هاده وهاده * سوى الكشك لما يستحق غريف﴾

ش قوله (ولا هدنى) أى هد حيلى وقوتى مأخوذ من هد الحائط وأصله الهدم بزيادة الميم حذفت منه جريا على اللغة الريفية أو أنه من الاكتفاء كقول الشاعر

مليكة الحسن جودى باللقا كرما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك أذا

أفسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

(وقيل) هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما مركبا من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لانه كان رسول الطير وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه (وسئل ابن عباس) رضى الله عنهما ما الحكمة فى أن الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ و يقع فيه فقال رضى الله عنه اذا جاء القضاء عمى البصر أو أنه مشتق من الهدية لمقاربة اللفظ وفى الحديث تهادوا تحابوا ويقال أصل المحبة الهدية وأصل العداوة الشكية وأصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع فى النفس ولو كانت شيأ يسيرا وفى المثل * هدية الاحباب على ورق السداب * وقال بعضهم

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدى اليه جرادا كان فى فيها

وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا ومافيها

(أوانه) من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدره اهذى يهذى هذا أو هدم يهدم هدما على اللغتين من قولهم هدك الله هدا أو هدمك هدما بمعنى انه يضعف قواك ويبطل حركتك كما يبطل نفع الحائط اذا هدم ونحوه وقوله (من بعد هاده وهاده) بالها والالف والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محبوكة الطرفين أولها مثل آخرها اذا وقفت عليها وأصلها هذا اسم اشارة الا ان ألسنة أهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا هدّ حيلي وأضعف قواى من بعد ماتقدم أولا وهو أكل القمل والصيبان والقل والعترة ونحوه والذى أتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم الخراج والوجبة والخوف من نزول الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد فى الغيطان وغير ذلك مما تقدم ذكره على حد قول بعضهم

هم الفلاحه حيرنى * وكل ساعه فى نقصان ما انفك من هم الوجبه * لما يجى مال السلطان

(فالفلاح) اذا كان فقيرا تجده دائما معرضا للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذة المآكل والمشارب ولا راحة له أبدا الا ان غلق مال السلطان وأما اذا بقى عليه شئ يسير فانه دائما فى افتكار آناء الليل وأطراف النهار وطرد وتعب وهم ونصب الا ان أعطاه الله تعالى البركة فى الزرع فانه يأتى من القليل كثير بحسب نيته وقت البذر فى الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره كأكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل فى طلوعه وحفظه من الآفات فان الله يبارك له فيه مع مزيد الثواب (لما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب) رضى الله عنه أنه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسألون الناس وقال من أنتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك انما المتوكل من وضع الحبة بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزراع أقوى توكلا من غيره ان لاحظ ماتقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب فى الارض أن يصلى ركعتين ثم يقول الهى أنا عبد ضعيف اليك سلمت هذا البذر فبارك لى فيه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الامام الزاهد (قال بعضهم) أربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جلس فى بيته ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالسعى (ورجل) أنفق ماله فى معصية الله تعالى أو بناء فافتقر ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالاقتصاد ألم تسمع قولى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (ورجل) دفع ماله لرجل بغير بينة ثم طالبه فانكر يقول يارب خلصنى منه يقول الله له ألم آمرك بالاشهاد عليه (ورجل) له امرأة سيئة الخلق يقول يارب خلصنى منها يقول الله له ألم أجعل أمرها بيدك أما سمعت كلامى الطلاق مرتان انتهى ولكن نحمد الله الذى أراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لنا بها

ولا أجدادنا فقص على حد قول البهلول رحمه الله تعالى

اذا ركب الملوك على الجياد * وقد شدوا البنود على الفصاد
ركبت قصيبتي ولبست مسحي * وسرت كسيرهم في كل وادي
فلا الاجناد تطلبني بمال * ولا الديوان يغلط في عدادي

(فالفلاحة) على كل حال بلية أعاذنا الله والمحبين منها وقوله (سوى الكشك) وهو في أصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للامراض قال الشاعر

الكشك رشح غليظ * محرك للسواكن الاصل درو بر * نعم الجدود ولكن

أي ولكن بئس ما خلفوا فيه اكتفاء * وصفته أن يؤخذ البر وهو القمح ويغسل غسلا جيدا ويغمر بالماء ويوضع على النار ويقاد عليه حتى يلين ويغلظ الحب ويصير مصلوقا ثم يجفف في الشمس ويدش ويوضع في اناء ويصب عليه اللبن والمش الحصير ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع عليه اللبن وهكذا حتى يتخمر ويأخذ قوامه وتفوح له رائحة الحوضة ويصير على غاية من جودة الطعم ثم يزاد من اللبن لاجل خفة حوضته ثم يترس أقراصا صغارا ويوضع في الشمس الى أن يجف فيؤخذ ويخزن لوقت الطبخ وهذه صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن في المأكول * وأما كشك الكفور وبلاد الملق الذي ذكره الناظم فلا أراك الله مكروها فانهم يصنعونه بالمش الحصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحوضة حريف الطعم غليظ الطبع عن غيره محرك للضرورات وهو الذي يضرب لونه الى سمرة وكلما كان أبيض نقيا قليل الحوضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه كشك الكفور في عدم الجودة الا أنهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع جيد لكثرة لبنه وحسن نظافته * وأما كيفية طبخه فعلى أقسام بحسب البلاد التي يعمل فيها فأهل بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة وبالدجاج أو بشيء من أصناف الطيور المأكولة أخرى أو يجعلونه بالارز فقط ويصيرونه ثخينا وأهالي المنزلة ودمياط يطبخونه بالسمك البوري السمين وأكلته بدمياط مرارا وأبناء الترك يجعلونه رقيقا مائعا بقليل من الارز بحيث يشرب بالملعقة ويقلون له بالخضرة والادهان والسمن ويطبخونه باللحم الضأن السمين فيكون له لذة عظيمة المأكل وتعتدل طبيعته خصوصا مع لحوم الضأن والدجاج والارز ونحوه * وأما القسم الردىء المحرك للسواكن المذكور في الشعر المتقدم فهو كشك أهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون عند الطبخ في غسله وتصفيته ويضعونه في برشة أو ودرة أو دست على النار ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويقدون عليه بالنار الى أن يأخذ قوامه ينزلونه ويخرطون له بصلة ويضعون عليه قليلا من الشيرج ويقلون له بذلك ويغرفونه في متارد أو شوالي فخار ويفتون فيه خبز الذرة أو الشعير ويأكل الشخص منهم متردا ومتردين بالمضغ واللهط ويسرح الى الغيط الى وقت المساء فيجد ما بقي منه قد جمد وظهرت فيه

فصوص الفول فيلهط منه الى أن يكتفي وهذا يسمى عندهم هراش العجائز وهو أعزالمأ كول عندهم وغالبهم يصنعونه في أعراسهم كما سبق بيانه في الجزء الاول من هذا الشرح ولا يعرفون طبخ بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا واللحم لا يأكلونه الا من العام الى العام كما سيأتي بيانه ونوع آخر من هذا القسم يطبخونه من غير فول بل مجرد كشك من غير وضع شيء من التقالى عليه يسمى عندهم نيرب وهذا وما قبله يولد الارياح و يحرك السوا كن و يضر بالمعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ الطبع وكذلك القمح لانه حار رطب والمش الحصير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فيتولد الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة وللكشك منافع قبل طبخه منها انه اذا أذيب بالماء وشربه المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا نوعك الجمل من ألم الحر يسقى منه يزول ما به ولهذا يستعمله المسافرون اذا آذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم وينفع من ألم ضرب السياط طلاء وله منافع أخرى مذكورة في كتب الطب وأما أهل الصعيد فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لا غير فهذا لا فائدة فيه وليس له طعم ولا لذة لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب مأكولهم الويكة والملوخية كما شاهدناه في بلادهم (قيل) أتى رجل من أهل الصعيد من نواحي قنا وقوص الى مصر ليشتري له جارية للخدمة فرأى جارية تباع باعلى ثمن لمعرفتها بانواع الطعام فوقف عليها وسألها هل تحسني الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من أي البلاد أنت قال من الصعيد فقالت أنت لا تحتاج الى طعام فاخر فان مأكول أهل الصعيد في كل سنة ستة أشهر ويكة وستة أشهر ملوخية فلا يحتاجون الى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) ما معنى اسم الكشك وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الآخر المسمى بالنيرب وما معنى قول الناظم انه هدحيله عند مشاهدته وقرب غرفه وشم رائحته (الجواب القشروى) ان لفظة كشك هذه من الالفاظ المقلوبة التي تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش وباب ومثلها اسر فلا كبابك الفرس وقلع مركب بكرم علق وحسك تتزوج عجوز تتكسح وقد ورد ذلك في القرآن العظيم في قوله تعالى وربك فكبر كل في فلك وغير القرآن مثل كمالك تحت كلامك وعلق تحت قلع (ومن النظم قول الحريري)

أس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرأ أسا اسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا

(وأيضا) ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره وأول الكشة مثل آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى * أو أنه عند وضعه في الشمس يكش و ينضمر من حرارتها * أو انه من قول بعضهم أكل فلان الكشك عند فلان يعني انه أكل أكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصارت مثل ماجور الكشك أو من قولهم للكلب كشكش اذا أرادوا أن يلقوا له شيأ يأكله ينادوه بهذا اللفظ أو من الكشك بضم الكاف والشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب على الاخشاب

تجعله الاكابر للجلوس أو ان الكشكة لما صارت مدورة كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ وأضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك ومصدره كشك يكشك تكشيكا (وأما تسمية النوع منه بهراش العجائز) فالهراش فى الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب الى العجائز لانهن فى الغالب يطبخنه بشهوة ويتهارشن عنده مهارشة تضيق منها النفوس ويظهر منها الهم والعكوس وناهيك بعجائز أهل هذه البلدة أى مصر فانهن قسم من غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا المأكول سمى بهذا الاسم أو أنه من باب هرش المعدة (وأما تسمية النوع الآخر نيربا) فلعله من النيروب على وزن الديلاب أو انه نسب الى رجل اسمه نيرب على وزن أرنب حيوان يحل أكله فخشوا الالتباس فى اللفظ فقالوا نيرب أو أنه فعل فى زمن النيروز فقالوا أولا نيروز فالتبس الامر فى اسمه واسم الزمن فابدلوا الزاى الذى فى آخره بالباء الموحدة وقالوا نيروب وقول الناظم انه هدّ حيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه له وقلة طبخه عنده وانما كانت رؤيته له عند الجيران فمن هذا اذا رآه قد قرب للاكل تحسر وأسف وخصوصا (اذا استحق عريف) أى لما ينتهى طبخه ويريدون غرفه وتفوح رائحته عند غرفه وأصله لما يستحق الغرف بآلة التعريف لكن حذفها وزاد الياء المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهى نقرة معدة للخراء فيها فعند مشاهدته لهذه الحالة وشم الرائحة ينهد حيله لان همة الشخص طول عمره بطنه وفرجه كما قال ابن عروس فى ديوانه الناس فى الله تاهوا * والاجواد شاعت ثناها ماضرّنى غير بطنى * واللى سد لى حداها

(وقال بعضهم مواليا)

يادنية الشوم طول عمرى وانا أشتد * فى همّ دى البطن اللى ماتريح حدّ
أضال أجى واجى بعد العشا أنهد * أقوم فى الصبح ألقى ما بنيتوا اتهد

(فمن هذا) لم يقنع الناظم لانه لا يقضى مراده ولا هو من قسم النحل يعيش بالشم بل من الآدميين وخصوصا من أهالى كفور الريف يفطر الشخص منهم على مترد أو مترد بن من الكشك أو البيسار أو الفول المدمس كما سيأتى فلا لوم عليه فى هدّ حيله (يحكى) انه ركب المأمون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس نبضى فجس نبضه وقال له ماتشتكى يا عليان فقال له أشتكى استى فقال بختيشوع خذ لك عود أراك ودسه ورالك فهو صالح لذلك فرفع عليان فخذه وضرط ضرطة مزعجة وقال له خذ ذا بذالك ونحن نجرب دوالك فان عافانا الله بذلك حمدناه وزدنا لك فخجل بختيشوع وضحك المأمون حتى استلقى على قربوس سرجه (وبذكر هذا المعنى) تذكرت ما اتفق لبعض الاطباء أنه جلس فى بعض الاسواق ينظر فى أمراض الناس فاتى اليه رجل لطيف الذات من أبناء النعم وذوى الرفاهية وجلس بين يديه ومد يده اليه

وقال

وقال له انظر مابي فجس بطه وقال له ما أكلت اليوم فقال يسيرا من الفول الحار على الفطور فقال له خذ لك يسيرا من الزبيب والسنامكي ويسيرا من السكر واستعمل ذلك فان فيها الشفاء ثم قام من عنده واذا برجل من أهل الريف كأنه في الشكل هبل أو سارية فوق الجبل أقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الديب وقال له انظر مابي من المرض بلطف فأنا أحس في بطني بضعف وقدم له يدا كأنها خشبة وساعدا كأنه حطبة فجس الطبيب يده وقال له ما الذي دهاك وما أكلت اليوم في فطورك وغداك فقال له أنا أحكي لك وحق تربة أبو طبله وتربة معيكه بن أبو جعرام أنا لما فقت من النوم لقيت امرأتي ام معيكه حاطا بوشت بيسار كبيره وكنت أصحب العيش والهطت منها مترد متردين قل ثلاثه فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت لجارتنا ام دعموم لقيت عندها فول مدمس كلت منه مترد متردين قل ثلاثه قال الطبيب نعم وغير ذلك فقال وسرحت الغيط وعند الحاج عنطوز غيط فول كلت شمال شمالين قل ثلاثه ورحت من الغيط عند مشد الكفر فلقيت عنده كشك لهطت منه مترد متردين قل ثلاثه ورأيت عندنا عرس في الحاره وعزموني ودخلت عندهم طبخوا طبيخ كثير كلت من ذلك الطعام مترد متردين قل ثلاثه ورايت عند باخيار أصفر كلت كوم كومين قل ثلاثه وجيتك تنضر حالي فاني باحس في بطني ضعف (فقال له الطبيب) خذ لك من الزبيب قنطار قنطارين قل ثلاثه ومن السنامكي قنطار قنطارين قل ثلاثه ومن السكر قنطار قنطارين قل ثلاثه فقال له أنا سمعتك بتوصف للي جالك قبلي شيء قليل من السنامكي والسكر والزبيب وبتوصف لي قناطير فقال له يا أخس الفلاحين وهل يحلل هذه الاكلات الا هذه القناطير وهذه الشربات ثم أخذ خرجه على كتفه وحلف أنه لا يجلس بقية يومه في السوق من أجل هذا الفلاح فانجلى المقال عن معنى هذه الاحوال وانفصحت العبارات عن هذه الخرافات (ثم ان الناظم) لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى شيء غلظ منه لانه مستعمل عند أهل الريف في غالب مأكولهم فقال

ص ﴿ولا شاقني الا المدمس وريحتو   علا من جتو حفنه بنص رغيف﴾

ش وقوله (ولا شاقني) من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال سيدي عمر بن الفارض *ولولا كم ماشاقني ذكر منزلي* وشاق على وزن قاق وهو صوت الاوز ومصدره شاق يشوق شوقا مثل قاق يقوق قوقا والمعنى أنه يقول ما كثر شوقي وزاد هيامي الى شيء من جميع المأكولات (الا المدمس) مأخوذ من الدمس لكونه يدمس في النار كما سيأتي ومصدره دمس يدمس تدميسا فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفي وحضري وان كان الاصل واحدا وهو الفول لان الشيء يشرف بشرف الاماكن تارة وبالصناعة الجيدة أخرى (فأما الحضري) وهو ما يباع في مصر وغيرها من المدن فانهم يأخذون الفول النقي الابيض ويتركون منه الردىء ويضعونه في قدور كبار واسعة البطون ضيقة الافواه بقدر ما تسع يد الرجل عندما يتناول منها ثم يصبون عليه ما يغمره من الماء الحلو الرائق

ويسدون فم القدر بشئ من الليف النظيف أو اناء طاهر سدا محكما ويدمسونه فى نار قوية خالية عن الادخنة والروائح الكريهة مثل جورة الانران ونحوها ويتعهدونه بالسق كما اشتف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل وتزكو رائحته ويصير فى غاية من حسن الاستواء يشبه فى لونه الذهب وفى استوائه المجودة مثلا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا أرادوا أكله اشترى الشخص ما يكفيه وأضاف اليه السمن البقرى أو الزيت الطيب أو قشطة اللبن وأحضر الخبز الابيض النظيف وربما كان مصحوبا بالكراث الاخضر والليمون أو الخل فمن هذا يصير غذاء جيدا تكتسب منه الاعضاء وتمتلئ به المعدة ويصلحه قليل من الصعتر خصوصا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفى الشخص به عن غيره من الصباح الى المساء (وأما النوع الريفى) وهو مدمس أهل الريف الذى اشتاقه الناظم فلا أراك الله مكروها ان كنت ماذقت الحرافكل منه فانهم يأخذون الفول ان كان جيدا أورديئا على سائر أوصافه وربما أخذته زوجة الفلاح من مدود البقرة أو الثور ونفخت ماعليه من آثار التبن ووضعته فى اناء يقال له البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة من ماء البرك أو من مقاطع السيل التى تبقى ببلادهم وتسد فم البوشة بباس الكتان أو بخرقة فيها النجاسة وتضعها فى محماة الفرن الملآنة من الدس والجلة وربما وضعت ذلك عليها أيضا وتسد عليها باب المحماة المذكورة الى الصباح ثم انها تخرجها وقد امتزج الفول بروائح الزبل والجلة وذلك الماء المتغير واسود وصار مثل زبل الغنم وظهرت له رائحة كريهة ثم تأتى بالمتردو تهز البوشة وتفرغ الفول فيه فيجلس الشخص منهم مثل الكلب الكاسر وتأتيه بخبز الادرة اليابس أو خبز الشعير ويقطع ويبلع حتى تمتلئ بطانه فاذا أكلت منه فكأنك تأكل من زبل الغنم مثلا ومنهم من يأكله بالكراث أو البصل وربما أضافوا عليه شيأ من القمح أو الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار ومنهم من لا يكون عنده خبز فيسف منه عند الصباح من غير صلاة ولا غسل وجه الى أن يكتفى ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوخ ويسحب النبوت ويخرج مثل النعوت فهذا مدمسهم وصفة ما كولهم أراحنا الله من ذلك وقوله (ريحتو) أصله ورائحته حذفت الهمزة للضرورة أو جريا على اللغة الريفية أى شاقنى رائحته الممتزجة بالروائح المتقدمة للذتها عندى اذا اشتهيته افأشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا أجد ذلك لشدة فقرى والريحة مشتقة من الريح أو من الروائح أو من أبو رياح الذى تلعب به الصبيان أو من الراح وهو من أسماء الخمرة قال الشاعر

فالراح كالريح ان مرت على عطر * تذكو وتخبث ان مرت على الجيف

أو من قولهم مواليا

ايش قلت ياصاحبى فى رائحه جيه * من تحت حيطا وهيامية حيه
وقاعده واقفه على الارض مرميه * وجايزه راقده فوق حيط مبنيه

وهي المعدية على حد قول بعضهم

المعديه رايحه جيه * تنسحب بالخيط ياأبوجبـــــه * الأأنازاليت

(ثم ان الناظم) لما ذكر اشتياقه الى المدمس ورائحته وأن من لازم ذلك الاكل منه لان النظر والشم لا يقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (علا) هذا من حروف الجر الأان وقع هنا فعلا والمعنى علا وارتفع قدر (من جتو جفنه) أو علا جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوة بعد الجوع قال الشاعر

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم * بابيض ماضي الشفرتين يمانى

أو يكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال ان من جاءته أى حصلت له جفنة ملآنة من هذا الفول المدمس ولو كانت هدية أو صدقة وحصل له معها (نصف رغيف) حذفت الفاء من نصف جريا على اللغة الريفية كقولهم نص فضه أومن قبيل الاكتفاء أومن جهة الترخيم كقوله

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * فيكون يومه أبرك الايام وأسرها اذا حصل له هذا الامر وطلبه نصف رغيف ولم يطلب رغيفا كاملا فيه اشارة الى ان الفول المدمس حامي الطبيعة فلا يحتاج الى خبز كثير فيكون نصف رغيف كافيا له مع كثرة الاكل من نفس الفول من غير خبز مثلا أومن باب سد الجوعة والجفنة اناء كبير معد لوضع الطعام قال بعضهم يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن

كل جلف بطنه خابيه * واذا صحفت كانت خابيه

وفي نسخة أخرى بالحاء المهملة أى حفنة من الفول المدمس والحفنة ملء كف الانسان مع انضمام الاصابع بعضها البعض لكنها بالجيم المعجمة أولى وبين جفنة وحفنة الجناس المصحف وهي مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام كما أن الجفن حافظ للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيسري في أجفانها وتطبق عليه وتحفظه حتى تؤثر في قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك قال الشاعر

أقول لمقلتيه حين نامت * وكحل العين في الاجفان ساري

تبارك من توفاكم بليـل * ويعـــــلم ماجرحتم بالنهار

ومصدره جفن يجفن جفنة ثم ان الناظم تمنى مأكولا آخر من غالب مأكول قرينه أغلظ طبعا من المدمس فقال

ص ﴿علا من رأى البيسار في الجرن جالو * ويدعس ولو كان بالقلح ضعيف﴾

ش قوله (علا) تقدم معناه في البيت الذي قبله (من راى) رؤية بصرية (البيسار) وهو نوعان ريفي وحضري كما تقدم في غيره (فالريفي) مركب من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لا غير وكيفية طبخه عند أهل الريف انهم يضعوا في البوشة الملوخية الناشفة وشيأ من الفول المدشوش ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة في الفرن الى قرب الاستواء فيخرجونها ويتركونها بالمفراك الى أن يأخذ ما بها قوامه وينهرى الفول وتفوح رائحته فيعيدونها في الفرن يسيرا اذا احتاج الحال الى

ذلك ويزيدونها ماء اذا لزمها حتى يستوى ثم يقلونه بشئ يسير من الشيرج أو الزيت الحار بالبصل ويغرفونه فى شالية أو متردو يفتون فيه الخبز الشعير أو فطير الادرة حتى يصير مثل الكرس ويأكلونه بالبصل الاخضر أو الناشف فيأكل الشخص منهم المترد النفت أو المتردين فى الغداء والمتردين فى العشاء ويصحب نبوته وحدوته خلف قفاه ويسرح بالبهائم أو للضم أو للمعرات وهذا غالب ما كولهم خصوصا فى رمضان وقت الفطور والسحور حتى يصير الشخص منهم كأنه زق منفوخ كما تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل على رجليه هو وزوجته وهما من غير صلاة ولا عبادة فتجرى الروائح فى بطونهما وتخرج من بينهما مثل الزوابع فيكون هذا بخورهما طول ليلتهما فلا يقوم الشخص منهم الا وجبته قد فاحت رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع زوجته تلك الليلة فيكون حظهم ضراط وعياط وفساء وشياط فهذا حالهم فى الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع الفلاح (وأما النوع الحضرى) فما ألذه وأشهاه وما أطيبه وأهناه وهو أن الشخص من أكابر مصر أو غيرها من المدن التى تجلب اليها الملوخية أو تزرع فيها اذا اشتهى فعلها فعلى أصناف منهم من يأخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها أو ربما نشفها فى بيته ويسلمها لمن يتعاطى طبخها من زوجة أو خادم فتضعها فى دست نحاس مبيض أو طنجرة رومية عليها غطاء محكم وتضع عليها الماء العذب الزلال الرائق ويقاد عليها بالحطب الرومى حتى تأخذ قوامها فى الاستواء ثم تفركها فركا طيبا ثم تقلى لها بالثوم الشامى أو البلدى ممزوجا بالسمن البقرى وتضيف اليه دهن الية وتلقى عليها شيأ من البهارات كالفلفل وما أشبهه وشيأ من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف اليها شيأ يسيرا من الفول المدشوش ولكن يزيد فى الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول ويغلب طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان الفول صغار الكباب من لحم الضان ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب (ونوع آخر) وهو أنهم يأتون الملوخية تؤخذ وهى خضراء نضرة بنت يومها وتخرط خرطا جيدا وبعض أبناء الترك يفعلها من غير خرط فيصير لها لذة عظيمة وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع ملين الطبائع لما فيه من البرودة ولطافة المأكل وسرعة الانهضام وحصول الخفة فى الجسد (ونوع آخر) وهو ألذ وأشهى مما تقدم وأقوى نفعا وأعظم مأكولا وهو أخذ الملوخية وهى صغيرة فى ابتداء طلوعها وخرطها جيدا وطبخها بالفراريج والارز مع كثرة الادهان أو باللحم الضأن وأهل مصر يرغبون فى هذا النوع ويفعلونه كثيرا حتى ان الشخص منهم ينفق على طعام الملوخية فى ابتداء أمرها جملة من الدراهم ويدعو أعز أصحابه يأكل منها وتكون عندهم ألذ من طعام الاعياد ويتحدثون بهذه النعمة ويقولون عزمنى فلان وأطعمنى الليلة الملوخية الجديدة بركة السنة وربما أكلوها بالخبز النظيف المقطف المقمر المخبوز بالحبة السوداء أو الشمر فيفتون فيها حتى تتشرب بتلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم السمينة وهذا من

جودة رأيهم وذكاء عقولهم وحبهم في الشيء عند ابتداء طلوعه كما يقال كل جديد له لذة وكل قديم له هجران (ويقرب من هذا المعنى) قول ابن عروس في ديوانه

أول زمانك يعزولك * غالي وقع في يد غالي وان ديت ياشاش يرمولك * واللي جرى لك جرى لي

فان الشيء في ابتداء طلوعه له لذة عظيمة وفرحة عند العيال (ونوع آخر) يسمى بوراني وهو أن تقطف أوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم يفعلون بها كما مر ولهذا ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به انه يستحب الاكل من الشيء عند ابتدائه أي ابتداء طلوعه مثل الخضراوات وغيرها من الفواكه فان نفعه في ابتدائه أكثر من نفعه في انتهائه وأهل مصر على هذا القدم يسعون في أخذ الشيء في ابتدائه ولا يكترثون به في انتهائه جزاهم الله خيرا عن مروءتهم وأدام سرورهم بنسائهم وطيب معاشرتهم وأعاذنا الله من الريف وجهله وغلظ مأكوله وطباع أهله (سؤال) ما الحكمة في تسمية الملوخية بالفول بيسارا وما الحكمة في تسميتها ملوخية وما اشتقاقها وما معنى ذلك (الجواب القشروى) على وجهين (الاول) ان الذي اخترع البيسار في الاصل كان ابوه فلاحا يزرع الملوخيا وكان بينه وبين ولده مشاحنة فذهب ذلك الرجل الى غيط أبيه المذكور وسرق شيا من تلك الملوخيه وأتى به الى زوجته فقالت له ما تريد بهذا فقال لها قصدي أصنعه طعاما ثم أخذ ورقها ووضعه في بوشة وجعلها على النار فجاء ولدها الصغير وألقى في البوشة شيأ من الفول المدشوش أخذه من مدود الحمارة فامتزجت الملوخية بالفول ثم أخذ البوشة بعد استواء ماديها اوغرفه في مترد وجلس يأكل منها فدخل أبوه وقال له ما هذا الشيء الاخضر فدلس عليه القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية من غيط أبيه فتضارب هو واياه وحلف أبوه انه لا يمكث في البلد وركب حماره وسار الى بلد أخرى فصار ابنه ينادي أبي سار أبي سار فحذفوا الالف من أبي وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علما على هذا الطعام وقالوا بيسار (وأفادني) بعض اخواننا رحمه الله تعالى وجها آخر وهو انه لما وضع فيها الفول نادى بلسان حاله بيسارا أي سار طعمي بهذا الفول طيبا والوجه الثالث انه مركب من البسر أو من البيسارة من قولهم في معنى ذلك

سعيده كانت مزاره * واتحب طبيخ البيساره

(وأما الملوخيه) فقد عرفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها في ديوانه بقوله في هذا المعنى أبو قردان زرع فدان ملوخيا وبادنجان ان هذا الاسم نبات أخضر أنضر وأصله يا ملوخ فأخر واحرف النداء وأبو قردان أول من سماها بذلك على ما قيل وسبب ذلك انه لما زرعه في فدانه وصلح للطبيخ ملخ منه شيأ وتركه في مكانه وذهب لبعض شانه فجاء بعض أولاده وأخذه فلما رجع لم يجده فنادا بحذف حرف النداء لظن قربه منه وقال ملوخي فلم يجبه بشيء فاتى بحرف النداء وقبل أن يقول ملوخي أتاه ولده وأعلمه باخذه فادخل على قوله ملوخي ياء وادغمت الياء في الياء

فصارت ملوخيا انتهى وتلقب بالخضيرة وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس فى الاطعمة ألطف منها ولا أكثر نفعا وقد صنف بعض العلماء فى منافعها كتابا جليلا وأما نهى الحاكم بامر الله عنها فلميل سيدنا معاوية رضى الله تعالى عنه اليها لانها كانت أحب الاطعمة اليه خصوصا عند ابتداء طلوعها وقوله (فى الجرن) وهو محل درس الفول والقمح ويطلق على الحجر المقور الذى يدق فيه بن القهوة يقال جرن اليوم فلان زرعه بمعنى انه نقله من الغيط ووضعه فى هذا المحل على بعضه كالكوم وصار يأخذ من حواليه شيأ بعد شئ ويدرسه بالنورج وهذا المأخوذ يقال له عند الفلاح رمية وقيل أصل الجرن الجرم بالميم بدل النون مأخوذ من جرم اللحم وهو أخذه بالسكين من على العظم أبدلت الميم نونا لقربها فى المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرم القمح أو الفول أو ما ألقى اليه من الحبوب ويخلصه مثل ما تخلص السكين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ على الجرم الذى يعمل من الخوص وقوله (جالو) بالتخفيف أى جاء اليه والضمير راجع للبيسار أى على من رأى البيسار جاء اليه وهو فى الجرن يدرس القمح وهو راكب النورج أو وهو يحرث مثلا لانه يكون فى هذه الحالة فى غاية التعب والجوع ولهذا قال (ويدعس) أى يأكل بحرقة وعجلة من غير تأن فى المضغ والبلع والدعس لفظة ريفية استعملت بهذا المعنى ومصدرها دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل المضغة وفى المثل صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك فى أكلتك (مسألة هبالية) وهى أن الناظم نسب المجىء للبيسار وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتى ذلك فما الحكم (الجواب القشروى) ان هذا على تقدير حذف مضاف أى جاء به رجل حامله حتى أوصله كما يقال جاءت السفينة مثلا أى جاء بها الملاح وكما تقول جاءنى ترد ابن وطاجن مش أو صحن عدس أو كشك مثلا فعلى هذا الاشكال فى كلام الناظم وقوله (ولو كان) أى هذا المتمنى لهذا الطعام الذى هو الناظم عرض (القلنج ضعيف) وأصله قولنج بضم القاف وجزم الواو اى سقيم والقلنج ريح يابسة تمنع البخارات تجرى فى الاعضاء فتكب الانسان عند هيجانها وتمنعه الشم حتى تكاد تخرج روحه فنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة عند ملاقاة الحرارة الشديدة والانتباه من النوم وعلاجه أكل الصبر الاخضر على الريق دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان العلة عند ملاقاة البرد الشديد والغيم والامطار والارياح الباردة ونحو ذلك وعلاجه أن يأخذ صبر سقطرى وحب الرشاد وفلفل وزنجبيل يابس أجزاء متساوية وقدر الجميع سكرا أبيض ويدقه دقا جيدا حتى يصير ناعما ويعمله سفوفا ينطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع ويجتنب صاحب هذه العلة الحارة أكل الاشياء الحارة وصاحب العلة الباردة أكل الاشياء الباردة وخصوصا عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره وجوعه وعدم شئ يصنع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه ويشبع منه ولو كان مبتلى بعرض

القولنج

القولنج ولو كان فى أكله زيادة ضرر عليه انه من الاطعمة الرديئة الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه أذية بالغة (فان قيل) لاى شئ ذكر الناظم هذا المرض دون غيره وما سبب معرفته له مع انه من أهل الريف وما اشتقاق اسمه (الجواب الفشروى) انه انما ذكر هذا المرض لكونه رياحا منعقدة فيكون من باب المبالغة فى الشئ والبيد ار يضر صاحب الارياح ضررا بالغا خصوصا اذا اكل بالبصل الاخضر أو الناشف فتمتلئ البطن ارياحا يكثر فيها النساء والضراط فيكون مرضا على مرض فتمنى ذلك لشدة جوعه ولو كان يحصل له هذا الامر أو يموت فى الحال وأما سبب معرفته له فلعله سمعه من بعض الاطباء وهو يصفه أو سمعه من غيرهم وأما اشتقاق اسمه فلعله من القوق أو القو بقة وهى طائر قدر الحمامة كبير الرأس ويقال لها البومة تأوى المكان الخرب وفى المثل (اتبع البوم يؤديك الخراب) وقد يشبه الشيب ببياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

أيا بومة قد عششت فوق هامتى * على الرأس منى حين طار غرابها
رأيت ذهاب العمر منى فزرتنى * ومأواك من كل الديار خرابها

(وبذكر البومة) التى تأوى الخراب تذكرت ما اتفق لبعض الملوك أنه ظلم رعيته ظلما فاحشا وكان له وزير فشكا الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد أن يحتال عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما بريد التنزه خارج المدينة الى أن مرا على أماكن خربة فسمع الملك ذكر بوم يصيح على بومة فقال للوزير ما أحسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك أتدرى ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها فقال يا ملك هذا عاشق لها ومشغوف بحبها ويقول لها يا سيدة الطيور وبهجة الاحباب مرادى وصالك والتقرب اليك فى الحلال فقالت له لا تقدر على صداقى ولو شغفك حبى واشتياقى فقال لها وما صداقك فقالت عشر مدائن خراب فقال لها أبشرى فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعية الى آخر العام خذى لك مائة مدينة خراب ففطن الملك لكلام الوزير وعلم أنه فى غفلة عن الرعية وأنهم فى ظلم وبلاء وانه نصحه وأرشده للعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيرا ثم انه أظهر العدل فى الرعية وأزال عنهم ماهم فيه من المظالم وعدل من وقته وساعته وارتاح الناس من تغيير حالته (ثم ان الناظم) اشتاق الى مأكول آخر يصنع فى الريف وغيره فقال

ص ﴿على من قشع جفنة بليله ملانه * ولو كانت بلا قلقاس يادنديف﴾

ش قوله (على من قشع) أى نظر بلغة الريافة يقال قشعتك أى رأيتك وقشعت المحل الفلانى أى رأيته ويطلق على ميل الشئ يقال قشع السحاب أى مال وانكشف الى محل آخر (ومن العجائب) أن شخصا سمع هذه اللفظة من طائر فى بعض البساتين نواحى الشام وذلك انه دخل يوما يتفرج فى

بستان ويأكل مما أسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول شفتك قشعتك روح نفرج هاربا وظن أن صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما أعجلك فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهى ولا تختش من أحد هذا طائر وليس بانسان وهذه لغته يخوّف بها من يدخل البستان فتعجب الرجل ودخل وأكل حتى اكتفى ومضى الى حال سبيله (وقد سمعت) وأنا متوجه الى الحج فى البحر من الصعيد على بندر القصير سنة خمس وسبعين وألف طائرا فى غمط قمح يقول طاب دقيق البر سبحان القديم الازلى وسمعه كل من فى السفينة (وذكر الحلبى) فى السيرة النبوية أن غرابا كان يحفظ سورة السجدة فاذا سجد قال سجد لك سوادى وآمن بك فؤادى (ومن العجائب) انه أهدى لبعض الملوك طائر له أربعة أجنحة على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله تعالى بلسان فصيح ثم يقف على رأس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويسكت ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله (جفنة) تقدم معناها (بلبله) اسم للقمح المسلوق المضاف اليه بعض الحمص وهذا يباع أيضا ببلاد المدن وله لذة ولذته من اضافة الملح والحمص عليه فانه يعدل طبعه والحمص أزكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين فى تفسير سورة الكهف وأما البليلة المذكورة فى النظم فان أهل الريف يصنعونها طعاما وهو أنهم يضعوا القمح فى البوشة لتختمر وربما أضافوا عليه ما تيسر من الحمص ويغمرونه بالماء ويجعلونه فى النار الى أن يستوى فيأخذونه ويأكلونه بخبز الذرة والشعير ويأكلونه من غير خبز لانهم يجعلونه يابسا يقطع منه الشخص بالكف ويبلع ويقلون له بالبصل وشئ من الشيرج والاكابر منهم يجعلون فيه بعض ملقاس وتسمى بلبلة لبلها بالماء فى حال صلقها أو لرخاوتها وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهايف المرخى الا كام البارد القلب بلبلة لعدم اكتسابه وقلة بركته وبليلة على وزن هبيلة أو عويلة ومصدرها بل يبل بليلا وقوله (ملانه) راجع للجفنة (ولو كانت) البليلة التى هى الجفنة (بلا قلقاس) أى فلا حاجة له بدا عامراده شئ يسد الجوعة يقال له طعام والقلقاس من مأكولات فصل الشتاء وهو ألذما يؤكل فى هذا الفصل لانه حار يابس مناسب لبرودة الزمن خصوصا فى ابتداء ظهوره اذا أكل باللحم الضأن وأضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة عظيمة فى المأكل وتذهب حرارته ويعتدل طبعه وأجوده الرؤس الاتانى وكذلك الصوابع وهى الرفيعة التى تشبه أصابع الآدمى لان ذلك كله سريع الاستواء وأرداه الاحمر لكونه بطئ الهضم بطئ الاستواء واذا أكل القلقاس مشويا منع ألم الكبد وسكن ضربان البواسير وأكله نيئا ليس فيه فائدة ولا منفعة *(فائدة)* أربع قافات تستعمل فى فصل الشتاء وهى القلقاس والقشطة والقصب والقسطل وسمى قلقاسا الاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين والمقلقس أى اليابس لانه

اذا قلع من أرضه يكون مثل قطع الطين المقاقسة وهو مركب من فعلين ماض وأمر قال بعضهم

فان سألوك عن قلبي وما قاسا * فقل قاسا وقل قاسا وقل قاسا

* (فائدة أخرى) * قيل لما ادعى فرعون الالوهية لامره وقالوا الله الاله لا يبول ولا يتغوط فاصطنع الموز وصار يا كله فصار لا يتغوط الا نادرا وماذاك الا أنه أخذ القلقاس وهو صغير من أرضه فصار يفلق القلقاسة ويملؤها سكرا ويعيدها في الطين بحكمة دبرها فامتزجت الحلاوة بالقلقاس فنشأ منه الموز وصار على هذا الشكل ولهذا ترى أوراقه قريبة الشبه من ورق القلقاس في العرض الا أنه طويل الشكل عنه هكذا في بعض كتب الحكمة وقوله (يادنديف) أصله يادندوف على وزن يابعبوص قلبت الواو ياء لضرورة النظم والدندوف هو الذي يدندف من غير فائدة يقال فلان يدندف أي فلا فائدة في ذهابه وايابه ولا بركة في سعيه وكسبه أو أنه علم على شخص من أهل قرية الناظم كما هو معدود من أسمائهم وهو مشتق من الدندفة أو من أحمد الدنف أو من ندف القطن * ثم ان الناظم تشوق الى قصعة ملآنة من أي طعام كان فقال

ص ﴿على من جتو قصعه وهو بحرت * ويقعد يجرّف للحنك تجريف﴾

ش قوله (على من جتو) أصله جاءته (قصعه) أي جاءبها واحد من الناس لا هي بنفسها كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعة اناء من الخشب مدور معد للطعام وغيره وأما الذي على شكل الحوض فيقال له منسف وسميت قصعة لان الشخص اذا جلس يأكل منها يقصع ظهره أي ينحني ويأكل فيكون من باب تسمية الشئ باسم صفة الآكل منه أو من قصع القمل والبراغيث وقوله (وهوّ) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم أو جريا على لغة الريف وقوله (بحرت) على وزن يضرط فيها يقين أي في وقت الحرث من أي طعام كان من عدس أو بيسار أو غير ذلك (ويقعد) قعدة جيعان تعبان مما قاسى من مشقة الحرث وغيره و(يجرّف) على وزن يخرف أو يغرف أي يكون كفه حكم المجرفة التي تجرف الشئ (للحنك) من التحنيك على وزن التصكيك أو التدكيك ويطلق على الفك الاعلى والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفاه أيضا يقال فتح فمه أو فتح فاه قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى

فمي يحدث عن سري فما ظهرت * سرائر القلب الا من حديث فمي

وقوله (تجريف) أصله بالالف لانه مصدر وسكن لاجل الروي أي يجرف للحنك الذي هو فمه تجريفا زائدا متتابعا بسرعة وعجلة حتى يكتفي ويشبع الشبع المفرط لما ناله من ألم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقة فيقضي مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره ثم ان الناظم اشتهى مأكولا آخر خارجا عن الطعام المطبوخ من مأكول أهل الريف فقال

ص ﴿على من دعس بالعزم في المش بالبصل * ولو كان بالكرات كان ضريف﴾

ش قوله (على من دعس) تقدم معناه (بالعزم) أى بالقوة والشدة لان العزم على الشئ هو الاقدام عليه بجراءة وشدة يقال فلان صاحب عزم شديد أى قوة زائدة (فى المش) أى مش الجبن القريش الازرق الذى مضى عليه زمان مستطيل حتى صار يقطع ذنب الفار من شدة حرارته وقوة ملوحته لان هذا غالب ما كول أهل الريف فى الغداء وربما أكلوه فى العشاء أيضا فيأتى الشخص منهم بالمتردّ المش والخبز الشعير اليابس والبصل الأخضر أو الناشف ويأكل حتى تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء ويسرح الغيط أو يحرث أو يدرس والاكابر منهم تضع عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار وتعصر عليه الليمون خصوصا (بالبصل) المخروط فانه ألذ من اكله بغيره وبعضهم يأكله بالكرات ابوشو يشه فيكون أقوى فى جمع الارياح خصوصا اذا كان فى دويرة ضيقة فان الفساء يتراكم فيها حتى يملأها من أولها الى آخرها والمش على أقسام مش حصير وتقدم معناه ومش بخيره وهو المستعمل فى بلاد المدن وله فكاهة ولذة ويقال له مش جبن حصير ومش جبن قريش وهو مش الريافة المتقدم ذكره ويقال مش جبن النور والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص اذا شتم آخر يقول له (دم اهدم وشك) مثلا وهو مشتق من المشش وهو داء يعترى الخيل والحمير يقال (جاك المشش) أى أبلاك الله به والاول الذى هو المش الحصير ينفع من الجرب شربا والثانى ينفع السدد ويقوى المعدة والثالث ليس به نفع بل هو محض ضرر لاغير أو أنه مشتق من المشى لانه اذا صب على الارض صار يمشى عليها أى يسيح فيها (والبصل) حار يابس وقيل رطب يقطع البلغم الا أنه يضر الشقيقة وصداع الرأس ويولد أرياحا ويظلم البصر وكثرة اكله تورث النسيان ويفسد العقل (وأما منافعه) فانه يطرد الوباء وينفع من تغير المياه ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون واذا سحق وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابى والبهق الاسود نفع من ذلك واذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو معط شعر الرأس والاكتحال بمائه يذهب الغشاوة ويصلحه الخل واللبن اذا أكل به (ولو كان بالكرات كان شريف) أى لانه حار لين يهيج المعدة والدم الا أنه مثل البصل فى ظلمة البصر ويولد الارياح كما تقدم لكنه يشد العصب وينفع البواسير ويصلحه الاكل بالشيرج وأكل البصل والثوم والكرات نيئا مكروه لداخل المسجد ان لم تزل رائحته *(فائدة)* رأيت فى بعض الكتب أن جميع البقول نزلت فى مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الا الكرات (وأما بصل العنصل) فله خواص جيدة مذكورة فى الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئه مات لوقته ولهذا ان الثعلب اذا خاف على نفسه من الذئب يأتى بالبصلة منه ويضعها على باب جحره فاذا رآها الذئب أو شمها هرب ولم يأت اليه فتكون وقاية له فسبحان من ألهمه هذه الحكمة وقوله (شريف) أصله ظريف بالظاء المشالة لا بالضاد المعجمة أتى بهذا اللفظ جريا على اللغة الريفية أى كان فيه الظرافة بمعنى أنه يكون أخف ضررا من

البصل وان كان أقوى أرياحا فانه أعظم شهوة وألذ أكلا فلا بأس به اذا حضر فيكون هو المراد ثم ان الناظم اشتهى شيأ من الالبان يشربه فقال

ص ﴿على من شرب مترد ملآن مطنبر * من اللبن الحامض يرف رفيف﴾

ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم الى داخل الجوف فهو كالاكل قال الله تعالى كلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا لا ما وضعه الانسان فى فمه وأخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة بل من باب المجاز وقوله (مترد) وهو اناء من فخار أحمر أصغر من الشالية وهو غالب أوانى الريافة خصوصا فى أعراسهم وأصله مركب من فعلين مات ورد لانه لما عمل فى ابتدائه وكسر عملوا بدله فقالوا رد بعد ما مات ثم حذفوا الالف وجعلوها عاملا وقالوا مترد وهو على وزن مفعل لامسند فتمنى اللبن الذى داخله لا نفس المترد لانه ظرف لما حواه فلا يتصور شرب المترد بعينه وقيل سمى بهذا الاسم لتردد الخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف أو انه عمل بمدينة تسمى ماتريد التى ينسب اليها الشيخ الماتريدى نفعنا الله به وقوله (ملآن) أى غير ناقص حتى يكون فيه القناعة من جهة الشبع والرؤية لان الناقص ربما استقله الانسان ولم يقنع برؤيته فتمنى أن يكون ملآنا وقوله (مطنبر) على وزن مزنبر أو مطرطر يقال كس مزنبر وزب مطرطر أى عالى عن حوافيه لشدة حوضته ويبسه يقال فلان بطنه مطنبر أى منفوخ ومات واطنبر أى انتفخ كما يقال دم يطنبر بطنك مثلا أى تموت وتنتفخ ويقال للشد الحجازى المعمول بالحرير الاصفر والابيض شد مطنبر وعلى قياسه الشد البلدى ولعله وصف بهذا اللفظ لكونه اذا لفه الانسان على رأسه صار كبيرا عاليا مطنبرا كما يعلو اللبن الحامض عن حوافى المترد وهو مشتق من الطنبرة وهى التحكك للاولاد الصغار قال الشاعر

اذا كنت آلاتى وطبعك رقى * طنبر برقه واعتبر بالمشنوق

وأصل هذا الكلام ان شخصا من النساق أخذ ولدا وأراد أن يحك له فزلق العيار فدكه فمات الولد وشنق الرجل فقيل له كلام كثير لم يحضرنى منه غير هذا المطلع أو أنه من الطنبورة على وزن العصفورة قال الشاعر

أيا عصفورة البستان كم ذا تنبشى * بايدك ورجلك ما فى الارض شى

وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحوضة لعدم وصوله الى اللبن الحليب فلأجل هذا قال أشتهيه ولو كان حامضا لان غيره بعيد على وخصوصا اذا كان فى شدة الحر فان شربه يسكن عطشه ويروى فؤاده اذا كانت حوضته معتدلة فانه بارد رطب وأما اذا خرج عن الحد فى الحوضة فيضر وكلام الناظم يدل على أنه انما اشتهى ما خرج عن حد الحوضة بدليل قوله الآتى يرف رفيف وأجود الالبان ابن البقر لانه موافق لسائر الطبائع والادواء وقوله (يرف رفيف) أى صار من الحوضة الشديدة

يرف كما يرف جناح الطائر يعني أنه يسمع له غليان وبقبقة تحاكي رف الجناح ويرف على وزن يسف أو يلف ورفيف مصدر حذفت منه الالف كما سبق في نظائره وهو مشتق من رف الخشب الذي يعمل في البيوت أو من الرفرافة التي يعملونها قبل رمضان أواخر شعبان من الدجاج أو من الاوز وغير ذلك ثم ان الناظم تمنى شيأ آخر تستعمله أهل القرى القريبة من البحر الملح أو من البحائر المالحة ونحوها فقال

ص ﴿على من جتو أم الخلول لدارو * ويعزم على أهل البلد ويضيف﴾

ش قوله (على من جتو) أي جاءته بواسطة وحضرت اليه (أم الخلول) وهي حيوان يتكون من داخل المحار الصغير الذي يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح أو جوانب البحائر المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونه أبيض مخين يشبه لون المني أو المخاط فيأخذونه وينزعونه من هذه المحائر أو القوقع ويضعون عليه الملح والخل أو الليمون ويأكلونه وربما أخرجوه وهو طري ولوثوه بالملح وأكلوه وهذا أقبح أنواع أكله وأردأها وأخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها والطبائع السليمة تمجه وتأباه وتعافه الانفس وأما طبائع أهل الريف فلا تطالبنا بها فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع في نفوسهم الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن أن يأكل منه ولا يراه لان رؤيته تورث القرف فضلا عن أكله وكنيته بام الخلول لتواتر المي والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله (لدارو) أي دار الناظم يعني أنه لا يتعب في مجيئها بصيد ولا شراء بل يصبح يراها في داره أتى بها على سبيل الهدية أو الصدقة وقوله (ويعزم على أهل البلد) أي يجمعهم لهذا المأكول النفيس الذي يشبه عفش الكلاب ويضيفهم في داره أي يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان أي عزم في نيته وجزم في يقينه أنه يأخذه ويكرمه أو عزمه بمعنى أذن له أن يأتي الى داره ويكرمه بطعام أو غيره (ويضيف) معطوف على يعزم وهل هو مغاير له لان العزم خلاف الضيافة فيكون قد عزم بالنية أولا على أن هذا الشخص لا بد من حضوره وأنه ينضاف اليه أي يتبعه الى المحل الذي يريد اكرامه فيه أو المعنى واحد فيكون من اضافة الشيء الى مرادفه ومصدره ضاف يضيف ضيافة أو ضيوفا وسمي الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى أنه يكون هو واياه حكم الكلام المضاف لا ينفك عنه حتى يدخل عليه التنوين فيفصله عن الاضافة قال الشاعر

كأني تنوين وأنت اضافة * فحين تراني لا تحل مكانيا

فاتجه المعنى النشروي على البحث الهبالي ثم ان الناظم انتقل من تمنيه الى شيء آخر يقرب في الخباثة من أم الخلول فقال

ص ﴿أنا ان شفت عندي يوم طاجن مشكشك * فهذا اليوم البسط والتقصيف﴾

ش قوله (أنا) يعني أبو شادوف لا غيري (ان شفت) الشوف ضد العمى أو من الشيافة بمعنى رأيت

(عندى يوم) فى المنزل أو فى المحل الذى أنا فيه أو الغيط أو الجرن مثلا (طاجن) اسم لاناء فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير وغير ذلك ويستعمل فى سائر البلاد لكن لا يكون استواء الطعام فيه الا فى الفرن وهو مشتق من التطجين أو من الطجانة أو من وطء الجن لان لفظ طاجن من الالفاظ المعميات بمعنى أن انسانا وطئ جنا أى داس جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل ومفعول والفاعل محذوف تقديره أنت أى طأ أنت جنا ومثله طافية أى طأ فئة من الناس وقسم آخر من المعميات غير ما تقدم كقول بعضهم فى اسم جماد خذ فارغ وامـلاه ماء ومن النظم قولى فى اسم شحاته

سلب الناس دلالا * وأنف من بعد شح قلت بدرى ته كمالا * تم معناك بشرح

ولم أر فى المعميات أرق من قول بعضهم فى اسم أحمد

وراكعة فى ظل بان تعلقت * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وقوله (مشكشك) على وزن مخكمك اسم للطعام الذى تبنى رؤيته والاكل منه وهو جلود الفسيخ يأكلون لحمه ويأخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها فى طاجن ويخرطون عليها بصلا ويضيفون عليها شيأ يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوى ويأكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيأ من الكسب المذاب بالماء يجعلونه بدل الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعندنا أنهم يأنه خاروف شوى ولهذا قال (فهدالك) بالدال المعجمة جريا على اللغة الريفية كقول بعضهم فى هذا المعنى مواليا

لك وردتين على الخدين ياعادالك * واللى بلانى بعشقك آه لو أبلالك
وحق من سمكت لو فى السما الاملالك * لومات لى كل يوم أخين ما أسلالك

وقوله (يوم) أى فهذا اليوم الذى يأتينى فيه هذا الطاجن المشكشك هو يوم (البسط) ضد القبض أى بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنى وتيسير المطلوب وحضور المرغوب فيه وسد الجوعة وسرور أهل المنزل أو الجماعة الحاضرين معى وقت مجيئه الى قال الشاعر

ان من أطيب أوقاتى * حين أكون مبسوطا بذاتى

والتقصيف عطف على البسط مشتق من القصافة يقال فلان اليوم قصف بتشديد الصاد المهملة أى مسرور فرح ماش مشية الخيلاء متحزم بسير وسكين راخى أطراف البردة تجر على الارض أو أنه لبس اليوم قميصا جديدا وأرخى فوقه البردة وهو اليوم قصيف الكتف بمعنى أن ما هناك أحد فى الكفر أشلب منه ولا أعيف أو أنه مشتق من قصف العود وهو كسره أو من قولهم (قصفة تجيلك) أو فلان جتو قصفه مثلا (مسئلة هبالية) لاى شئ سمى هذا الطعام مشكشكا وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ وما مناسبته لجلود الفسيخ (الجواب القشرى) أن يقال ان هذا الطعام لما كان يشبه فى طعمه المش والكشك اذا خلطا معا ركبوا اسمه من مجموع الاسمين مع تغيير الحركات وقالوا مشكشك

أو أنه مأخوذ من شكشكة المرأة له بعود أو بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله أو من قولهم شكشكه بالابرة أو أنه من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذي اصطنعه أولا لما طبخه شمه فقيل ماشم هذا فقال بعضهم شم كشكا أي شم طعاما رائحته في الحوضة كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوه علما وقالوا مشكشك بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وجزم الكافين فاتجه المقال عن هذا الهبال (ثم ان الناظم) اشتهى شيأ آخر من الخضراوات يطبخ ويؤكل عنده أوانه وهو أطيب مأكول أهل الريف (فقال)

ص ﴿متى أنضر الخبز في الدار عندنا * وأندف منها بالعويش نديف﴾

ش قوله (متى) أي أجزم وأنوي الى متى (أنضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وبالظاء المشالة على اللغة الفصحى أي أنظر بعيني لا باذني ولا بفمي لان النظر خاص بالعين قال الشاعر

عيني نظرت وآفتي من عيني * ما يقتلني الا سواد العين

(الخبز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحدة وتجمع الخبيز على خبوز وخبابز وخبازين وخبازات وهكذا من هذا الجوع الفشروية وتأنيثه خبيزة وهي المرادة بقول الناظم لرجوع الضمير اليها كما سيأتي في قوله وأندف منها وهي مشتقة من الخبزلان ورقها في التدوير يشبه أقراص الخبز وهي تنبت في أطراف الزرع من كثرة الامطار وفي الاراضي المنخفضة وغيرها وأجودها ما كان ساقه طويلا وورقه عريضا شديد الخضرة وهو النابت في جوانب الزرع أو النابت بالبرز وأردأها القصيرة الساق المائل ورقها الى الزرقة وهي البعيدة عن الزرع والماء وهي التي تطلع وتنبت في المقابر وفي منخفض الارض المسبخة وهي باردة رطبة تلين الطبيعة وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهي قريبة في اللطف من طعام الملوخية اذا عملت بالشروط الآتية ثم ان أهل الريف يأخذون ورقها ويخرطونه مثل الملوخية ويضعون عليه الكزبرة الخضراء ويقلون لها بالبصل والشيرج ويفتون فيها الخبز الشعير ويأكلونها وهي غالب طعامهم مدة اقامتها عندهم ولا يكلفونها شيأ ماعدا البصل والشيرج وشيأ يسيرا من الكزبرة كما تقدم فهي غالب مأكولهم في زمن الشتاء كما تقدم وأهل بلاد البحر يطبخونها بالارز والدجاج وغيره وأهل المدن يطبخونها باللحم الضأن والدجاج ويضيفون عليها الادهان والسمن البقري والحرارات ونحو ذلك فلا تؤكل الا بهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة لذيذة الطعم وأما فعل أهل الريف فيها كما تقدم فوجوده كالعدم وكذلك أهل بلاد البحر فانهم ولو عملوها بالدجاج لا يضيفون لها سمنا ولا دسما الا الارز والشيرج لا غيره وعلى كل حال فهي أرق من طعام الريافة المتقدم ذكره وألذ مأكولها في بلاد المدن لانهم يكلفونها فيصير لها في المأكل لذة ولها خفة في الهضم ومنفعة عظيمة وقالوا في الطعام كله (كاف تجد) (قيل) لما نزل السلطان قايتباي بدمياط واجتمع بالعيني الذي بنى العينية وهي مسجد على سمت مساجد الملوك فعمل للسلطان ضيافة عظيمة وخصه

بصحن من الذهب فيه دجاجتان ووضعهما بين يديه فأكل السلطان منهما فلم يرطول عمره ألذ طعاما منهما فقال له من صنع لك هاتين الدجاجتين فقال له جارية عندي فقال له هل من سلو عنها فقال هي ومولاها في خدمة الملك فأهداها له فلما أتى بها الى مصر أمرها أن تصنع له دجاجتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد لهما اللذة مثل اللتين أكلهما في دمياط فعاتبها الملك فقالت له ياسيدي الذي صنع لك الدجاجتين طبخهما في اناء من ذهب وكان ماؤهما ماء الورد والخلاف والحطب من العود القماري وحشاهما بحرارات كثيرة مع المسك والعنبر الخام وغرفهما في صحن من الذهب فمن هذا حصل هذا فتعجب الملك رحمه الله تعالى وقوله (في الدار عندنا) أي في دار الناظم لاغيره لانه هو الذي تمناه ولهذا قال عندنا أي في محلنا لا محل غيرنا لاجل أن تأكل منه العيال ونسر بوجوده وسميت الدار دارا لتدوير ها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره وهذه صفة دور المدن وأما دور بلاد الارياف فانها تبنى بالكرس وربما يكون فيها الوحل والجلة أيضا ولان الشخص يدور ويرجع اليها أو أنها مشتقة من لعب الدارة التي يلعبها أولاد الريافة بعد الغروب يقعد ولد منهم على قرافيصه ويقعد ولد آخر يجعل ظهره في ظهره وتدور الاولاد حولهما يضربونهما فاذا امسك واحد منهما ولدا أجلسه مكانه فيتعلمون من ذلك خفة الايدي وسرعة الضرب والمشي ونحوه وقوله (وأندف منها) أي من الخبز ومعناه يأخذ منها بسرعة ويحشي في بطه فصار يشبه نداف القطن اذا أخذه بالقوس وحشاه في الطراحة ومن هذا يقال فلان الليلة ندف متردين من العدس أو من البيسار أي أكلهما بسرعة أو انه مشتق من أحمد الدنف من شطار مصر الذين تقدموا وسيرته مشهورة عند المخرفين وقوله (بالعويش) تصغير عيش سمي بذلك لان به قيام المعيشة لما قال الشاعر

لا تركنن الى الثياب الفاخره * واذكر عظامك حين تمسي ناخره

واذا رأيت زخارف الدنيا فقل * لا هم ان العيش عيش الآخره

ولذلك قال الامام الشافعي رضي الله عنه فيما حكاه الذهبي في ميزانه والدميري في حياة حيوانه

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة * وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا

ان الكلاب لتهدا في مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم أبدا

فانج بنفسك واستأنس بوحدتها * تبق سعيدا اذا ما عشت منفردا

وقال آخر

يكفي الذين تقدموا شرفا على * من بعدهم يمشي على الغبراء

اني لأحيا اذ أمر بذكرهم * وأموت من نظري الى الاحياء

أو أنه مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العش وأما تسميته خبزا فهو من الخبيز وهو التنضيج بالنار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبز أضلاعه أي صار الضرب وقعهما مثل نضج الخبز أو كسرها كما أن الخبز آيل للتكسير مثلا أو يكون خبز أضلاعه بمعنى فكها من بعضها البعض وقوله

(نديف) على وزن نتيف وهو الذى ينتف ذقنه لاجل الخنات أو كان به مرض الابنة أعاذنا الله منها فانها داء يغلى فى الدبر بحرقة كغلى الدود فى العفن (قال الشاعر)

فانه مرض كالنار مشعلة * يغلى كغلى الدود فى العفن

وأكبر دوائها ماذكره الشعرانى نفعنا الله به أن يحتقن بماء الفسيخ السائل منه مرارا فانه يبرأ باذن الله تعالى وأصله ندفا فصغر لاجل الروى أى أندف من الخبيز ندفا كثيرا حتى أشبع شبعا مفرطا ليس بعده جوع بقية اليوم أو بقية الليلة ثم انتقل من الخبيزة الى الباقلا الخضراء فقال

ص ﴿متى أنضر الفول المشيوى بفرننا * ولفو بقشرو والعروق لفيف﴾

ش (قوله متى أنضر) يعنى كما تقدم فى البيت الذى قبله (الفول) الاخضر اذا أتى به من الغيط ووضع فى الفرن وصار مشويا والمطلوب أن يكون هذا الفول (المشيوى) تصغير مشوى على وزن عطيوى أو خريوى وخريوى فبها يستقيم التصغير والوزن (بفرننا) لا بفرن غيرنا (ولفو) أصله وألفه بالهمز تركه لضرورة النظم من اللف وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تأمل ولا تفتيش فى المأكول ولهذا قال (بقشرو) أى آكله من غير نزع قشره من فرحتى به ومن شدة الجوع (والعروق) معطوف على القشر أى وألف عروقه أيضا (لفيف) أى لفا زائدا بحرقة قوية وشهوة بهيمية حتى أكتفى منه ولا أنظر الى خشونة بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا أفعل كما يفعله غيرى من انه يخرجه من الفرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشر منه ويأكل فأنا لشدة اشتياقى اليه وكثرة الجوع والقل والعترة ألفه بجميع ما عليه (فائدة) الفول الاخضر قبل شيه بارد رطب وقيل بارد يابس ويعدله الاكل بالملح والصعتر ونفع أكله حارا ومشويا نزعه من قشوره جميعها وأكله بالسكر وفى بعض كتب الطب من أكل الباقلاء أربعين يوما وأصابه مرض الجذام فلا يلومن الا نفسه ومتى أكلت المرأة الباقلا أربعين يوما لم تحبل أبدا وقد عدوه من موانع الحمل ثم انه اشتهى شيأ مما يخبز وتمنى حصوله فقال

ص ﴿متى أنضر ان طحن الطحين وجبتو * وبطط لى منو فطير رهيف﴾

ش قوله (متى أنضر) تقدم معناه (ان طحن) احد الطحانين (الطحين) الذى وضعته فى الطاحون ورحت اليه ورأيته (وجبتو) أى جبته بعد أن أعطيت الطحان أجرته الى منزلى (وبطط) على وزن ضرط وبربط فيها يستقيم المناسبة وهو مشتق من البط وهو طير يربى فى الدور يشبه الاوز الا انه صغير عنه وارجله قصيرة جدا أو من البطبطة أو من البطة التى يوضع فيها السمن وغيره او هو من الهلفطة لا كلام (مسئلة هبالية) لأى شىء سمى مجموع القمح طحينا وهل هذا اللفظ صفة او علم عليه (قلنا الجواب القشرى) انه كان أولا قمحا لا كلام ثم طرأ عليه الطحن فنقله من حالة الى حالة أخرى فيكون من تسمية الشئ بما طرأ عليه من الوصف الذى قام به ونقله من حال الى حال فكان أولا معروفا

بالقمح

بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه الاول وصار طحينا فكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفي اسمه وصار ميتا او طحنته الارض ومضى أمره الى أن يبعث فاتجه ابواب عن هذه الابحاث الشعروية وفي بعض نسخ المتن ان طحنت الطحين باثبات التاء المثناة من فوق فيكون هو الذي طحنه بنفسه وهذا هو الاولى لان أهل الريف يجعلون في الدار أو الكفر طاحونة مشتركة بينهم وان كان عند الرجل منهم طحين يأخذ ثوره ويعلقه ويطحن عليه وأما بلاد البحر فانهم يطحنون بالاجرة وطواحينهم كلها بالخيل حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا بلاد الكفور والقرى الصغيرة ولاشك أن الناظم منهم كما تقدم في ذكر قريته فلهذا قال ان طحنت الطحين وجبتو وبططأي عجن بالماء أوشيء من اللبن وآخذ القطعة العجين وأضعها على خرقة أو ردة النخال أو قرص جله مثلا وأخبطها بالكف حتى ترق وآخذ غيرها فيحصل لي (منو) أي من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور لكونهم يفطرون به أو من الفطرة أو من عيد الفطر (رهيف) صفة للفطير أي طري رقيق وفي كلامه اكتفاء فان ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكر أكله فيفهم من الكلام انه لما طلط الفطير خبز في الفرن أو في الجورة التي يصنعونها في الزريبة ويحطون عليها الزبل وفي بعض الاحيان الجلة أيضا ونأكل منه حتى أكتفي ثم ان الناظم اشتهى مأكولا آخر فقال

ص ﴿أيا ما طيب الجلبان والعدس اذا استوى * وشرش بصل حلو وميت رغيف﴾

ش قوله (أيا ما أطيب) في الطعم واللذة (الجلبان) على وزن الجديان أو الخرفان مشتق من جلبة النبوت أو أن الذي زرعه سقاه في الاصل على ثور جلاب أو من جلبة العبيد والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون الملوخية مشتبك في بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه أهل الريف ويأكلونه مثل الفول الاخضر وربما طبخوه بالعدس وأكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا وتأكل منه البهائم أيضا وقوله (والعدس) معطوف عليه أي وما أطيب العدس معه والعدس معروف لا يحتاج الى بيان (اذا استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف الجلبان بل يؤكل مطبوخا وهو بارد يابس ثقيل يشبه الدخن في فعله ويمسك اطلاق البطن ومرقه أنفع من حبه وأكله يرق القلب (وفي زهر الكمام) ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله تعالى قسوة قلوب قومه فأوحى الله اليه أن مرهم يأكلوا العدس فانه يرقق قلوبهم (وفي الحديث) عليكم بالعدس فانه يرقق القلب ويكثر الدمعة وقد بارك فيه سبعون نبيا والاكثار من أكله يخاف منه الضرر وفي القاموس الاكثار منه يورث الجذام ويضر بالعصب ويولد الاخلاط السوداوية (وقال) بعض الاطباء يعدله السلق الاخضر وطعامه على نوعين مدشوش وهو أخف من غيره وغير مدشوش ويسمى عدسا بجبته وأهل الريف يضعونه في البوشة الفخار ويحطونه في محماة الفرن أو في التنور ويغمرونه بالماء حتى يستوي ويتركونه بالمفراك ويقلون له بما تيسر من الشيرج أو الزيت الحار

والبصل مثل البيسار (وأما أهل المدن) فانهم يطبخونه طبخا جيدا ويضعون عليه دهن الالية والسمن الخالص والحرارات خصوصا أبناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه باللحم الضان ولهذا يأتون به فى رأس السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما عملوه بالقاقاس اذا كان مدشوشا وهو ألذ وأطيب وبلاد البحر يطبخونه بالارز ثخينا يدشونه ويضيفون عليه الارز ويسمونه بغلية بفتح الموحدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة فى آخره وهذا النوع ثقيل جدا يشبه البسلة فى ثقلها وربما أكلوه بالعسل من غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها أيضا بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر بالمعدة خصوصا البسلة فانها أشد فى الضرر وبعضهم استطرد حرف الباء فى اسمها وفى وصفين منها فقال بسلة باردة يابسة ثم استطرد حرف التاء فى مضرتها فقال تعشى تقوى تنسى فيكون لف ونشر مرتب ومعناه بسلة تعشى باردة تقوى يابسة تنسى ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه التى تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل و يطلق على أول خروج الفساء أيضا فهو لفظ مشترك بين الفساء وشرش البصل ولهذا يقال فى (حيتك شرش) مثلا وهو من الالفاظ التى تقرأ طردا وعكسا أولها مثل آخرها وقوله (حوله) أى حول العدس بعد وضعه مغروفا فى المترد أو الشالية ويكون البصل موضوعا حوله كما جرت به العادة فى بلاد الارياف وغيرها انهم يضعون البصل حول العدس والبيسار والمش وغير ذلك ويأخذ الرجل منهم بصلة يقطم منها مثل الخيارة وأما أهل المدن فيقشرونه ويفلقون البصلة أربع فلقات ويضعونها حول السفرة ولكل شئ مناسبة واذا عصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل فى الاكل وقوله (وميت رغيف) أصله مائة سهله لضرورة النظم أى من خبز الشعير وذكر هذا العدد لاجل ما يشفى غليله من الاكل أو ربما يعزم على أحد بالاكل مثلا أو يأتيه أحد ضيف على غفلة فتكون المائة رغيف فيها المحتمل للاكل منها كما تقدم والتفرقة وكذلك الشرش البصل وهى الحزمة التى تملأ الكف تكون الاخرى تكفيه للاكل منها والتفرقة ان شاركه أحد ثم ان الناظم استطرد شيأ آخر واشتهى حصوله فقال

ص ﴿يا محسن الخبز المقمر على الندى * وفوقو من السرسوب حلب نضيف﴾

ش قوله (يا) ناس ما أ (حسن) أى ما أظرف وألطف وألذ ما كول (الخبز) النظيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على الندى) أى على النطور عند نزول الندا وهو الماء اللطيف الذى ينزل وقت الصبح الى نزول الشمس سمى بذلك لانه يندى الارض أى يبلها بللا خفيفا وفيه منافع كثيرة للزرع وغيره وفيه بركة عميمة ويشبه به السخاء والكرم يقال فلان كفه ندى ويقال فلان ما عنده ندا مثلا والندى قرين الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيدو الى مكة المشرفة رحمه الله تعالى

سألت الندى والجود من عهد آدم * لقد عشتما دهرا وقدمتما أحيانا

فقالا نعم متنا زمانا وعندما * أتى زيدوا الى كعبة الله أحيانا

(قال بعضهم) واختلفوا فى الماء النازل وقت السحر على الزرع فقال قوم لا تجوز الطهارة منه لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس دابة فى البحر تتنفس وقت السحر فهو ملحق بالعرق حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية ويشهد لهذا القول أن الجز بين ذكروا أن هذا الماء اذا اجتمع فى وقت السحر وملئت منه بيضة وقد فرغ ما فيها وسدت بشمعة أو غيرها ووضعت فى الحمام متى أحست بالحرارة صعدت الى السماء وهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه واغا طبعها الانخفاض فى الارض ويشهد لهذا أيضا أن الندى ليس بماء ثلج ولا برد ولا مطر والله تعالى أعلم (قال صاحب كتاب الملتقطات ومنهم من جوز الطهارة به لانه ماء وانه لم يتحقق مجيئه من نفس تلك الدابة انتهى (وكان من جملة محاظى الرشيد) جارية فصيحة تقرأ القرآن وكان له خادم اسمه طل وكانت تألفه فامتحنها الرشيد بأن قال لها والله لا تذكرى هذا الخادم قط فكانت اذا قرأت الآية الشريفة لم تذكر الطل امتثالا للامر فلما تحقق منها ذلك فسح لها فى مخاطبته والآية الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل انتهى فالفطور فى هذا الوقت على الخبز المقمر فيه منفعة عظيمة وفى كلام الحكماء الكسرة اليابسة مرهم البدن ورأيت فى بعض كتب الطب أن المعدة بها لوها شىء يشبه الشعر فاذا أفطر الانسان على الكسرة اليابسة نزلت على هذا الشعر حكم الموسى فتحلقه فعلى كل حال الفطور على الخبز اليابس المقمر أنفع من غيره (و) خصوصا اذا كان (فوقو) أى فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه فى الاناء (من السرسوب) على وزن العجعوب وهو اللبن يوضع فيه شىء يسير من اللبن الذى ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمونه مسمارا يأخذونه ويضعونه فى طاجن فخار أحمر ويضعون عليه شيأ من الملح لاصلاحه ومكثه لحاجتهم فاذا أرادوا السرسوب يضعون اللبن فى الدست ويصبون عليه من هذا اللبن الذى يسمونه المسمار ويفورونه على النار فيقال له المنور ويقال له سرسوب ويفتون فيه الخبز المقمر مع العجوة ويأكلونه وله لذة عظيمة ويجعلونه أيضا فى طاجن ويضعونه فى الفرن بعد وضع المسمار فيجمد ويسمونه لبة بخفض اللام والباء الموحدة ويأكلونه وله لذة عظيمة (وأفضل) الالبان لبن النعاج وأجودها لبن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالبان البقر فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء) (وأجودها) ما شرب من تحت الضرع كما حلب واذا خلط بالسكر خصب البدن وصفى اللون ولين الطبيعة وزاد قوة فى الباه وسمى اللبن لبنا لانه مشتق من اللب أو من اللبوة أو من قولهم لبيك واحد بفرقلة مثلا أو من لبا الجدى الصغير أمه اذا أراد شربها قال الشاعر

فانت كالجندى لما أن يلب وكالا * نحر المطوق اسراعا الى اللبن

قوله (حلب) أى قد حلب وهو اسم لما يملأ المحلاب أو المحلبة أو انه مشتق من حلب الرجل يده فيكون اسما لما حلب من البهيمة والمعنى ان يكون فوق هذا الخبز مايعمه من لبن السرسوب المحلوب

حلبا (نضيف) أصله نظيفا ذكره بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وسكنه لضرورة النظم أى ليس فيه شئ يدنسه من أثر جله أو غبار يلحقه ونحو ذلك كما أنهم اذا تعاطوا الحلب لا يتحاشون عن مسك جله وغيرها من أنواع النجاسات بل ربما الطخوا ضرة البقرة أو الجاموسة بجله فتحلب اللبن سريعا فطلب الناظم أن يكون هذا السرسوب طيبا نظيفا خاليا عن هذه الامور وان كان معفوا عنها ثم بين كيفية الاكل منه فقال

﴿وأقعد على ركبه ونص وشمر * عن الكف بايدى ما أخاف مخيف﴾

قوله (واقعد) متأهبا للاكل من هذا الخبز بالسرسوب تأهب الجيعان الشديد الشهوة لهذا المأكول (على ركبه ونص) وهى قعدة القوى الشديد الذى يريد دائما الاكل الكثير أو الذى عنده شره فى الطعام مثلا وأما جلسة الادب فانها بخلاف ذلك بان يجلس الانسان على الركبتين ولا يلتفت يمينا ولا يسارا ويأكل مما يليه ولا يمد يده الى طعام بعيد عنه مدا عنيفا (كما اتفق) أن شخصا قال لآخر وهما فى وليمة يأكلان يا فلان أقدم لك هذا الصحن فقال أنا ايدى تجيب من مكة ومد يده بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ البياض فى مكة كام الكورجة فخجل وقام من غير أكل وللاكل آداب مذكورة فى بعض الكتب وقوله (وشمر) من التشمير وهو رفع كمه (عن الكف) أى كفه يقال شمر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمر عن ذكره أى أراد عطفة يبول فيها او التشمير المعنوى هو الكف عن الذنوب قال الشاعر   شمر فانك ماضى العزم شمير * ولا يهولك أحوال وتكدير

لكن مراد الناظم التشمير الحسى وهو رفع الاكمام ووضع الشمار الذى تصنعه أولاد الارياف من الصوف ويضعونه فى أكتافهم يرفعون به أكمامهم وله هداب مائل على كفل الولد الامرد وفيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم أمر عظيم حتى ان بعض الاولاد يعمله ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاحمر والاخضر والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالب أولاد الطبالة يجعلونه حكم أعقصة النساء ويجعلون له عقداء غارا فى رؤس الهداديب ويزينونه بها وقوله (بايدى) أصلها بيدى لا بيد غيرى فلا أحتاج الى أحد غيرى يشمر لى بل أنا أتعاطى تشميره بنفسى لاجل خلو يدى عن شئ يمنعها من تناول الطعام وهذا يدل على أن كمه كان طويلا حتى احتاج لتشميره أو أن مراده بالتشمير رفع يده وخفضها فى حالة الاكل بسرعة وقوة من غير التفات لاحد ولهذا قال (ما أخاف) أى وآكل من هذا السرسوب ما أخاف من أحد يأتينى أو يمنعنى عنه (مخيف) أصله مخيفا أى مخوفا يمنعنى عن شهوتى بل لا أبالى اذا حصل لى وظفرت به من أحد أبدا ولا يعتريني خوف ولا فزع حتى أكتفى وأشبع منه الشبع المفرط ولا أخشى من تخمة ولا غيرها ثم انه اشتاق مأكولا آخر من ألذ مأكول أهل الريف فقال

ص ﴿على من قشع روحو حدا الرز باللبن * ويقطع ويبلع من تقيل وخفيف﴾

ش قوله (على من قشع روحو) أى على من نظر روحه أى ذاته لا ذات غيره (حدا الرز باللبن) أى

حذاءه بالذال المعجمة أي محاذيه بمعنى انه جالس بجانبه والارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب مأكول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة الارز أيضا وهو حار رطب ينفع من احتراق المعدة وما ألذه وأطيبه اذا وضع عليه السمن البقري في وقت نزوله من على النار ويؤكل بالعجوة الا أنه بالسمن أطيب وأشهى للأكل وكلما كان لبنه كثيرا كان جيدا وكلما قل أرزه كان أجود وأردأه الكثير من خلط الماء والارز كما تفعله أهل الارياف فانهم يجعلونه ثخينا جدا يقطعون منه اللقمة مثل ما يقطع الشخص من الطين اليابس وأما أبناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص من غير ماء ويجعلون فيه شيأ يسيرا من الارز حكم الشرب ولهذا يشربونه بالملاعق فيصير حلوا لذيذا وهذا النوع أجود طعامه وأطيبه وطبيخ اللبن على كل حال أطيب من العدس والبيسار وما شابههما (قال الشاعر)

طبيخ اللبن أحسن من اللي بكزبره * والعدس والبيسار يجيبوا الحوادر

(وأما النوع الذي تمناه الناظم) فهو الذي تقدم ذكره وهو الثخين الذي يشبه الطين في يبسه لانه المشهور عنده وفي بلاده وأما بلاد البحر فيفعلونه حالة وسطى لا ثخين ولا مائع الا أنهم في الغالب يضعون عليه شيأ من الماء وأما الناظم فلا يعرف الا الذي في بلده ولهذا قال (ويقطع) والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس أي يقطع بكفه وقوله (ويبلع) من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى أنه دخل جوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاعة لانها تبلع الماء في جوفها والقطع هو فصل الشيء من الشيء وبعده عنه يقال فلان قطع فلانا مدة بمعنى أنه هجره أو بعد عنه وقوله (من تقيل) أي من قطع وافية عن اللقمة المعتادة بحيث تكون اللقمة ملء الكف وتدمع العين من كبرها كما ذكرت ذلك في خطبة كنت أنشأتها بقافي المأكولات وهي هذه الحمد لله مستحق الحمد على التحقيق الذي وفق بين الفرج والضيق وأمر بالحج الى بيته العتيق وجعل السمن البقري للعسل النحل رفيق أحمده حمد من عنده من الجوع دسيسه وأغاثه الله بقصعة من البسيسه بالفطير الرقيق فلأ منها بطنه وأحسن بالله ظنه ونام على راحة من الله وتوفيق وأشكره شكر عبد تقلع عن الحوامض والمش العتيق وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة تنجي قائلها من الضيق وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الكشف والتحقيق وسلم تسليما كثيرا (أيها الناس) مالي أراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون وعن الارز المفلفل باللحم الضاني تاركون وعن البقلاوة في الصواني معرضون وعن الاوز السمين والدجاج المحمر لاهون فما هذا يا اخواني الاحال المفلسون وأفعال الفقراء المقلون فجدوا رحمكم الله في تحصيل الدراهم لتغتنموا المأكل النفيسه والمطاعم اللذيذه وقد قيل لذة الدنيا ثلاث أكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم في اللحم فمن انعم الله

عليه فليشكر ومن أحرمه فليصبر وعليكم بالارز باللبن فانه طعام جيد حسن وصباحه أبرك الصباح خصوصا عند الفلاح اذا جاء وحلب بقرته وأتت زوجته بالدست وعلقته وصبت فيه اللبن وقادت عليه وحركته بالارز الابيض وطبخته وفى الصحون غرفته فجاء الشيخ الكبير وقعد وثنى ركبته فعند ذلك يا اخوانى صفت الاوانى ولاذ كل انسان بانسان فلا ترى الأيادى تقطع وأحنكة تبلع وزراديم تفرقع وحلوق تتلقع والعين من كبر اللقمة تدمع والبطن لا تشبع بل تزيد افتعالا وهى تقول جل ربنا وتعالى فاذا سبقك أخوك بلقمة فبادر الى جدع رقبته بلكمه واغتنموا رحمكم الله تعالى هذه الموعظه ودعوا أكل المغلظه كالعدس والبيسار والمدمس والفول الحار والبسلة والكشك بالفول وجبن النور المعمول فانها ترث الارياح وليس فى أكلها اصلاح وعليكم بالاطعمة الفاخره كاللحم الضانى فانه سيد طعام الدنيا والآخره وعليكم بالشراب البارد ففيه حديث وارد واحمدوا الله أيها الاغنياء المتنعمون واصبروا أيها الفقراء المقلون نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بالاطعمة الفاخره ويرزقنا واياكم الراحة فى الدنيا والآخره وأن يجعلنا واياكم من الآكلين المتنعمين ويحمينا واياكم من موارد الجيعانين المقلين وأن يغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين آمين فاستغفروه يغفر لكم يا فوز المستغفرين (روى) عن سهلب بن مهلب عن زنطاح بن النطاح بن قليل الافراح أنه قال كان رجل من العرب قام من منامه ولذيذ أحلامه وأكل فى فطوره فصيلا ابن عامين وصبر الى ضحوة النهار فأكل أربعين دجاجة محشية باللحم الضانى محمرة بالسمن البقرى وشرب زقين من خمر ونام فى الشمس فمات ولقى الله شبعان سكران ريان (الحمد لله) مزيل الحزن ومزين الارز باللبن وأشهد أن اللحم الضانى سيد الاطعمة ومصلح للبدن واعلموا أن القشطة لا تترك وأن المهلبية أحسن وأبرك فتهيؤا لاكلكم وشربكم واعلموا أنكم غدا بين يدى الله موقوفون وباعمالكم محاسبون وعلى رب العزة تعرضون وسيعلم الذين جاعوا أى منقلب ينقلبون اللهم وارض عن الاربعة الاعيان الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن التين والزيتون والخوخ والرمان وارض اللهم عن الستة الباقين من العشره الاطعمة المفتخره الماوردية والمهلبيه والشعرية بالزغاليل المربيه والارز المفلفل باللحم الضانى المحشى المحمر والكنافة المتبلة بالسمن والعسل النحل واللوز والسكر والقطايف الغارقة بالسمن والعسل والقرع المحشى باللحم والبصل والبقلاوة الموصوفة وخرفان القممة المعلوفة واليخنى السمين والقرمزية متعنا الله واياكم بهم أجمعين اللهم وأدم النصر والتأييد والثبات واجمع الشمل بعد الشتات ببقاء السلطان السكر النبات ابن القنانى من أصله من القصب الملوانى اللهم وأيده بارماح القصب وبسبائط الرطب وبعناقيد العنب واجمعنا عليه من أول النهار وفى وسطه وآخره وانصره وانصر عساكره فى الدنيا ننتفع به يارب العالمين اللهم وأهلك الثلاثة الفجار العدس والبسلة والبيسار عباد الله من أراد

خلع القبول أن تفاض عليه فليأكل الموز بالسكر بين والديه وتفكهوا وأقبل الطعام واقتدوا بسنة خير الانام ولا تتضاربوا ولا تتخابطوا وكونوا عباد الله اخوانا ان الله يأمركم بأكل الحلال مما تشتهي العقول وينهاكم عن أكل الحرام ولو من أطيب المأكول والبغلة ترفصكم لعلكم تنقلبون أو تتدقلبون وقوله (وخفيف) أي ويأكل اللقمة أو اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التعادل ولا يغتر بقول من قال كلوا أكلة من عاش عاش بخيره * ومن مات يلقى الله وهو بطين (فينبغي للانسان) أن يجعل البطن ثلاثة أثلاث ثلث للاكل وثلث للشرب وثلث للنفس فلا يفرط في الاكل ولا يفرط في الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

وما أحسن ما جمعه بعضهم في قوله

أرطاب توت لقد طابت رطوبتها * كبرق ثغر حبيب وهو مخمور
في بابة أقبل الرمان منعقدا * مثل اليواقيت منظوم ومنثور
مزبعة لك تلق الموز في خجل * مصفر الوجه لما جاء هاتور
سل من كيهك عن الاسماك هل صلحت * تسيك عن حوتها بالشحم مبرور
سل ماء طوبة لم أروت لواقحه * مثل الزلال ولا تحتاج تأخير
كل اللحوم اذا طابت رعيتها * وهل يطيب سوى في الرعي امشير
في برمهات ترى الالبان نافعة * من الكساد في ذا الشهر مشهور
برمودة الزهر قد جاءت مبشرة * سلطانه الورد كل منه مأمور
بشنس تشهد أن النحل جانية * والشهد يقضي وما في أمره زور
مشمش بؤنة لم يلق الهوى أبدا * مسكين ذا المقليل الجهد معذور
وأصبح التين فوق الغصن ناعبه * كأنه في أبيب جاء مشهور
عنقود مسرى نعم فاغنم فكاهته * فعن قليل تراه وهو معصور
هذي مطايب ما فيها مراتبة * والكل في هذه الابيات مذكور

ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادم قد تمناه فقال

ص ﴿على من ملا تخفو جبينه طريه * وراح وراالجاموس يرعى النيف﴾

ش قوله (على من ملا تخفو) القحف شيء طويل يعمل من الصوف أو الشعر يلبس على الرأس وليس له زي ولا هيدام تستعمله الفقراء وغالب الفلاحين ويلبسون شيأ يقال له الطرطور ويلقون عليه القحف لكونه واسعا من جهة الرأس وضيقا من أعلاه قصير عن الطرطور وكان استعمال ذلك في سابق الزمان كثيرا واستعمال اللبد على أصناف شيء يشبه القحف وشيء يشبه البرانيط والذين

يلبسونه يقال لهـم صلحاء متصوفون ثم ظهرت القواويق القطيفة وصار لها بهجة ورونق وأنس وظرف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها الا بعض الفقراء المتصوفين المتقشفين ولهذا يقال اخفنا يافلان خفوقا للبد ومن هذا قيل فى تركها كلام كثير مثل قولهم (يالبده مالك فى السوق يالبده قلة خازوق) وسمى خفا لقحافته ويبسه ولهذا يشبه به الرجل السيء الخلق فيقال هـذا قحف أى سيء الطبائع قال الشاعر فى هذا المعنى

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه فهل رأيتم فى الورى * قحفا رقيق الحاشيه

وهو مشتق من قحف الحوت أو أن الرجل الذى صنعه أولا كان من قحافة قرية معروفة موقوفة على سيدى أحمد البدوى نفعنا الله به دنيا وآخرى وقوله (جبينه) تصغير جبنه على وزن أبنه وهى واحدة الجبن (طريه) أى عملت فى وقتها أى وقت نزولها من على الحصير التى يعملون فيها الجبن فاشتهى أن الله تعالى يمن عليه بملء قحفه جبنا طريا ولو كان هدية أو صدقة تصدق به عليه أحد أو سرقة فان الرزق ما ينتفع به ولو حراما قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى الرزق ما ينفع لو محرما الخ (وقال) أبو نواس رحمه الله تعالى يقول لى العذول وليس يدرى * دع المال الحرام وكن قنوعا

اذا أنا لم أجـد مالا حلالا * ولم آكل حراما مت جوعا

(فان قيل) لاى شيء تمنى الناظم ملء قحفه من الجبن مع أن القحف لا يعد لشيل الجبن فيه خصوصا وقد قال جبينه طريه فاذا وضعه فى قحفه يحصل له ضرر من وجهين الاول أن يصير لقعنه التقذير من جهة الجبن والثانى ماء الجبن يبل قحفه ويشوش عليه (قلنا) الجواب القشروى من وجوه اما انه تمنى شيأ من الجبن بحيث لو وضع فى قحفه لملأه لكون قحفه طويلا كبيرا حتى يكفيه للأدم بقية الجمعة أو الشهر لكونه مفتقرا الذلك ومحتاجا اليه بخلاف ما اذا أتاه شيء يسير لا يكفيه ولا يقوم بأولاده أو أن الكلام على حقيقته لأن أهل الريف اذا أعطاهم أحد شيأ من مأكول أو غيره يأخذونه فى أطراف بردهم وأرديتهم وفى أكمامهم وعلى شدودهم التى على رؤسهم وكانوا فى الزمن السابق يضعون الشيء فى قحوفهم فانهم فى الغالب كانوا يضعونها على رؤسهم من غير شيء يلفونه حولها فكان الشخص منهم اذا أخذ شيأ من السوق ولم يكن معه مقطف أو صحن مثلا يضعه فى قحفه وأما تلويث القحف وتقذيره فالناظم لا يبالى بهذا الامر فان قحفه كان يساوى نصفا أو نصفين ومن كثرة استعماله وتداول الايام عليه وطرو العرق والحال الذى هو فيه يبس وصار مثل الخشب فصار لا تؤثر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها فينزل الكلام على حقيقته فاتضح الاشكال عن هذا الهبال وقوله (وراح) أى وسار وهو مشتق من الروحاء مكان بارض الحجاز أو من الراحة أو من الريح أو من أبى رياح الذى يصنع على غابة طويلة وهو أربع ورقات ملصوقات على أربع قطع من الغاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور فى بلاد المدن وغيرها وقوله (ورا) أى خلف (الجاموس) نوع من البقر فان اسم البقر

يشمل

يشمل الجاموس وغيره وهو ضخم كبير غليظ الجلد أسود وسمي البقر بقرا لانه يبقر الارض أي يشقها وواحدته بقرة وأهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك ويقولون له * أنت بقرة مثلا * يعني يا كثير الخنات (مسئلة هبالية) لاى شئ لم يقولوا للولد الامرد يا جاموسى مع أنها في حكم البقرة والعجل يطلع عليها ويضر بها فهى في هذا الامر مثل البقرة فلا خصوصية لاحداهما (قلنا الجواب الفشروى من وجوه) الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه فصار شاملا للنوعين الوجه الثانى ان لفظة جاموسى مركبة من اسم وفعل فاذا قال الشخص للولد الامرد أنت يا جاموسى ربما يفهم منه أنت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلا فكأنه يخبره بذلك فتندفع المعيرة عن الولد الامرد ولا تتوهم ويقال امرأة ولدت جاموسى أى وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى الوجه الثالث أن اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التحسيس يقال فلان يتجمس فى الظلام بمعنى انه يتحسس على شئ يأخذه واسم البقر مشتق من بقر الارض أى شقها بالمحراث فكان مثل وضع (الزب فى الكس) مثلا لانه يشقه أى يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل الزب فى استه مثلا فكان مشبها بالفعل وأما التجمس فهو مشبه بمقدماته والفعل أقوى من الاسم لان التحسيس والتقبيل زرع والنيك حصاده فكان النيك أبلغ من التحسيس فلهذا صار يعاير بذلك الامرد ويقال له يا بقره فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (يرعى النيف) أى يسوق الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذى يرعى بنفسه فالرعى راجع للجاموس أى انه يسوق الجاموس الى المحل الذى ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف وهو يرعى أى يأكل يقال الجاموس أو البقر يرعى فى المحل الفلانى بمعنى أنه يأكل منه وأما قولهم للذى يسوقه ويتعهد مصالحه من حلبه وعلفه وربطه فى الغيط ومباشرته وحراسته ونحو ذلك راعى فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه أنه راعيه بالشفقة عليه والرحمة به والنيف حشيش ينبت فى الارض بنفسه من آثار نزول المياه على الارض وأكثره فى الاراضى التى لا تزرع وهو مشتق من النيفة التى تعمل فى بلاد المدن وهى لحم يشوى فى التنور ويؤكل وله لذة عظيمة أو من النوف التى توضع على رقاب الثيران وقت استعمالها فى الساقية أو المحراث وذكر الجبن ولم يذكر الخبز والظاهر أنه كان موجودا عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير ادم فاشتهى مل مقفه جبنا لاجل ما يكفيه مدة (وحكى) عن الشيخ محمود عفا الله عنه أن رجلا نشأ له ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة أبيه من كراهتها له تنم عليه حتى كرهه والده ثم لما تمكنت من عقله قالت يا أبانا ولدك هذا فقال لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له فسمع كلامها وأتى بالسم وسلمه اليها فقالت له هات لنا لحما نضعه فيه فلما ذبح الجزار أتاها بلحم فعملت للولد طاجن لحم وطبخته بالابزار ووضعت فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان الوقت قد أمسى قالت له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها انى لم أصل العصر لان الوقت راح لما أصلى وأجى آكله

فتوجه الى المسجد وكان بعيدا من دارهم فلما صلى العصر أذن المغرب ففتحت أبواب السماء بماء منهمر كافواه القرب فجلس الولد بالمسجد الى أن صلى العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد ودعاه الى داره فنام عنده فلما أصبح صلى الصبح وحضر الى المسجد وجلس فيه حتى صلى الضحى ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة أبيه سخنت له الطاجن فقالت له لأى شئ لم تجئ فأخبرها بان فلانا عزم على فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم فانى سخنته لك فقال

ان جالك بدرى الطعام اصطبح بو * كما جالك بدرى من الزرع ناجب

وأبوه يسمع ثم قال لما أعلف البهائم لاجل فطورهم بدرى وذهب لعلف البهائم فببركة الصلاة التى صلاها ورأفته على البهائم ألقى الله تعالى فى قلب والده ان الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره وألقى اللحم على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فعسر عليه لعدم معرفته بما هنالك ولا يدرى بما خبئ له ونادى والده لزوجته هات له قشطة وقال له كل واسرح فلما أكل وسرح قال لها توجهى الى بيت أهلك بالستر وان جئت لك باحد كاسنا من كان سياقا فلا تقبليه وان قبلت السياق وجئتى فقبرك فى محل الطاجن تمحلى ذلك وتعقديه ولا تبديه والسلام فانظر يا أخى الى من قدم علف الحيوان قبل أن يأكل وواظب على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية ثم ان الناظم انتقل لتمنى شئ آخر من الاطعمة التى يفعلها أهل الريف فقال

ص ﴿على من قشع لقانة امو ملانه * من الهيطليه اللى لها ترصيف﴾

ش قوله (على من قشع) أى نظر نظرا حقيقيا (لقانة امو) أو زوجة أبيه أيضا والقانة تأنيث لقان على وزن خرفان ويقال لها القصرية أيضا وهى اناء من الفخار تسع دون الماجور وفوق الشالية سميت لقانة لان الشخص اذا أراد أن يشرب منها يلقى بلسانه أو بفمه الماء لانه لا يقدر على حملها أو أن الذى صنعها فى الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء أجلاء وفضلهم مشهور ينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله ببركاتهم وأضاف اللقانة الى امه لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولا له شئ سواها فتمنى رؤيتها بحيث انها الام (ملانه) لا ناقصة وسهل الهمزة لضرورة النظم ثم بين الشئ الذى تمناه فقال (من الهيطليه) وهى طعام يعمل من نشاء القمح واللبن ولها لذة عظيمة فى المأكل وهى أخف من الارز باللبن خصوصا اذا أضيف اليها العسل لان النشاء بارد يابس ويعدله الحلو واللبن تقدم أنه رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والارز حار يابس فيكون النشاء أقل درجة منه وان كان الارز موافقا لكل طعام وفى كلام بعضهم لو كان الارز رجلا لكان حليما لانه موافق للطبائع وسميت هيطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها تشبه بياضه أو من هطل الثياب وهو طولها وجرها على الارض ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللى) بتشديد اللام يعنى التى وهى لغة ريفية (لها ترصيف) أى من حسنها وشدة بياضها ولمعانها أى تضئ ويشتهى أكلها ويلتذ

بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف أى تلمع وتضيء وهى مشتقة من الرصافة بنواحى الشام (ومن اللطائف) ان رجلا مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال وهى تمشى فقال صدق أبو العتاهية ولم يذكر ما قال فهزت رأسها وقالت بل صدق أبو العلاء المعرى ولم تذكر هى أيضا ما قال فاعترى الرجل الخجل وتركها ومضى وكان بالقرب منهما رجل سمع ما قالاه فلحق المرأة وقال لها أخبرينى ما أردت وما أراد والا أعلمت بكما أمير المؤمنين فقالت له انه عنى بقوله صدق أبو العتاهية قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ندرى ولا ندرى

وأنا عنيت بقول أبى العلاء المعرى قوله

أيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

فتركها وسأل الرجل كما سألها فأجابه بما أجابته به وأفهمته أن الدار قريبة ولكنها بجوار أمير المؤمنين فلا تقدر الى الوصول لمطلوبك فانظر الى قوة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهمه المقصود أيضا ثم ان الناظم بين كيفية الاكل من الهيطلية فقال

ص ﴿وأقعد لها بالعزم فى رايق الضحى * وأسحب لها مصبوبة أم وطيف﴾

ش قوله (وأقعد) أى وأجلس من غير استعجال بل أقعد قعدة ممكن من غير خوف ولا فزع ولا أحد يشوش على (لها) اما أن الضمير راجع للقانة التى فيها الهيطلية ويكون قوله وأقعد لها يعنى انى آكل منها وهى فيها فيكون أكله من الهيطلية لا نفس القانة وأما ان كان الضمير راجعا لنفس الهيطلية فلا اشكال ورجوعه لها أصوب وقوله (بالعزم) أى بالقوة والشدة أو انه يقعد لها عازما على الاكل منها مثلا (فى رايق الضحى) أى وقت ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحى ويقال ضحوة النهار وهو وقت الغداء وخلو الباطن واشتداد الجوع (وأسحب) أى نأخذ أخذا سريعا مرة بعد أخرى لان السحب هو جر الشئ بحبل أو غيره جرا سريعا فيكون سحبه يطلق على الاخذ من غير عدد وقوله (لها مصبوبة ام وطيف) أى من المصبوبة التى تعملها زوجته أم وطيف ووطيف ولدها سمى بهذا اللفظ لكونه كان يصنع الجلة أطوافا وقيل كان له دويرة يحط فيها الجلة طوفا بعد طوف وقيل من طوافه حول البقرة فى صغره وأما اسمه الذى سمى به عند ولادته على ما قيل فهو دعموم لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه فصار علما واشتهرت أمه به فصار يقال لها أم وطيف وأما المصبوبة فانها تعمل من نوعين من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فأهل الكفور والبلاد التى لم تزرع الارز يصنعونها من الحنطة وأهل بلاد الارز يصنعونها من دشيش الارز ويقال للتى تصنع من القمح قطايف وربما صنعوها من الارز خالصا والفقراء يصنعونها من الدنيبة التى تخرج من الارز عند بياضه مع خلط شئ عليها من دشيش الارز وسميت مصبوبة لانهم يجعلون

عجينها ما أنها مثل عجين الكنافة ويحمون الفرن ويأخذون نصف قرعة ناشفة أو جوزة هند فارغة ويثقبونها ويجعلونها فى عصا طويلة ويغرفون من هذا العجين ويصبونه فى الفرن أقراصا على قدر أرغفة الخبز وعند ها رخاوة وطراوة فسميت بذلك لكونها تصب على هذا الحال وأما القطايف فانها تعمل فى بلاد المدن من الدقيق الابيض الخاص المقطف وتصب على صوانى صغار يقال لها الرقع من حديد أو من نحاس الا أنها صغيرة مثل القرصة وهى ألذمن هذه الانواع وأطيبها خصوصا اذا قليت بالسمن وصب عليها العسل النحل ولله الحمد كلنا منها مرارا وتلذذنا بها ونسأل الله تعالى أن يطعمها الاخواننا الفقراء ويعمهم بأكلها لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم بل ولا يعرفها بالكلية وانما اشتهرت فى بلده مصبوبة أم وطيف هذه قيل انها زوجته على ما تقدم وقيل كانت امرأة تصنعها فى قريته مشهورة بذلك وسميت قطايف لان الدقيق الذى تعمل منه مقطف أى منخول من المنخل الرفيع فيكون من باب تسمية الشئ باسم الصفة التى تطرأ عليه وتمام الكلام أنه اذا صب المصبوبة بقور أى الهيطلية فيقعد ويأكل منها حتى يكتفى لئلا يفهم أحد أن مامراده الا النظر وهذا محال كما قال بعضهم

النظر بالعين لا يقضى ملامه * غير مص الريق والثم الخال وشامه
النظر بالعين ما يشفى غليلك * الا ان واصلت فى بيتك خليلك
واجعل الفضه لمحبوبك رسيلك * وادخل القبه ترى للشيخ كرامه

الى آخر ما قال ويجرى هذا المعنى فى جميع الابيات التى صرح فيها بالرؤية جميعا فان مراده الرؤية مع الاكل وليس المراد النظر الى الطعام لانه ما يكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له وشدة جوعه ثم ان الناظم التفت الى مأكول آخر فقال

ص ﴿ألا يا ترى اشحال اللبن بعد غلوه * ولو كان بالخبز السخين رديف﴾

ش قوله (ألا يا ترى) يريد أن يستفهم ويختبر ويسأل ويتحقق عن شئ بعيد عنه لم يره ولم يشاهده مثل ما يسأل الانسان عن صديقه الغائب عنه مدة طويلة ولهذا قال (اشحال) يعنى ما حال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا قابل صديقه بعد مدة وأوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب (بعد) وضعه فى الدست و(غلوه) أصله وغليه أبدلت الياء المثناة من تحت واوا جريا على اللغة الريفية أى غليه بالنار يعنى هل له لذة فى المأكل وحلاوة فى الطعم أم كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) أى هذا اللبن الحليب المغلى (بالخبز) تقدم تعريفه فى الطعام (السخين) تصغير سخن وصغره لحلاوة اللفظ مثل قول بعضهم

ماقلت حبيبى من التحقير * بل يعذب اسم الشئ بالتصغير

فلهذا قال السخين على وزن الطنين أى المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن كنيف مشتق

من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف آخر والسخين مشتق من السخونة وهي الحمى لحرارتها او سخونة الجسد اذا اعترته أعاذنا الله منها وجعل الخبز رديفا للبن بمعنى أنه لا يفارقه ولا ينفك عنه حتى يؤكل معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة فهو واياه على ظهرها لا يفترقان ولا ينزلان الا سوية ولا يفارق أحدهما صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعني السمع فكأنه يقول لهم أخبروني عن حال اللبن وعن أكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة لذيذا المأكل ولذذوا سمعي بذكره فلعلي أن أراه حقيقة وآكل منه يقينا كما قال أبو نواس ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر

فان الشاهد في قوله وقل لي هي الخمر أي لاجل ما ألتذ بسماع اسمها وتلتذ أذناي بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقي حاسة السمع وكقول ابن الفارض نفعنا الله به

أدر ذكر من أهوى ولو بملام * فان أحاديث الحبيب مدامي

ليشهد سمعي الى آخر ما قال (ثم انه لما أراد) أن يلتذ سمعه باللبن المغلي مع الخبز المدعن أراد أن يلتذ سمعه أيضا بمفروكة اللبن حتى يريد الله له بالاكل من الجميع ويقضي مراده وما ذلك على الله بعزيز فان الله سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم فقال

ص ﴿ألا يا ترى اشحال مفروكة اللبن * على زلطها قلبي يرف رفيف﴾

ش قوله (ألا يا ترى) أي يا ترى أحدا يخبرني خبرا شافيا (اشحال) أي أسأله عن حال (مفروكة اللبن) أي الفطير الذي يفرك باللبن بمعنى انه يعمل من الدقيق الابيض الناعم ويخبز في الفرن أو الجورة ويفرك أي يكسر بالايدي وهو حار ويوضع في زبدية أو مترد ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل الثريد لينا ناعما في البلع والزلط لان الثريد فيه اللذة وهو أفضل الطعام (وفي الحديث الشريف) فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء العالمين (وورد أيضا) اثردوا فان في الثريد بركة ثم قال الناظم (على زلطها) وكثرة شوقي اليها وحسرتي على بعدها (قلبي يرف رفيف) أصله رفيفا لانه مصدر حذفت ألفه للضرورة أي يخفق خفقانا زائدا يشبه في خفقانه رف جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط بفتح اللام جمع زلطة وهي حجارة صغيرة ملساء تكون في الرمال وسواحل البحر وسمي زلط الطعام به لملوسته واندفاعه من غير مضغ أو لان اللقمة تحاكي الزلطة الكبيرة لان الزلطة لها قوة وسرعة في رميها من اليد كما يقال (زلطة في رأسك) مثلا يعني جاءك ضربة زلطة في رأسك بسرعة حتى يؤثر ضربها في رأسك فشبهت بذلك لانه يأخذ اللقمة منها بسرعة ويحدفها في حلقه ويزلطها كما يحدف الرجل الزلطة بشدة وقوة وأيضا الفطير واللبن رطب فلا يحتاج الى مضغ أسنان ولهذا تأسف على فراق هذا المأكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذي عليه طائر يتحرك ويرفرف بجناحيه وهذا من

كثرة الشوق ودواعى الشهوة وانتظار حصول المقصود والمطلوب فانك تجد العاشق دائما قلبه يخفق
على فراق محبوبه فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولاطفه فى الحديث وآنسه بالمسامرة فهنالك
يزول مابه وتسكن حواسه بأنسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته

ومشبه بالغصن قلبى * لايزال عليه طائر حلو الحديث وانها * لحلاوة شقت مرائر
أشكو وأشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

الا ان كلام الاستاذ نفعنا الله به ومشربه ليس مما نحن بصدده ثم انه آلى على نفسه أنه متى رأى لقانة
ابن عمه الآتى ذكره ملآنة من الفت أكله كله لشدة شهوته وكثرة جوعه فقال

ص ﴿أنا ان شفت لقانة ابن عمى مخيمر * ملانه من التفتيت ملو طفيف﴾

ش قوله (أنا) يعنى أبوشادوف لاأحد غيرى (ان شفت) أى رأيت بعينى لا باذنى كما تقدم تعريفه
(لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها (ابن عمى) أخو والدى (مخيمر) سمى بذلك لانه كان له نقرة
كبيرة يخمر فيها الجلة ورعابالفيها أيضا أولاتيانه بخميرة العيش لوالدته قبل خبزه أولا كله من العجين
المخمر قبل تشريصه أولان وجهه يشبه الخميرة المشققة لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون ياوجه
الخميرة المشققة وقوله (ملانة) أى اللقانة (من التفتيت) جمع فت وهو تكسير الخبز لقما صغارا وكبارا
وأحسنها الصغار ويصب عليه العدس أو البيسار حتى ييبس ويصير كقطع الحجارة (ملو طفيف) أى
ملوا كاملا مطففا بمعنى أنه زائد على حوافى الاناء وهو مشتق من تطفيف الكيل أو من طف الماء على
الجروف اذا ارتفع عليها أو من الطف محل بنواحى العراق من نواحى كربلاء التى استشهد فيها سيدنا
ومولانا الامام الحسين رضى الله تعالى عنه (وملخص قصته رضى الله عنه) قيل ان معاوية لما مات
أرسل يزيد لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة من سيد شباب أهل الجنة سيدنا الامام الحسين فامتنع
وخرج الى مكة المكرمة فأتت كتب العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فأشار عليه ابن الزبير
بالخروج وابن عباس وابن عمر وجماعة من الصحابة أشاروا بعدمه وبينوا له غدر أهل العراق وما فعلوه
بأبيه وأخيه رضى الله عنهم وقالوا له ان كان ولا بد فلا تأخذ أهلك معك فلم يفد ذلك فبكى ابن عباس
وقال واحسيناه وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى أهل العراق يأخذ بيعتهم فأخذها وأرسل اليه
يستقدمه فخرج سيدنا الحسين من مكة قاصدا العراق فعلم يزيد بخروجه فأرسل الى واليه على
الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يأمره بطلب مسلم وقتله ولم يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين
القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له ارجع فانى لم أدع لك خلفى خيرا وأخبره الخبر
ولقيه الفرزدق فسأله فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء فهم
أن يرجع وكان معه أخو مسلم فقال له لانرجع حتى نأخذ بثاره أو نقتل وكان ابن زياد جهز أربعة
آلاف وقيل عشرين ألفا الملاقاته فوافاه بكربلاء فنزل ومعه خمسة وأربعون فارسا ونحو مائة راجل

فلقيه

فلقيه الجيش والقسوا منسه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد بن معاوية فأبى فقاتلوه وكان أكثر مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما أيقن أنهم مقاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد ترون من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت وتلونت وأدبر معروفها واستمرت حتى لا يبقى منها الا صبابة الاناء والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى فانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما فقاتلوه فكان آخر الامر أن استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من أهل بيته وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبرانى (قال العلامة) سيدى عبد الرؤف المناوى نفعنا الله به فى طبقاته فان قلت ينافيه ماورد عن الطبرانى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال أخبرنى جبريل أن الحسين رضى الله عنه يقتل بعدى بأرض الطف وجاءنى جبريل بتربة منها وأعلمنى أن فيها مضجعه (وما رواه سعد) عن أمير المؤمنين الامام على رضى الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فسألته فقال أخبرنى جبريل أن حسينا يقتل بشاطئ الفرات (قلت) لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بارض الطف وهى من بلاد كربلاء فاندفع التعارض والتأم الكلام واستقام على أحسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به (ولما فعلوا به ما فعلوا) أخذوا رأسه وأتوا به الى ابن زياد فارسله ومن معه من أهل بيته الى يزيد ومنهم على ابن الحسين وكان مريضا وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا وأوقفهم موقف السبى بباب المسجد وأهانهم وبالغ فى اهانتهم ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه وقد أخرج أبو يعلى عن أبى عبيدة مرفوعا لا يزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد (وصح) عن ابراهيم النخعى انه كان يقول لو كنت ممن قاتل الحسين ثم أدخل الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره واستشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت استشهاده كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء مدة ستة أشهر واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قامت وكانت الكواكب ترى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة أيام كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة يضرب بعضها بعضا ولم يقلب حجر فى بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم عبيط وصار الورس الذى فى عسكرهم رمادا ونحروا ناقة فى عسكرهم فصاروا يرون فى لحمها نيرانا وطبخوها فصارت كالعلقم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية قعدوا فى أول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم وهو

أترجو أمة قتلت حسينا ✽ شفاعة جده يوم الحساب

ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية امر برد أهله الى المدينة وأن يطاف برأسه الشريف البلاد وروى ابن

خالويه عن الاعمش عن منهال بن عمرو الاسدى قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة فى الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فنطق الرأس الشريف بلسان عربى فصيح وقال جهارا أعجب من أصحاب الكهف قتلى وحملى (وقال ابن حجر) ورد من طريق عن علىّ كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا (واختلفوا) فى رأس الحسين بعد مصيره الى الشام الى أين صار وفى أى موضع استقر فذهبت طائفة الى أنه طيف به حتى انتهى الى عسقلان فلا قاه أميرها فدفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة (وذكر آخرون) أنه حمل الى المدينة مع أهله ودفن بالبقيع والذى عليه طائفة من الصوفية أنه فى المشهد القاهرى رضى الله عنهم أجمعين (وقد تقدم) أن الطف محل بالعراق من نواحى كربلاء وأما الفرات فمبدؤه من بلاد قالى قلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى أبو زحس على نحو يوم من قالى قلا وهو يجرى فى أرض الروم الى أن يأتى بلاد ملطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو خمسمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك والاكثر من مائه ينتهى الى بلاد الحيرة وهو نهر بين الى هذا الوقت يعرف بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهى وقعة القادسية فيصب فى البحر الحبشى وكان البحر يومئذ فى الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه هناك سفن الصين والهند وترد الى ملوك الحيرة (وقد ذكر أن خالد بن الوليد) المخزومى لما أقبل يريد الحيرة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه أهل الحيرة فتحصنوا منه فى القصر الابيض وقصر القادسية وقصر بنى نفيلة وهذه القصور كانت بالحيرة وهى الآن خراب لا أنيس بها وبينها وبين الكوفة ثلاثة أميال فلما نظر خالد بن الوليد الى أهل الحيرة وقد تحصنوا منه أمر العساكر أن تنزل بالنجف وأقبل خالد على فرسه هو وضرار بن الازور الاسدى وكان من فرسان العرب فوقفا قبالة قصر بنى نفيلة فجعل العباديون يرمونهما بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار أصلحك الله ليس لهم مكيدة أعظم مما نرى فمضى خالد فنزل فى عسكره وبعث اليهم أن يبعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوى أنسابهم يسأله عن أمرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة وهو الذى بنى القصر الابيض فأتى خالدا وله يومئذ ثلثمائة وخمسون سنة فأقبل يمشى فنظر اليه خالد وهو مقبل فقال من أين أقصى أثرك أيها الشيخ قال من صلب أبى قال فمن أين جئت قال من بطن أمى قال فعلام أنت ويحك قال على الارض قال ففيم أنت لا كنت قال فى ثيابى قال أتعقل لا عقلت قال اى والله وأعى قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال اللهم اخزهم من أهل بلده كلما أريد أن أسأله عن الشئ يجيب عن غيره قال والله ما أجبتك الا عما سألتنى قال أعرب أنتم أم نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال أحرب

أنتم أم سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحبسه حتى يأتي الحكيم فينهاه قال كم لك من السنين قال خمسون وثلثمائة سنة أدركت سفن البحر تأتي الينا في هذا النجف بمتاع السند والهند وأمواج البحر تضرب ما تحت قدميك وانظر كم بينها اليوم وبين البحر ورأيت المرأة تأخذ مكتلها فتضعه على رأسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة وعمائر متصلة وأشجار مثمرة وأنهار جارية وغدران متدفقة حتى ترد الشام وتراها اليوم قد أصبحت خرابا وذلك دأب الله في البلاد والعباد فرجع خالد ومن حضره لما سمعوه منه وعرفوه وكان مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان معه سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال أتيتك فان يكن عندك ما يسرني ويوافق أهل بلدي قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره لم أكن أول من ساق الى أهل بلده حزنا وبلاء فآكل هذا السم وأستريح من الدنيا فما بقي من عمري الا اليسير فقال له خالد هات فأخذه ووضعه في راحته ثم قال بسم الله رب الارض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء ثم استفه فتخللته غشية وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم أفاق كأنما نشط من عقال فانصرف العبادي الى قومه وكان عبادي المذهب وهم النسطورية من النصارى فقال يا قوم قد جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه وأخرجوه عنكم فصالحوه على مائة ألف درهم قال المسعودي وانما ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا من تنقل البحار وتقلب العيون والانهار على مرور الدهور والاعصار وحكاها شهاب الدين بن العماد في حكايته في النيل السعد كذلك ثم ان الناظم نبه على عدم الاكتفاء برؤيته وأنه لا يكفيه الا أكله جميعه فقال

ص ﴿قشرته جميعه ما تركت بقيته * لغيري ولا عندي بدا توقيف﴾

ش قوله (قشرته جميعه) القشر في الاكل وغيره أخذ الشيء جميعه أو اتلافه ويتفاءل به فيقال كعب فلان أقشر وكعبك أقشر ومنه يقال أكعاب وأعتاب ونواصي ويقال امرأة قشراء ورجل أقشر يعني انه قليل البركة قليل الرزق تأتي قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله ودخوله على الشخص ونحو ذلك وكان في قريتنا رجل قصاب يقال له سكيكر عشق امرأة جميلة يقال لها كعب الخير فلما اشتغف بحبها ماتت وتحسر على موتها وحزن عليها حزنا شديدا فقال فيه بعض الادباء مواليا

صحبة سكيكر لكعب الخير كانت فال * لو كعب أقشر قشرها بالعجل في الحال

لو شاربي الموت أو شفتو على الامهال * قلت اقلع بوه خلي كعب في الخلخال

(ومنه) قصة طويس المذكورة في الكتب وكلها أسباب يجريها الله تعالى على يد من يشاء من خير أو شر والا ففي الحديث الشريف لا عدوى ولا طيرة ولا فال ونعق غراب فقال رجل خير ان شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل هذا اهل الخير والشر الا بيد الله تعالى وقوله قشرته جميعه أي أكلته جميعه ولا أبقي منه شيأ لغيري لاني مشتهيه وعندي مجاعة شديدة فمتى رأيته

لا أبقى منه شيأ وهذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا شره فى الطعام وأرخى نفسه عليه وأكل منه زائدا عن القدر المعتاد ضره وآذاه وتولد منه الامراض ولهذا قيل وأكثر موت الناس بالتخم

قال الشاعر اذا شئت أن تحيا صحيحا مسلما * فكل من طعام تشتهيه قليلا

كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل أكل المرء عاش طويلا

(قيل) اجتمع عنده ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندى ورومى ومصرى فقال لهم الملك ليصف لى كل واحد دواء لاداء معه فقال الهندى الدواء الذى لاداء معه أن تفطر كل يوم على شئ من بزر الهندبا وقال الرومى الدواء الذى لاداء معه أن تفطر كل يوم على ثلاثة جرعات من الماء الساخن وقال المصرى الدواء الذى لاداء معه أن لا تأكل الا بعد الجوع وأن تقوم وأنت تشتهى الطعام فانك لا ترى علة الا علة الموت فقالوا كلهم صدق المصرى (ولما أرسل المقوقس) ملك مصر الى النبى صلى الله عليه وسلم الجاريتين مارية وسيرين وكانتا من مدينة أنصنا التى هى الآن خراب على شاطئ بحر النيل من اقليم الصعيد وأرسل له البغلة المسماة بدلدل وأرسل له عسلا من بنها قرية من قرى مصر من نواحى القليوبية وأرسل مع هذه الهدية حكيما وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبى فلما وصلت الهدية والحكيم الى النبى صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لا نأكل الا بعد الجوع واذا أكلنا لا نشبع فلا نحتاج الى حكيم فلما بلغ المقوقس ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم قال ياله من نبى عظيم جمع الحكمة فى كلمتين (وفى الحديث) جوعوا تصحوا فالجوع محل النشاط للعبادة ويتولد منه صحة الجسم وعدم الامراض خصوصا لاصحاب الرياضات وأرباب الخلوات فان نتيجتهم فى ذلك الجوع لما ذكره العارف بالله تعالى الامام البونى فى بعض كتبه أنها لا تصح رياضة من أحد وفى قلبه مثقال حبة من شبع وأما كثرة الاكل فانها تنشأ من أمور اما من شدة الشره على الطعام أو يكون ذلك عادة فقد رأينا من أكل الماجور الطعام ولم يشبع ورأينا من أكل مائة بيضة مشوية ولم يشبع وكان بعض الجبابرة يأكل الفصيل مشويا فى غدائه فأكله يوما وأراد أن يجامع زوجته فامتنعت فعاتبها فقالت كيف تصل الى وبينى وبينك فصيل وذكر سيدى محيى الدين بن العربى نفعنا الله به فى مواقع النجوم أن ابن عبد الملك كان أكولا مر برجل معه زنبيل بيض مشوى وزنبيل تين فأكل مافيهما فمرض ومات بذلك وكان الوليد من ملوك بنى أمية جبارا عنيدا وكان يشرب الزق الخمر ويأكل الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزقه وأنشد يقول

تهددنى بجبار عنيد * وانى ذاك جبار عنيد اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقنى الوليد

وهذا كله من تعنته وتجبره وكان المأمون يأكل كثيرا فاصطنع له بعض الحكماء المأمونية فصار يأكل منها فانسدت معدته وقل أكله لان قليلها يغذى الشخص ولهذا نسبت اليه وأما ما اتفق لبعض الاولياء من انه كان يأكل الطعام الكثير الذى يكفى الجماعة الكثيرة فانه امر من باب

التصريف

التصريف واظهار الكرامة وقال ابن خلكان كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامي وكان به عرج وقال الحافظ بن عساكر في تاريخه ان سليمان بن عبد الملك المذكور كان نهما في الاكل وقد نقل عنه أشياء غريبة فمنها أنه اصطبح في بعض الايام بأربعين دجاجة مشوية وأربعين بيضة وأربعة وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم أكل مع الناس في السماط العام ومنها أنه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد أمر قيمه أن يجني ثماره ويستطيب له منها وكان معه أصحابه فأكل القوم حتى اكتفوا واستمر هو يأكل أكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم مال الى الفاكهة فأكل منها أكلا ذريعا ثم أتى بدجاجتين مشويتين فأكلهما ثم مال الى الفاكهة فأكل منها أكلا ذريعا ثم أتى بإناء يقعد فيه الرجل مملوأ سمنا وسويقا وسكرا فأكله أجمع ثم سار الى دار الخلافة وأتى السماط فأكل مع الحاضرين كأنه ما أكل شيأ ومنها أنه حج فأتى الطائف فأكل سبعمائة رمانة وخاروفا وست دجاجات وأتى بمكوك عنب فأكله أجمع ومنها أنه كان له بستان فجاءه رجل ليضمنه ودفع له قدرا من المال واستؤذن في ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم أذن في ضمانه فلما قيل للضامن احمل المال قال كان ذلك قبل أن يدخل أمير المؤمنين وقيل كان سبب موته انه أكل أربعمائة بيضة وثمانمائة تينة وأربعمائة كلوة بشحمها وعشرين دجاجة محمرة وفشت الحمى في عسكره وكان موته بالحمى انتهى والله أعلم قيل مر رجل اكول في سفره واجتاز بقرية فاضافه انسان وأجلسه وكانت زوجته في الفرن تخبز العيش وأتاه بجانب من الخبز وذهب يأتي بالادم فلما رجع وجده قد أكل الخبز جميعه فوضع عنده الادم وذهب يأتي له بخبز آخر ورجع فوجده أكل الادم جميعه ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل جميع ما خبزته زوجته وكذا أكل الادم فقال له الرجل يريد معه المداعبة والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة الى أين تمضي فقال الى مصر قال ألك حاجة فيها قال نعم قال له وما هي قال وصف لي بها طبيب حاذق فقصدت الذهاب اليه قال لأي شيء قال أنا رجل قل أكلي وانسدت معدتي ومرادي منه شيء يصفه لي لعلي أقطع في الاكل فقال له الرجل أنا بقي لي عليك احسان ولكن سألتك بالله اذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمر على منزلي ان كان هذا فعلك ومعدتك مسدودة فكيف اذا اتسعت ثم انه أخرجه من منزله وتوجه الى حال سبيله وقوله (ما نزلت بقية واغيري) أي لاحد غيري قريب أو بعيد (ولا عندي بذا توقيف) أي لا أتوقف في الاكل ولا أستحي من أحد اذا كان مارا ولا أعزم ولا أطعم غيري منه ولا أنظر فيه ان كان باردا أو حارا أو مقاربا أو من حرام أو من حلال فعلى كل حال لا أنظر لهذا المعنى ولا ألتفت لهذا الامر ولا أطعم غيري ثم ان الناظم تشوق الى مأكول من السمك المالح يقال له النسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص ﴿أنا خاطري أكلت فسيخ على النده * أضال عليها باكيا وأسيف﴾

ش قوله (أنا) يعني أبو شادوف لا غيري كما تقدم معناه في أبيات غير هذا (خاطري) أي مرادي ودائما

يخطر ببالى ذلك الامر وأنا متشوق اليه ومشتهيه ومنتظره وهو (أكلة فسيخ) والاكلة واحدة الاكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البورى ونوع آخر يقال له الطوبار يأخذونه ويضعونه على بعضه البعض بعد أن يضعوا على كل رصة جانبا من الملح فينتقع به ثم يسيل منه ماء ثم ينتمر ويصلحه الملح ويشتده ثم انهم يأخذونه ويبيعونه ويأكله أهل الريف وغيرهم يأخذون الفسيخة منه ويشقون بطنها ويضعها الرجل أو المرأة على يده اليسرى أو فى يديه الاثنين ويعصر عليها الليمون وينتش منها لقمة لقمة يأخذ بفمه القطعة اللحم ويأخذ عليها اللقمة الخبز فيصير مثل الكلب الذى ينهش فى الرمة مثلا ويعلو فمه ويديه القذارة والرائحة الخبيثة ويأكلونه حتى فى الاسواق وأغرب من هذا انه أخبرنى من أثق به من أهالى سمنود انه دخل مطهرة مسجد دولتى على البحر يقال له العدوى نفعنا الله به فرأى شخصا من الارياف قاعدا فى بيت الخلاء ومعه فسيخة ورغيف يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل فى بيت الخلاء فقال له أنت تطردنى من بيت الخلاء وهو مسجد المسلمين والامر لك تأخذ منى الفسيخة فخرج من غير استنجاء والفسيخة فى يده وراح الى حال سبيله ولكن له عند نساء الارياف موقع عظيم وشهوة لا يعدلها شئ خصوصا أهالى الكفور وبلاد الملق فانهم لا يرونه الامن النيل يجىء لهم من دمياط ورشيد فى المراكب ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائدة ويجلب للصعيد وغيره وهو مشهور ببلاد مصر وأما فسيخ البطارخ فانهم يتوه فى الهواء الى أن يجمد ويصير يابسا عن الفسيخ وهو مأكول الاكابر وسمى بطارخا لان جوفه ملآن بطروخ بخلاف الفسيخ فانه خالى عن ذلك ويأكلون لحمه بالخل والزيت وربما أضافوا اليه الثوم والبصل الخروطين والحرارات وهو شهوة عظيمة فى بلاد المدن وغيرها يكلفون الاكلة منه كلفة زائدة ويأكلونه وحده ويسمونه صرص بكسر الصاد الاولى ويجعلون البطارخ الذى فى جوفه فى اناء ثانى ويضعون عليه الزيت الطيب أو الشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه حار يابس واعتدال أكله فى الشتاء وسمى الفسيخ فسيخا لتفسخه عند الاكل أو أن الذى صنعه أولا خرج منه ريح عند أكله فشمه آخر فقال فسى أخ فركبوا هاتين الكلمتين وجعلوهما علما وقال فسيخ قيل سمع بعض أهل الريف قارئا يقرأ قوله تعالى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فقال له يا شيخ وفيها فسيخ فقال نعم وفيها ما تشتهى نفسك الخبيثة وقوله (على الندى) أى وقت نزول الندى لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا كان فى أول النهار ربما اعتدل أكله هذا اذا كان فى زمن الصيف وأما زمن الشتاء ففى أى وقت كان ويستحب أن يشرب عليه شراب حلو أو يؤكل عليه تمر فانه يذهب ضرره وأذاه وقوله (أضال) تقدم معناه (عليها) أى على هذه الحالة والاكلة من الفسيخ لشدة شهوة نفسى الخبيثة اليها (باكيا) أى أستمر على عدم حصول هذه الاكلة باكيا والبكاء هو غرغرة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء اذا نزل منها المطر وبكى السحاب قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال الشاعر

ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وهو مشتق من بك الجرح اذا خرج منه الدم وقوله (وأسيف) سكنه لضرورة النظم لان أصله أضال أسيفا على هذه الاكلة حتى تحصل لى فلا أنفك عن الحزن حتى آكل منها وأشبع والاسف هو شدة الوجد على فقد الحبيب وبعد الصديق قال الشاعر

وما أسفى الا على من أوده * ومن لا أوده ما عليه ملام

وقول بعضهم
وما عتبى الا على من أوده * ومن لا أوده ما عليه عتاب

وقال بعضهم
أعاتب ذا المودة من صديق * اذا ما رابنى منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

ولبعضهم
وأنت أخى ما لم تكن لى حاجة * وان عرضت أيقنت أن لا أخاليا
ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

وقال آخر
لما رأيت بنى الزمان وما بهم * خل وفى للشدائد أصطفى
أيقنت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

وقال آخر
صديقك فى هذا الزمان منافق * وخلك خل زره واحذر بوائقه
ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فأسواق المنافق نافقه
فلا تخش الا الله لا رب غيره * فأرفع الدنيا الحر ولا ثقه

وقال آخر
زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لا يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال آخر
أنت ما احتجت الى صا * حبك الدهر أخوه
واذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه لو رأى الناس نبيا * سائلا ما وصلوه

وقيل فى الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب ان الصاحب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك ويحزن لحزنك ويعادى من تعادى ويصاحب من تصاحب والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته فى الاعضاء والحبيب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك الخ وتخللت محبته فى الاعضاء ولو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك ثم ان الناظم انتقل من شهوة الخبيث الى الطيب فقال

ص ﴿على من نضر فى فرن داروطواجن * زغاليل من برج بن آبو شعنيف﴾

ش وقوله (على من نضر) بالعين (فى فرن) وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه فى الجزء الاول من هذا الكتاب (دارو) أى دار الناظم فالضمير فى دارو راجع اليه يعنى لا يكون فى دار غيره

ولا تكون الطواجن فى فرن غير فرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر منشرح الصدر اذا حصل له ذلك
وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم تعريفه ملان (زغاليل) وهى أفراخ الحمام البرى المتخذ من
الابراج ويقال له الحمام الغيطى لانه يرعى فى الغيطان ومحلات الزرع والاجران وأكلها نافع يقوى
الباه اذا أضيف اليها الحرارات والسمن البقرى فلا تسأل عن جودة طعمها ولذة أكلها والحمام اسم
جنس شامل لكل ما عب وهدر ثم انه بين أن الزغاليل التى أشار اليها لا تكون الا (من برج) لامن
الزغاليل المتولدة من حمام البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب
والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حول بعضه البعض فيه قواديس فخار يأتى اليه الحمام
البرى ويبات فى تلك القواديس ويفرخ ويخرا فيها أيضا ويسمون خراءه عندهم رسمالا يأخذونه لزرع
البطيخ والنخل يطعمونه به وأمره عندهم مشهور ويأخذون من فراخه ويبيعون ويذبحون وهكذا
فى سائر البلاد واسم الزغاليل مشتق من الزغلات وهو نبات أزرق اللون شبهت به الزغاليل لزرقة
ريشها أو أنه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة الزغل ويسمونها العصافيرو يسمون القرش
فرس والفحم الذى يصنعون به زبيب والكير الذى ينفخون به الشيخ ولهم اصطلاح فى هذه الصنعة
لكن تراهم دائما فى شدة خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة (وسئل الامام الشافعى) رضى الله
تعالى عنه عن الكيمياء فقال أعرف من افتقر بها الا من استغنى فكذلك الحمام فى كل قليل من
الايام يدخلون عليه ويأخذون أفراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما فى خوف مثل الزغلية
وواحد الزغاليل زغلول كما أن واحد الهبابيل هبول والبرج مشتق من التبرج وهو المباهاة بالزينة
قال تعالى ولا متبرجات بزينة (مسئلة هبالية) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف بالادالمدن
المعد للغسل ونظافة الاجساد مناسبة مع أن اللفظ واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاولى أم كيف
الحال (قلنا الجواب القشروى) أن المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسى ووجه طبى
فالوجه الاول أن الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم على الحيضان والمغاطس وائتلافهم مع بعضهم
البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك وكذلك برج الحمام فيه ازدحام الحمام على بعضه
البعض وائتلافه ودخوله القواديس لافراخه وتغريده وتهديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه
الحيضان والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه الخلاوى والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس
والتحسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك الى أعلى البرج وذهابه لاكتساب رزقه مثل خروج الناس من
الحمام يكتسبون أرزاقهم ومعاشهم (كما فى الحديث الشريف) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فهذا هو وجه القياس
القطيسى والوجه الثانى أن الحمام حار رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة وأحسن
الحمامات ما قدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام

فانه سخن محرك للباه وان كان فى أفراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا أضيف اليه الحرارات كما تقدم فان نفعه يكون تاما وأجوده الحمام البرى وأما الذى فى البيوت فان المداومة على أكله يتولد منها الحمى وزيادة الدم فكان فى ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى فاتجه الجواب عن وجه هذا الهبال (وأما اسم الحام الطائر) فهو مشتق من الحوم وهو التردد فى الطيران يقال حام الطائر يحوم اذا فعل ماتقدم ومصدره حام يحوم حوما (وأما الحام المبنى) فانه مشتق من الحمى وهى السخونة لان الشخص اذا دخله صار كانه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق أو من الحوم وهو الغطوس فى الماء من قولهم فلان استحمى فى البحر بمعنى أنه سبح فيه وغطس أو من الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب لما فى المحبة من شدة الحرارة والشوق ومنه قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع أى محب يشفع لهم ولشدة حرارته وقوة أفعاله شددت ميمه الاولى (وأما الحام) بكسر الحاء فهو الموت فان حاءه ما كسرت الالان الشخص يكون فى حال حياته فى شدة وقوة فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا أثره قال الشاعر

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وهو مشتق من الشدة يقال حم الامر اذا اشتد ولا شك أن الموت شدة عظيمة فى معالجة الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك انتهت الابحاث القشرية والمصادر الهبالية وقوله (ابن) ويطلق عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان (ابوشعنيف) أصله أبى لكن لم يساعده لسانه لجرفته فى الكلام وهذه كنيته وأما اسمه الاصلى فهو عنلق أو بحلق على ماقيل وابنه المذكور فى النظم اسمه فلحس وهو من أسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق الحشيش المسمى بالنيف المتقدم ذكره ويضعه للبهائم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال فى البلد شاع بالنيف أى بسرقة النيف ثم انهم حذفوا الجار والمجرور وأبقوا الفعل والاسم وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا أبو شعنيف وهو مشتق من الشعنفة على وزن القلحنة ولعلها بمعناها ومصدره شعنف شعنفة ثم ان الناظم بين كيفية أكله فى الزغاليل وأنه انوكل بالفطير فقال

ص ﴿وفطر فطاير من طحين ابن عمه * ويقعد لها قعدة غلام خسيف﴾

ش قوله (وفطر) على وزن وشمر قال الشاعر

وشمر عن اير وطرطر عامدا * عليها يبول فهى فى البول تغرق

ومعناه أنه يقول اذا حصلت لى تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله مرادى بحصولها عندى لا يلذ لى أكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطاير) مصدره مثل عمل عمايل أو مثل قشر قشاير ومعناه بطط أو صنع فطيرا والفطاير جمع فطيرة وتجمع على الفطير مثل خميرة وخمير أو حمارة وحمير والفطير ثقيل غليظ لا يوافق الآدمى لانه يولد الارياح هذا اذا أكل وحده وأما مع غيره فلا بأس به وهذا كله فى

فطير الريف الذي أراده الناظم فانهم يأخذون الدقيق لاغير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويضعونه في الفرن أو يدمسونه في الجورة ويقال له فطير دماسي ثم انهم يأخذونه ويأكلونه فهذا هو الثقيل المنهي عنه وأما الفطير الذي تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة ويبسونه بالسمن والعسل النحل فهذا لا بأس به وكذلك الذي يصنعونه وقت عجنه بالسمن ويخبزونه للفطور ونحوه فهذا لا بأس به ايضا بل هو المطلوب وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه عنداق أي يكون ابن عمه يتبرع له به من غير مقابل أو يعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له أو يهبه اياه أو يتمكن من سرقته ويخبزه في الفرن أو الجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن ويفت في مرقها الفطاير المذكورة ويتأهب للاكل منها (ويقعد لها) أي للزغاليل أو لمجموع ذلك (قعدة) أي مثل قعدة (غلام) وهو الذي طر شاربه قال الشاعر منا الغلام الذي ان طر شاربه * والعانسون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من حاز الكمال والشدة وقوله (خسيف) صفة للغلام أي عنده خسافة أي تفكر وكآبة وشدة حزن فأكون مثله عندي تفكر وشدة جوع فما أصدق أن أرى هذا الطعام وهذا الفطير وآكل منه حتى أكتفي ويذهب جوعي وتنقضي شهوتي مثل الغلام الذي اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمعه على أحبابه فيزول همه وينسر بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد (كما اتفق) أن بعض العارفين مر برجلين يأكلان في رمضان فقال لهما ما أمركما قالا نحن محبين صادقين فرقنا الدهر مدة ثم اجتمعنا في هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال ما علامة محبتكما فقال أحدهما اجرح ذراعي فجرحه فخرج الدم من ذراع الآخر من غير جرح فصارت أرواحهما وأجسادهما كأنهما روح واحدة في جسد واحد كما قال ابن العربي نفعنا الله به

نحن جسمان بجسم واحد ، نحن روحان حللنا بدنا

وقال أيضا عفا الله عنه

ولما التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا
ونحن وان كنا مثنى شخوصنا * فما يبصر الابصار الا موحدا

ومن هذا المعنى كثير من مشرب المحبين ومطلب العارفين نفعنا الله بهم أجمعين قال ابن هاني عفا الله عنه

لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب مع الهوى * فالناس تقطع في حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

وله أيضا رضي الله عنه

لايعرف العشق الا كل من عشقا * وليس من قال انى عاشق صدقا
للعاشقين بحور يغرقون بها * لانهم عالجوا الاشواق والحرقا

وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم أن المتحابين فى الله فى ظل العرش وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش ثم ان الناظم انتقل الى شهوة أخرى تمناها فقال

س ﴿على من نضر طاجن سمك فى فرينه * ولو كان بالخوانى بلا تنضيف﴾

ش (قوله على من نضر) بعينه لاسمع باذنه (طاجن) ملآن (سمك) والسمك اسم جنس شامل لانواع كثيرة أحل الله تعالى أكله هو والجراد حيا وميتا وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف وأجوده الطرى واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل وزاد فى الباه والمالح أحرمن الطرى وأيبس ونفع الكبير منه أن يؤكل مع شراب عتيق وقالوا ذبح خصوصا اذا كان متخذا من ماء عذب بارد والمفلس منه أولى من غيره (قال بعض الحكماء) كل منه ما تفلس واترك منه ماتملس والمتفلس منه مثل البورى والقجاج والبنى فان كل واحد منها له لذة عظيمة وتتفاوت فى الطعم واللذة فأما البورى فيحشى بالبصل والحرارات ويعمل على الارز المفلفل ويعمل أيضا فى الطواجن مرقة وغيرها وله لذة عظيمة ويعمل أيضا بالكشك وقد أكلته فى دمياط مرارا ويعمل أيضا بارزلكن قليل عن المفلفل يضيفون عليه ماء الليمون ويسمونه قفاعية وأكلته وله لذة عظيمة وطعمية لذيذة وأما القجاج فانه أعلى رتبة وأطيب طعما من البورى وهو يشبه الشبار الكبير وفى المثل اذا عدم الدجاج كل القجاج * ويتنوع فى الاطعمة مثل البورى وأما السمك البنى فانه ألذ فى الطعمية من الكل ولا يوجد الا فى قاع البحر العذب يحتالون على صيده ويأخذونه ويهادون به الاكابر والامراء والوزراء وهو جيد الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلى وحشى فلا تسأل عن لذة طعمه فانك تود أن تأكل أصابعك من حسنه وفى المثل عن لسان حال البنى * أنا البنى ان رأيت أحسن منى لاتأكلنى * ونوع فى السمك يقال له شبار له لذة فى الطعم والمأكل وقد ورد أنه يأكل من حشيش الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما مراده السمك الذى يصيده من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل وتصير البرك والنقر ملآنة بالماء فيتولد فيها سمك قراميط سود وشبار صغير وصير ونحو ذلك فتنزل أولادهم ويصيدون منها فيأتون به وينظفونه ويضعونه فى الطواجن ويضعون عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار وبعض بصل مخروط ويضعونه فى الفرن الى أن يأخذ قوامه فيأكلونه بخبز الذرة أو الشعير ويصير له زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم ألذ المأكول ويأتون بالقراميط السود الصغار ويدفنونها فى الجورة الى أن تنضج يسيرا ويأكلونها أعاذنا الله من ذلك وبذكر السمك تذكرت

(مما اتفق) أن رجلا كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال وكان زوجها من اخواننا المطاعيم المغفلين فتزعليها عاشقها يوما وقال لها طال الموعد فقالت له فى غد تأتينى فى آخر النهار ثم انها أصبحت وقالت لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه فى هذا اليوم ونأكله فمضى الى السوق وأتى به فنظفته وأصلحت شأنه ووضعته فى طاجن كبير وقالت له خذه وامض به الى الفران وأرخناس طبيخه وقل للفران يرسله مع غلامه أذان العصر فأخذه زوجها وذهب به الى الفران وأعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا وطاعة ثم ان الفران أرسله لها فى الوقت المعلوم فبينما هى جالسة واذا بصاحبها الذى وعدته يطرق الباب ففتحت له وطلع وأكل من ذلك السمك وتمتع بحسنها وجمالها وقضى منها مراده فبينماهو معها فى الحديث اذ طرق زوجها الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شئ والزم الصمت ولا تتكلم ثم انها افتحت لزوجها الباب وأظهرت له الحزن والبكاء فقال لها ما الذى أصابك فقالت له اسكت يا راجل لما تسكن روحى فى قلبى أنا لم أقدر أرد عليك وكانت وقعتى معك وقعت الشوم ازاى الفران يرسل الولد بالطاجن السمك فلما كشفتونا كل منه وطلع لى راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خضتى منه وخايفته لا يطلع على شئ وها هو قاعد ولولا استحيت كنت خرجت الى السكة وأنا طول عمرى ما حد شافنى ولا أعرف حد غيرك قال فطلع زوجها يجرى حتى طلع الى الرواق فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك المطعوم من حطك فى الطاجن يا ترى هو الفران والا صبيه فلم يتكلم بشئ فعند ذلك قالت له زوجته خذه وروح به الى الفران وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل له من ذا الوقت لا تحط فى طاجننا حد يخوفنا ويشوش علينا قال فمسك الرجل من يده وتوجه به الى الفران وأعلمه بالقصة فعرف الفران الامر وتحقق القضية فقام وعمل أنه يضرب الرجل وقال له أنا وضعتك فى طاجن اللحم خالفتنى ونزلت فى السمك ان بقيت تخالفنى أشوش عليك ونضربك فقال الرجل للفران يا سيدى ما عدت أخالفك أبدا الطاجن الذى توضعنى فيه لا أطلع منه أبدا ثم ان الفران قال لزوجها أخبر زوجتك انى شوشت عليه ولا بقى ينزل فى طاجنها أبدا قال فمضى زوجها وأخبرها بالقصة ففرحت وقالت ان عاد يحط لنا حد فى طاجننا ما بقينا نطبخ عنده شئ أبدا ثم تركها زوجها ومضى الى أشغاله فانظر الى هذا التغفل العظيم (ومن العجائب) أن بعضهم صاد سمكة فرأى مكتوبا على جانبها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فأطلقها لاجل كلمة التوحيد والشهادة (وأعجب من هذا) أن بعض الاولياء كان فى سفينة فهاجت الريح وأشرفت السفينة على الغرق فقال هذا الولى اسكن أيها البحر فانما على ظهرك بحر مثلك أى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم انك ولى وبحر فى العلوم والمعرفة ولكن أنا أسألك عن مسئلة أترتجوابها قال قولى فتكلمت السمكة بلسان فصيح وقالت له اذا مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء أم عدة الاموات فتحير الشيخ فى أمره

ولم

ولم يرد لها جوابا فقالت السمكة أين دعوالك فى بحر العلوم فقال انى أستغفر الله مما قلت فأرشدينى الى الصواب فقالت له ان مسخ جمادا تعتد عدة الاموات وان مسخ حيوانا تعتد عدة الاحياء ثم انها غابت فى البحر فتاب الولى من دعواه ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه أنه يقبل التوبة عن عباده فسبحان القادر على كل شئ وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى وبذكر قصة الفران والسمك تذكرت أن حفظ الوداد قليل فى الناس ويعجبنى قول بعضهم

لقد كان لى خل علمت ولاءه * وكان صدوقا فى المقال خليلا
فخان ودادى ثم أنكر صحبتى * فياليتنى لم أتخذه خليلا

وقال بعضهم
واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن فى فسادى

وقال آخر
لاضربن رحالى ألف مقرعة * حذا وأنصب آمالى على خشبه
لعشرتى لأناس لا خلاق لهم * بيض الثياب واقفال على خربه

(ومن كلام الامام الشافعى) رضى الله عنه
ابعد عن الناس كل بعد * مالم تكن بينهم مجمل * ولا تقل كان لى أيادى
عليهم فى الزمان الاول * المرء بين أهله كاليب * اذا رآوا ذيله مهلهل

وقال أيضا رضى الله عنه
لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

وقال بعضهم
ما فى زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان وفا
فعش فريدا ولا تركن الى أحد * انى نصحتك فيما قد جرى وكفى

ولابن عروس قطب بلاد المغرب
الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه   انى نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

وقوله (فى فرينه) أى فى فرن الناظم وصغره لأجل النظم يعنى أنه يأتى من الغيط أو الجرن فيراه فى فرنه حاضرا مطبوخا من غير أن يتكلف بصيده وتحويجه من الزيت الحار والبصل ونحو ذلك وقوله (ولو كان) هذا السمك الذى أتمناه (يا اخوانى) يخاطب به أصحابه وأحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبين وكل المؤمنون اخوان فى الله تعالى قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة (وفى الحديث) عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (وقال بعضهم) من فقد اخوانه

فقد فقد مروءته (قيل) أتى رجل الى المأمون فقال له أنا أخوك أعطني من بيت مال المسلمين ما يكفيني فقال له من أين أنت أخي فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فقال صدق الله العظيم وصدقت أعطوه درهما فقال ما هذا عطاء الملوك فقال له المأمون لو فرض أني فرقت بيت المال على اخوتك ربما يحصل لك أقل من ذلك فمضى الرجل ولم يظفر بشيء غير الدرهم وقيل زاده عليه وارتد شاكرا (وكان المأمون) يحب الحلم والعفو حتى انه كان يقول حبب الى الحلم حتى ظننت انى لا أثاب عليه (ومن حلمه) أن جارية من جواريه قدمت اليه طعاما مشويا في أسياخ من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فحرقها وأتلفها فنظر اليها فقالت والكاظمين الغيظ فقال قد كظمت غيظي فقالت والعافين عن الناس فقال قد عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين فقال أنت حرة لوجه الله تعالى وهذه ملكة عظيمة في الحلم والعفو لا يقدر عليها أحد رحمه الله وله أخبار كثيرة في ذلك وقوله (بلا تنضيف) أي ولو كان يجد هذا السمك في طاجن فرنه من غير غسل ولا تنظيف بالماء بل يرصونه في الطاجن بعظامه وبحوفه حتى يصير مثل المشوى في الجورة فيتمنى الاكل منه ولو على هذه الحالة لشدة فقره وقلة ما بيده وقوة شهوته للاكل منه وفي المثل الغريق يستند على القش وفي مثل آخر بطنه ولا غسيل البرك فعلى كل حال انه يسد جوعه ويقضي شهوته فالشخص اذا اشتهت نفسه شيأ ولو حقيرا متى وجده كان عنده عظيما وأكل منه أكلا زائدا فان الشهوة البهيمية ترمي صاحبها الى أخبث المأكول فكل من أطاع نفسه وهواه خسر قال سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ان تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال صاحب البردة رحمه الله

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم

قيل ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب في المعاد وقيل مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة يشتهي أكل الهريسة ويخالف نفسه ويصبر الى أن حصلت له يوما وهو في الخلوة فتدبدها ليأكل منها فانشق حائط الخلوة وخرج منه شخص وقال له أف عليك يا عمر فقال ان أكلتها فاشهد انه تركها ولم يأكلها بقية عمره وخالف نفسه (ومن النكت المضحكة) أن بعض الفقراء كان له تلميذ وكان دائما يقول له خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فخالفها وكل غيره ولا تطعها أبدا فأتى لشيخه يوما طعام مفتخر ووضع بين يديه ووضع بين يدى التلميذ صحن عدس وكان الذى وضع بين يدى الشيخ أرز مفلفل بلحم ضان يقال لها قارش مارش فمد التلميذ يده وأخذ الصحن من قدام شيخه ووضع مكانه صحن العدس فقال له شيخه أما قلت لك خالف نفسك فقال له يا سيدى حدثتني نفسي أني آكل من الصحن العدس فخالفتها وأكلت من هذا اللحم الضاني بالارز المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل الشيخ يوما في الخلوة فوجد التلميذ يلوط بالولد فقال له ما هذه الفعال فقال له يا سيدى حدثتني نفسي وقالت لي نك الشيخ فخالفتها وفعلت في هذا الغلام فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله

ما أشقاك

ما أشقاه وما أخبثه فخرج من عنده ولم يعد اليه ثم ان الناظم اشتهى شيأ لم ير فى بلده الا يوم عيد النحر فقال

ص ﴿على من رأى فى التل كرش ملقح * ومن فوقه الدبان يعف عفيف﴾

ش قوله (على من رأى) رؤية بصرية كما تقدم فى غير هذا البيت (فى التل) أى تل بلده وهو الكوم العالى ويكون فى الغالب حول البلد لان كل من يكون عنده تراب أو رماد يكبه قدام داره بر البلد أمام بيته وجاره مثله وهكذا الى أن تتصل ببعضه البعض و يعلو ويكبر من كثرة ما يلقونه فوقه من القمامات وغيرها حتى يصير كوما عاليا يرى من بعيد وبجانبه أيضا المحلات خالية يشخون فيها جميعا نساؤهم ورجالهم وأولادهم وغالبهم يخرون فيها أيضا ثم ان النساء والرجال يصعدون اليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة عن الغبط والزرع والقلع والمجرل والجاموس وغير ذلك وربما وقع بينهم الشر عند الشخاخ فيقوم الشخص لخصمه وشخاخه فى جبته أو يسيل على ردائه حتى يغرق جبته ويضارب رفيقه ورداؤه عليه الخرا وهكذا ثم يؤل أمرهم الى الصلح أو القتل ونساؤهم على شكلهم عند قضاء الحاجة لا يتحاشون عن الكلام فى غزل الصوف والفول وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم ولا يقدرون عليها الا أن تكون فى دار الشاد بالكفر له ولجماعته يشخون فيها وقد قيل فى المعنى

سألت بنى الارياف ما البيوت لكم * مراحيض قالوا الامراحيض للقوم

فقلت فماذا تصنعوا فى زمانكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم أيضا العلية بكسر العين المهملة وتشديد اللام قال الشاعر

أتيت الكفر فى ضحوه * رأيت أهلو جميع شالوا وراحوا فوق علمه * عليها الكل قد بالوا

أى طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعا نساء ورجالا وأطفالا وتطلق العلية عندهم على الغرفة المبنية من الطين غير الطوب ولهذا يقال فلان اليوم فى العلالى أى أنه صار يجلس عاليا عن الناس وبقى له فى الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى قال الشاعر

جوز غزلان يا محلاهم * شافونى على القدم خذاهم متى يا زمان تجمعنا * فى العلالى أنا وإياهم

فان قيل ان الناظم قال فى التل فيفهم منه أنه يرى الكرش فى جوف التل فيكون متواريا عنه وأكد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبان) والدبان لا يسقط الا على شئ ظاهر لا على شئ مغطى مستور كما تقول فلان فى الدار أى فى داخلها فما الجواب (قلنا الجواب الشربينى) أن فى بمعنى على أى كرشا ملقحا على التل أو الكوم كما يقال فلان فى الجبل أى فوقه لا داخله لانه لا يستطيع أن يثقب الجبل ويدخل فيه أو أن حرف الجر على بابه ويكون قوله فى التل بمعنى أن فى جوف التل نقرة يشخون فيها ويرمون

فيها الكروش مثلا فصدق عليه أن الكرش فى جوفه وان كان ظاهرا يرى للناس فاتجه الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (كرش ملقح) أى كرش البهيمة التى يذبحونها يوم عيد النحر لانهم لا يرون اللحم الا فى هذا اليوم ولا يمكن أنهم يلقون الكرش على التل بل يأخذونه ويلقون ما فيه من التفل ويغسلونه ويطبخونه مع بقية سواقط البهيمة ويسمونه جغل مغل وله عندهم موقع عظيم وأما فى بلاد المدن فانه من الضان ويضيفون اليه الرأس والكوارع ويسمونه سقطا ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبرة والسلق ويصبون عليه الخل ويصيرله لذة عظيمة فيبيعونه بالرأس تارة ويدرجونه فى الكرش مغسولا نظيفا وتارة من غير الرأس وتارة بالكوارع وتارة بغيرها والرؤس يبيعونها مشوية وحدها والكوارع تصنع تسقية يبيعونها ويصبون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذة عظيمة كما هو مشهور فى بلاد المدن وأما أهل الريف فانهم يضعون جميع ذلك فى الدست او البرام ويضيفون عليه الكزبرة وقليلا من الشيرج ويقلون له بشئ من البصل أو الثوم ويأكلونه ولا يعرفون السمن ولا الحرارات ولا شيأ من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء ويأكلونه حكم المرقة والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور أى أن كرشه بارز ظاهر كما يقال للحائط اذا برزت منه حجارته عن سمتها المعتاد وآلت للسقوط حائط مكترش أى آيل للسقوط وفلان صاحب كرش أى كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما فان كرشه يظهر كبيرا خارجا وفى الحديث ان الله يكره الحبر السمين لكن هو ممدوح فى الغنم والبقر يقال كبش سمين ممتلئ شحما ولحما فاذا ذبح على هذه الحالة وأدرج رأسه فى كرشه يكون سقطه الذيذا عن غيره لسمنه وكثرة شحمه (ومن المناسبة) ان السلطان قزلباش أرسل الى السلطان قانصوه الغورى يهدده بهذه الابيات

السيف والخنجر ريحاننا * أف على النرجس والآس
شرابنا من دم أعدائنا * وكاسنا جمجمة الراس

(فاجابه يقول)

لله فى ملكه خاتم * تجرى المقادير على نقشه
لا تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من نبشه
مصارع البغى لها صولة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغى الكبش بشحم الكلى * أدرج رأس الكبش فى كرشه
ونحن ان لم نرج أو نبتغى * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما أرسله له السلطان قانصوه الغورى بل سار اليه بخيله وعسكره فتلقاه نائبه أى نائب الغورى ورده خائبا وألقى الله كيده فى نحره ولم يفده ما نصحه به السلطان الغورى من قوله لما طغى الكبش بشحم الكلى الخ وهذا مثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما أخذه الله تعالى بغتة وفى الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وحلمه

أن يرى كرشا مرسيا على التل أى الكوم غفل عنه أصحابه وتركوه نسيانا وذهولا أو أن الشاد بالكفر ذبح كبشا وألقى كرشه على التل فان أهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد لا يتركون منها شيأ ويأخذون كرشها وجميع حوائجها يطبخونه ويأكلونه فالناظم ترجى ان الدهر يغلط يوما ويرى هذا الكرش الذى تمناه وطلبه واشتهاه لكونه لم يقدر على مشاركة أهل الكفر فى بهيمتهم (لو كان من (فوقه الدبان) وهو الذبان وانما استعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على ألسنتهم ومفرده دبانة ودبون مفرد الذكور منه والدبان على وزن الخرقان أو الجديان والدبون على وزن المعون أو المأبون قال بعض الشعراء موالياً

في خاطري يامليح لو كنت دبانه * واحط فوق شفتك وتنش اقول دانه
على وبابو حسن لك عين نعسانه * غيرى يواصل وانا اجى لك تقول نانه

(فائدة) للذباب خواص كثيرة ومنافع مذكورة فى بعض الكتب منها أنه اذا أخذت ذبابة وربطت وهى حية فى خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت وعلقت على من يشتكى الرمد خففت عنه (وسئل) بعض الفضلاء لاى شئ خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه (وكان المشركون) يطلون أصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذباب فانزل الله تعالى فى كتابه العزيز توبيخا لهم ولاصنامهم ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (والذباب) له أعداء كثيرة منها حيوان صغير يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت الصغير الا أن فمه واسع وأرجله قصيرة عن أرجل العنكبوت يأخذ الذبابة بسرعة فى فمه ويلقيها فى شئ يخرجه من فمه كنسج العنكبوت فلم تزل معلقة فيه الى أن تموت وذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به فى المنن أن زوجته أم عبد الرحمن أصابها مرض شديد أشرفت به على الهلاك فدخل يوما بيت الخلاء فسمع هاتفا يقول له خلص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلص زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع حس الذبابة فتحايل وخلصها فخلصت زوجته فى الحال وشفاها الله تعالى وقوله (يعف عفيف) أى يتراكم على بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها ويعف بكسر الياء المثناة من تحت وكسر العين المهملة يقال عف الذباب على الشئ اذا سقط عليه وكثر وتراكم بعضه على بعض وأما بفتح المثناة وضم العين فمن العفة يقال عف الرجل عن الشئ بمعنى كف عنه ثم ان الناظم أخبر عن كيفية أخذه وأكله فقال

ص ﴿دنا ان شفته خدته بحا لوسلقته * وكلته بتلوما أرى تقنيف﴾

ش قوله (دنا ان شفته) أى اذا من الله على ورأيته ملقيا على التل (خدته) أى آخذته فحذف الهمزة وأبدل الذال المعجمة دالا مهملة جريا على اللغة الريفية (بحالو سلقته) بمعنى أنى ألقيه فى الدست

او البرام وألقى عليه الماء لا غير وأسلقه من غير تقلية ولا تشريح وغير ذلك لشدة فقره وعدم ما في يده
وقوله (وكانو بتفلو) أي بما في جوفه من المريء ولو أنه نجس مبالغة في الاشتهاء له وشدة الحاجة اليه
وهذا يعاير به الرجل الأكول عندهم فيقال فلان يأكل كرش بخراه مثلا ومن ذلك ما اتفق أن رجلا
من أهل الريف طلع مصر يبيع جانبا من البيض لاجل غلاق ما عليه من مال السلطان فباعه
وتوجه الى بلده فرأى بين القصرين كروشا تباع فقال لنفسه خذلام معيكه بجديد وكل أنت الآخر
بجديد ولو انكسر عليك مال السلطان وأعطى بياع الكروش الجديدين وصار يقطع له مما يباع لاقطاط
وهو يأكل من غير ملح وأخذ بالجديد الثاني قطعة كبيرة وزاد له عليها كبدة وروبة وهي النشة ولف
ما أخذه في شدة الذي فوق رأسه وربط عليه وكانت الفلوس التي باع بها البيض مربوطة أيضا على
الشد ثم انه سافر الى أن مر على قرية في الطريق فرأى شجرة فجلس يستريح تحتها فضربه الهواء
فرقد فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذي على رأسه فخطف الشد بما فيه وطلع الى سطح في القرية
فقام يجري خلفه ويصيح ودخل الدار التي طلع الكلب في سطحها فرآه النسوان مكشوف الرأس
في هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد في القرية فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه أهل
الخير وأطلقوه فمن عدم ذوقه وشدة جهله ضيع الفلوس وأكل الضرب ورجع الى أهله خائبا تائبا وقوله
(ما أرى تقنيف) يعني أني ما أستنكف عن أكله لكونه فيه التفل أولان جوانبه فيها النجاسة مثلا فان
نفسي تطيب لأكله ولا تمتنع منه وفي القاموس الازرق والناموس الابلق ان التقنيف مشتق من
القنف وهو المنع عن الشيء كما يقال أنت قنف أو فلان يتقنف أو من القناقة بضم القاف وهي
التي توضع في خرق الناف الذي على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قناقة
قال الشاعر لقد خف مني العقل حتى كأنني * أحاكي في الافعال قناقة البقر
ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملقي على التل أو الكوم ترجى من الله تعالى أن يبلغه مناه وأنه بعد
مدة ان طال عمره يروح المدينة ويشبع فيها من أكل الكروش وغيرها من الترمس والمقلي فقال
ص ﴿أيا ان عشت لأروح المدينة واشبع * كروش ولو أني أموت كفيف﴾
ش قوله (أيا ان عشت) من المعيشة وهي قوام الجسد وانتعاشه من المأكل والمشرب أي ان طال
عمري وكان فيه تأخير في علم الله تعالى (لأروح المدينة) والمراد بها مصر حرسها الله تعالى وأدام
سرورها بأهلها وأبد نعيمها بسكانها وحرس علماءها الاعلام وأمراءها الكرام لانها مدينة
الانس والصفا والسرور والوفا خص الله نساءها بالحسن والجمال والبهجة والبهاء والكمال
وطيب المعاشرة ولطف المذاكرة كم عاشق بحسنهن افتتن ومن لم يتروح مصر فليس بمحصن
وملاحها الولدان كأنهم الغزلان أو قضبان البان لا يوجد مثلهم لا في الروم ولا في العجم ولا في
العراق ولم ير ألطف منهم في العشرة باتفاق كما قلت في هذا المعنى موشحا

أمّ دلامة فقالت له زبيدة يا أمير المؤمنين مالي أراك حزينا فأخبرها الخبر فضحكت وقالت الآن خرجت أم دلامة من عندي لتجهيز أبي دلامة فضحك هو أيضا وقال والآن خرج من عندي أبو دلامة لتجهيز أم دلامة قال الفضل فخرج علينا الرشيد مسفرا مستبشرا مستغرقا في الضحك فعجبت منه كيف دخل حزينا وخرج مسرورا فاستخبرته فأخبرني بما حصل فشفعت حينئذ في الحجام فقبل شفاعتي وأطلقه واستحضر أبا دلامة وقال له ما حملك على هذا فقال له يا أمير المؤمنين لكي يقال انه لا يتوصل الى عطاء أمير المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعا من ظرافة حيلهما وقد علمت أن المزينين أقل الناس عقولا وأفسدهم رأيا فلا ينبغي لعاقل أن يطلعهم على أسراره ولا يشاورهم في أمر من أموره فانهم لا يحفظون الاسرار ولا يكتمون الاخبار فالاولى اجتنابهم وعدم الركون اليهم واذا احتاج الانسان الى المشاورة فليشاور حكيما عليما خبيرا قد جرب الامر فان المشاورة مطلوبة شرعا قال العلامة البلقيني في تفسيره أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه وهو غني عنها فقال تعالى وشاورهم في الامر وهو تشريع للأمة وقد أثنى الله على عباده بالمشاورة فقال تعالى وأمرهم شورى بينهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كانت أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كانت أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها رواه الترمذي عن أبي هريرة وأنشد أبو القاسم الحبيبي قال أنشدني أبو عثمان

اذا كنت في حاجة مرسلا * فأرسل لبيبا ولا توصه
وان باب أمر عليك التوى * فشاور حكيما ولا تعصه
ونص الحديث الى أهله * فان الامانة في نصه
اذا المرء أضمر خوف الاله * تبين ذلك في شخصه

وأنشد أبو القاسم الحسن قال أنشدنا أبو بكر محمد بن المنذر قال أنشدنا أبو سلمة المؤدب

شاور صديقك في الخفي المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل
فالله قد أوصى بذاك نبيه * في قوله شاورهم وتوكل

وقال يحيى البرمكي ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب والرسول وسمع أبو الاسود الدؤلي رجلا يقول

اذا كنت في حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه

فقال قد أخطأ قائل هذا البيت أيعلم الرسول الغيب وان لم توصه أنت فكيف يعلم ما في نفسك ثم انه قال

اذا أرسلت في أمر رسولا * ففهمه وأرسله أديبا
ولا تترك وصيته بشيء * وان هو كان ذا عقل أريبا
فان ضيعت ذاك فلا تلمه * على أن لم يكن علم الغيوبا

الانطباع وقلة الامتناع لفظهم ألطف من النسيم ورضابهم أحلى من التسنيم كما قال الشاعر

ما مثل مصر في الورى بلدة * سكانها ترتع في نعيمها
نسيمها ألطف شئ في الورى * وأهلها ألطف من نسيمها

وقوله (وأشبع) الشبع هو امتلاء المعدة بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسى وهو ما تقدم وعلى المعنوى وهو الغنى بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان أى استغنى بعد فقره وشبع بعد جوعه خصوصا اذا ذاق التعب والنصب أول زمانه وأفاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيرا ويقال فى المثل هذا محدث النعمة لانه لم يعرف قدرها ولم يصرفها فى مصارفها وانما جن به الدهر حتى نال هذا الامر قال الشاعر

مستحدث النعمة مستودعها * عيناه مملوأتان فقر جن به الدهر فنال الغنى * يا ربه ان عقل الدهر

وأما اذا عرف الشخص ما أنعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم فعل الخير وأحسن وتصدق فهذا هو المطلوب والامر المحبوب وقوله (كروش) جمع كرش أى ان بلغت المدينة لا بد أن أشبع من الكروش التى تسلق وتباع وأقضى مرادى وبغيتى منها (ولو أنى) بعد شبعى من الكروش المذكورة وقضاء شهوتى (أموت كفيف) أى أعمى يقال كف بصره اذا حصل له العمى وفى الحديث القدسى ان الله تعالى يقول اذا أخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة وهو حديث حسن رواه الترمذى عن أنس وقال الابوصيرى الاديب

اذا رمدت عيناى قل مسامرى * وقلت أحبابى من الحى والحمى
يقولون ان عوفى ملقناه ساعة * وان كف جئنا كى نهنيه بالعمى

لان الارمد مريض لا يزار فاذا عمى يقولون له أنت بقيت من أهل الجنة وحصل لك الخير ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الآن وفى الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها أجر عظيم وفضل جسيم خصوصا اذا كان فقير الحال فانه فى حكم الميت لا محال قيل وجد مكتوبا على تاج كسرى أنوشروان هذه الكلمات العدل اذا دام عمر والظلم اذا دام دمر والفقر هو الموت الاحمر والاعمى ميت وان لم يقبر ومن لم يترك الذكر لم يذكر وما ابتلى الله عباده بشئ أضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى كما فى المثل أعمى قال لاعور كأس العمى مر فقال الاعور نصف خبرك عندى وفى المثل الآخر الاعور الممقوت بين أهله أحسن من الاعمى على كل حال وقوله كنيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا طلعت ذقنه وكان يشتهى الخنات أو يكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق ذقنه ويحسن للفاسق نفسه وينتف أصول شعره باظافيره أو يلقطه بالملقاط فان الامرد ما دام خالى العذار يميل النفس اليه واذا التحى قل منه الوفا وصار وجهه كالقفا قال الشاعر

التحى الامرد الذى * كان فى التيه مسرفا حسنا كان وجهه * وسريعا تصحفا

فسرّ والله ناظري * مذ رأى ذاك واشتفا شكـر الله لحيـة * صيرت وجهه قفا

وقال آخر سلب الناس بالمحاسن حتى * أذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ومن العشاق الوقحاء من يميل الى أصحاب اللحاء قال الشاعر

بلوطيّ يدعي عاشق المرد في الورى * ويدعى بزان من يحبّ الغوانيا
فقالت لاصحاب اللحاء تعففا * فما أنا لوطـي وما أنا زانيا

وبعضهم يميل طبعه الى الشيوخ ويرى أن قول العذول فيهم منسوخ قال الشاعر

أهوا مطفلا في القماط وأمردا * وبلحيـة واذا علاه مشيب

وقال بعضهم تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أخو العذل يدري ما رادمن التقى * أمنت عليه من حسود ومن ضد

والعشق مراتب وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكل هـذا من الانهماك على الشهوة والحول في العشق والمحبة والا فالعاشق الظريف لا يهوى الا الشكل اللطيف المناسب للتعنيق والبوس وكلها غرامة فلوس ثم ان الناظم بين كيفية أخذه الكروش من المدينة من ثمن غزل العجوز وهي زوجته واسمها قطيعة فقال

ص ﴿ وآخذ من غزل العجوز وأبيعو * وآكل بحقو ياابن بنت عريف ﴾

ش قوله (وآخذ من غزل العجوز وأبيعو) المراد به غزل زوجته وكان اسمها قطيعة وقيل اسمها بعرة بنت قلوط والبعرة قريبـة من القلوط لانها بنتـه والقلوط أبوها فهو ملازم لها والفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة وعلى الخمرة فيقال لها العجوز أيضا والعذراء ولها أسماء كثيرة قال بعضهم

عجوز وعذراء فاعجب لها * تنادى بأسمين من كل واسم

وفي الكلام تقديم وتأخير ومعناه اذا عشت لأروح المدينة وآخذ معي غزل العجوز وأبيعه فيها (وآكل بحقه) كروشا ونيرها ولو أني بعد ذلك أموت كنيفا لاني اذا قضيت مرادي وعشت بقية العمر أعمى لا أبالي بعـد قضاء شهوتي وحصول ما كنت أرجوه من الله تعالى (يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلا من أهالي الكفر قيـل انه من أقاربه وقيـل من أصدقائه والمعنى انه يبث اليـه الشكوى مما ناله ويقول له لابد انك تفرح لي اذا طال عمري ورحت المدينة وشبعت فيها كروشا وأرجع اليك وهذا يدل على انه صديق له وصداقته مؤكدة حتى انه خاطبه من دون أهل الكفر فان الشخص لا يشكو حاله الا لصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويحمل عنه الهموم أو يواسيه اذا كان متيسرا من الدنيا ويسليه بالمحادثة ونحوها قال الشاعر

ولا بدّ من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وقال ابن عروس

أوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه للى يريدك الحمل اذا تفرق انشال * وان تم راقد يكيدك

وابن بنت عريف هذا اسمه على ما قيل خرا الحس واسم والده فسا التيران وسبب تسميته فسا التيران أنهم كلما ربطوا التيران على الطوالة يقف فى وسطها ويفسو فيها لانه كان كثير الفساء فيشم من يقرب به رائحة الفساء فيقول له أنت فسيت فيقول له هذا فسا التيران فسمى بذلك وأما جده لامه فيسمى عريف لاحد أمور قيل انه كان يعرف الاولاد طريق المحلات التى تحت التل يشخون ويخرون فيها وقيل كان يعرف تغريبة بنى هلال وما وقع بينهم وقيل كان له معرفة ودراية فى ضرب الفرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزمارة ونحو ذلك وقيل انه كان يعرف الشاد أمور البلص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا صورة عوائد فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما أنه يطلق هذا اللفظ على من يقيمه مؤدب الاطفال فى الكتاب يعرف الاولاد أحوال القراءة ويعرف أيضا الفقيه عن أحوالهم فى غيبته كما هو مشهور فى بلاد المدن وغيرها فان كل كتاب لا بد له من عريف على ما جرت به العادة قال العلامة البلقينى الشافعى فى تفسير قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء فى حديث الاعمى والاقرع والابرص روى أن ثلاثة من بنى اسرائيل أحدهم أبرص والثانى أقرع والثالث أعمى أراد الله تعالى أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص فقال أى شئ أحب اليك قال لون حسن وجلد حسن فقد قذرنى الناس فمسحه بيده فذهب البرص وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا فقال أى المال أحب اليك قال الابل فأعطى ناقة عشراء وقال بارك الله لك فيها وأتى الاقرع فقال له أى شئ أحب اليك قال شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قد قذرونى الناس منه فمسحه فذهب وأعطى شعرا حسنا قال فأى المال أحب اليك قال البقر فأعطاه بقرة حاملا وقال بارك الله لك فيها وأتى الاعمى فقال أى شئ أحب اليك قال أن يرد الله الى بصرى فأبصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فأى المال أحب اليك قال الغنم فأعطاه شاة فأنتج هذا وولد هذا وهذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم ثم انه أتى الابرص فى صورته وهيئته فقال له من أنت قال رجل مسكين قطعت بى الجبال فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا أتبلغ عليه فى سفرى فقال ان الحقوق كثيرة فقال كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه وأتى الاقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لذلك ورد عليه مثل ما رد على الاول فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه وأتى الاعمى فى صورته وقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بى الحبال فى سفرى فقال قد كنت أعمى فرد الله بصرا

وفقيرا

وفقيرا فأغناني فخذ ما شئت فوالله لا أمنعك اليوم شيأ أخذته فقال أمسك عليك مالك فانما ابتليتم فقدرضى الله عنك وسخط على صاحبيك فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمة وطيش بالرياسة كما قال بعضهم

أقول لمن قد طيشته رياسة * تمهل رويدا فيك قد غلط الدهر
وما سدت عن علم ولا عن فصاحة * ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر
تأني يراجع فيك دهرك عقله * فما سدت الا والزمان به سكر
ولكن سيصحو الدهر من بعد سكره * ويسقيك كاسات مذاقتها الصبر

وقال آخر مخمسا

رئستم بلا حلم وعلم ولا ولا * وسدتم بلا أهل وفضل ولا ولا
سأقسم بالله الذى خلق الملا * يمينا لقد نجستم رتب العلا * وألبستموها بعد عزتها ذلا
فيا الدهر أنتم عظماؤه * وأنتم أراضيه وأنتم سماؤه
فلو كنت ممن لا يرد قضاؤه * صفعت زمانا أنتم رؤساؤه * بنعل ولكن صنعه بكم أولى
فطوبى لعبد يكتفى بذهابكم * وويل لحر يشتفى بايابكم
أقول وقلبى ما لكم وازدرى بكم * لقد خاب من يسعى لنحو جنابكم * كما خاب من فى عشقه خان أو زلا
فبعدى عن الاوطان صفو لبنيتى * وفقد الذى أهوى وعظم بليتى
وهتكى وتعذيبى وقرب منيتى * فذا مرادى واعتقادى وبغيتى * ولا يجمع الرحمن لى بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شئ آخر فقال

ص ﴿وأسرق من الجامع زرابين عدة * وآكل بها من شهوتى فى الريف﴾
﴿وأشبع من الترمس وآكل مقيلى * والفول بقشره وما أرى توقيف﴾

ش هذا الكلام كله من بقية كلام ملابن بنت عريف المتقدم ذكره أى انه يقول أنا اذا طاعت المدينة وبعت غزل العجوز وأكلت بحقه كروشا وقضيت شهوتى من الكروش المذكورة ورأيت الترمس والمقلى الذى اشتهيته ولم يكن معى شئ من الدراهم فحينئذ أدخل بعض الجوامع التى فى أطراف حارات المدينة التى يصلى فيها أهل الرياقة لان الزرابين لا تكون الا بارجل أهل الريف لان المراد بها المراكيب وهى جمع زربون على وزن محون أو مأبون وهو المركوب الذى يمشى به الفلاح ويسمونه أيضا جوادا وترجيلا (وأسرق) والسرقة حرام منهى عنها قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما * اى اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار مالم يكن له فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور فى كتب الفقه وأباح الله تعالى قطع يد السارق نكالا له ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها الخيانة وذلها كتب رجل لبعض العلماء ما نقله

يد بخمس مئين عسجد فديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار

فاجابه بقوله

عز الامانة أغلاها وأرخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

أي ان هذه اليد لما تعدّت على مال الغير وأخذته وخانت الامانة أرخص الله قدرها وأباح قطعها بذل الخيانة فهي حكمة للباري جل وعلا وحدودا أوجبها على خلقه من أمر ونهي وغير ذلك وقوله (من الجامع) والمراد به المسجد وسمي جامعا لانه يجمع الناس للصلاة والعبادة ونحو ذلك ومسجدا للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها المراكيب والتراجيل (عدة) يعني كثيرة لان سارق المراكيب يحتاج الى زيادة معرفة في السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهي أن يتقرب من صاحب المركوب ويوهمه انه يريد الصلاة بل ربما وقف بجانبه وصبر عليه الى أن يخر للسجود لعلام الغيوب فيأخذه والآخر المركوب وأما قلة الدين فانه لا يعرف الصلاة ولا يدخل الجامع الا للسرقة فقط وربما كان جنبا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشون عن هذا الامر ولا يعرفون الصلاة ولا العبادة وغالبهم لا يدخل الجامع الا لعزله الصوف والقمل أو لحساب المال أو ليستظل فيه أوان الحر وربما ربط فيه العجلة أو البقرة ويجعلونه في الغالب محلا لمحادثتهم في الغيط والخط والزرع والقلع ويصير لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كأنهم في زريبة بقر والناظم كان منهم لا محالة فلهذا نسب نفسه للسرقة وقال لابن نت عريف المتقدم ذكره اني اذا طلعت المدينة وأكلت بحق العزل كروشا ولم يبق معي شيء أتلصص وأتبسبس واسأل عن بعض الجوامع التي بأطراف حارات مصر وأسرق منها المراكب (وآكل بها) في كلامه هذا تورية اما أنه يبيعها ويأكل بثمنها أو أنهم يصدقونه حل خطفه فيمسكونه ويلطمونه بالمراكيب التي خطفها علقة فيكون هذا أكل معنوي فانه في الغالب ان سارق الزرابين اذا وقع في أيديهم يقطعونها على أحبال رقبته يقال فلان أكل علقة الموم بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على أحبال رقبته فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة ودراية بالامور وان كانت أرذل السرقات قيل مرّ بعض الحذاق من اللصوص على بعض التجار وهو جالس في حانوته وبجانبه نعل له فاراد هذا اللص أخذه فجاء بجانبه بخفة وحط رجله اليمنى في واحدة وأراد أن يحط رجله اليسرى في الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص وتوارى بعيدا بحيث لا يراه التاجر ولم يأخذ الفردة الثانية من نعله فقال لغلامه أين الثانية فقال له لا أدري قال قد سرقت فقال له خذ هذه وامض الى فلان وقل له يصنع واحدة مثلها فاخذها الغلام ومضى وسبقه اللص حتى عرف الرجل الذي دفعها له فلما رجع الغلام لسيده أتى اللص ومعه الفردة التي أخذها وقال للرجل لا تصنع للتاجر شيأ فانه لقي الفردة الثانية وأراها له وقال له هات الاخرى فاعطاها اياه فأخذ الاولى بالسرقة والثانية بالحيلة فلما جاء غلام التاجر يطلبها أخبره بالقضية فرجع وأخبر سيده فتعجب من حذق اللص وفعله وقيل طلع الابوصيري الاديب الى مصر وذهب الى سوق المراكيب تحت الركن يشتري له مركوبا فوقف على دكان فقال له بياع المراكيب عندي مركوب أحمر مثل وجهك ياشيخ العرب فالتفت له الثاني من البياعين وقال له عندي مركوب مليح وحياة رأسك وصار الجميع

يسكتون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا من كلامهم وقال لهم يا مشايخ السوق أنا رجل غريب وأنتم تتوصوا بي فان جماعة أخبروني أن المراكيب اليوم كثيرة ومن رخصها على أفنية أصحابها فقال الكل خلاص ثاره منا جميعا بما قاله بلطافة ثم قالوا والله بالله أنت الابوصيري قال نعم فاكرموه وأعدوه مركوبا أحمر من غير شئ فاخذه ومضى حتى دخل على البدري العودي رحمه الله تعالى رئيس مصر في الدخول فأشار اليه وفي رجله المركوب قال له وجهك أحمر يا أبوصيري فقال له نكت بدري ودخلت الحمام فكان الجواب أظرف من السؤال وعما مدح به البدري قول الابوصيري المذكور حيث قال

البدري كمل بالدخول * وفيه انطوى واندرج بوابه حلف بالطلاق * من يوم دخل ما خرج

والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا في شعر المتقدمين والمتأخرين واستعملها المتنبي في مواضع من شعره (قال ابن خلكان) رحمه الله تعالى جاءني صاحبنا جمال الدين الاردبيلي الاديب المجيد في صناعة الالحان وغيرها وأنا في مجلس الحكم بالقاهرة المحروسة وقعد عندي ساعة وكان الناس مزدحمين لكثرة أشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم أشعر الا وغلامه حضر وفي يده رقعة مكتوب فيها هذه الابيات

يا أيها المولى الذي بوجوده * أبدت محاسنها لنا الايام
اني حججت الى مقامك حجة الاشواق لاما يوجب الاسلام
وأنخت بالحرم الشريف مطيتي * فتشرفت واشتاقها الاقوام
فطلبت أنشد عند نشداني لها * بيتا به وفي القريض امام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لي أنه لما قام من عندي وجد مداسه قد سرق فاستحسنت منه هذا النظم انتهى كلام ابن خلكان والبيت الاخير الذي تمثل به هذا القائل لابي نواس من قصيدة مدح بها الامين محمد بن هرون الرشيد أيام خلافته أولها

يا دار ما صنعت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام

ويقول من جملتها في صفة ناقة

وتجشمت بي هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرأة اقدام * تذر المطي وراءها فكأنها
صف تقدمهن وهي امام * واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

(قيل) سرق رجل مركوبا وأعطاه لولده يبيعه فسرق من الولد فقال له أبوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برسماله فقال هذا رسماله السرقة فقال الولد وقد سرق مني لا خسرت ولا كسبت فضحك عليه أبوه وخلى سبيله وقيل سرق باب دار أبي سالم القاضي فجاء الى باب المسجد وقلعه فقالوا والله ما الذي تصنع فقال أقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابي وقيل كان مع أبي جحا روحتان وكانت أم جحا

ماتت فخرج أبوه يريد السفر فلما خرج من باب الدار تذكر أنه نسي مركوبه فصاح على ولده يا بجاهات المركوب فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا ما الخبر فقالا له يا بجاما يقول أبوك فقال يقول لك زوجات أبيك في غيابي فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا أنتم منه وصدقوا ثم قال له الواحدة يا أبي والا الاثنين يعني أجيب فردة من المركوب والا الاثنين فقال بل الاثنين فقال صدقتم الكلام فظنوا أنه يقول له بل نك الاثنين وما مراده أبيه الا المركوب فواقع فيهم بالنيك الى أن حضر أبوه (وقيل) جلس العيني في محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من أعيان الناس فقال له يا سيدي يقولون ان أهل مصر عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادي أرى الامر عيانا فبينما هو يكلمه اذ مر بياع الفول الحار وهو ينادي عليه فقال العيني هل في مصر أحذق من هذا قال الرجل الشامي لا قال اصبر حتى أبين لك حذقه ثم ان العيني ناداه فطلع اليه ومعه الفول والعيش فقال له مرادي فول حار ولكن ما عندي دراهم وما عندي الا فردة مركوب تعطيني بها فقال له الرجل يا سيدي كل شئ جبته أطعمنا لبه قال فضحك العيني وتعجب الشامي من حذقه وأنعم عليه ومضى الى حال سبيله ومن التورية قول بعضهم هجوا في رجل اسمه عوض ما لفظه فقال

سرموجتي قد سرقت * وضاق بي رحب الفضا أتيت للسرو ضحى * أخذت عنها عوضا

وقوله (من شهوتي في الريف) أي شهوتي التي اشتهيتها وهي أكلي من الكروش وشبعي منها الاني ما وجدتها في الريف فاذا طلعت المدينة وعملت ما تقدم ذكره قضيتها وحصل لي المراد وقوله (وأشبع من الترمس) المراد به المملح بعد نقعه في الماء أياما فان أهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم أي يتنقلون به أيام الاعياد ويهادي به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع في بلاد المدن دائما وهو فاكهة الارياف اذا طلعوا المدينة يفتخرون بأكله هو والمقيلي وفي الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبي رحمه الله تعالى وهو أن من داوم على أكل الترمس كل يوم ملء كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد قوة وقوله (وآكل مقيلي) أي وأشبع من المقيلي وهو الفول المنبت المقلي بالنار ومن هذا سمي مقيلي وهو مشهور لا يحتاج للتعريف وقوله (وألفه بقشره) أي هو والترمس من شدة شوقي اليه لاني متى أردت تقشير الترمس والمقيلي طال على الامر لاني أحتاج الى أن أقشره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفي خاطري ولا مرادي وأيضا فان الناظم من أهل الريف وأهل الارياف يأخذونه بالكبشة ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره (ومن المناسبة) أن رجلا جلس هو وغلامه في محل ظلام يأكلان زبيبا فقال له سيده كل زبيبة زبيبة وأنا الآخر مثلك فلما فرغا من الاكل قال له سيده يا عبد الخير أنا طمعت عليك بقيت آكل اثنتين اثنتين فقال له يا سيدي ان كنت أكلت اثنتين اثنتين أنا بقيت أسف سفا والعرب من عاداتهم انهم يأكلون الزبيب بالكبشة والتمر بالحسة ويجدون في هذا الفعل لذة وحلاوة قال الشاعر

هنيئا

هنيأ لاصحاب البيوت بيوتهم * وللآكلين التمر أخماس أخماسا

وبعضهم يقشر الترمسي والمقيلي واحدة واحدة وأهل الارياف بخلاف ذلك ولهذا قال (ما أرى توقيف) يعني ما أتوقف في لفه بقشره ومراده باللف الاكل يقال فلان لف مترعد بمعنى أنه أكله كله وينصرف اللف لغير الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية تلفك مثلا ونحو ذلك ثم ان الناظم تمنى أن يأخذ له لبدة فقال

ص ﴿وآخذ لي لبده وكرمشنير * وأزل كما كاب ابن أبو جغنيف﴾

ش قوله (وآخذ لي لبده) هذا أيضا من جملة قوله لابن بنت عريف السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا أسعفني السعد في سرقة الزرابين وبعتها وأكلت ثمنها أكلا حسيا أو معنويا كما تقدم وبقي معي شيء ولو خمسة أنصاف أخذت لي لبدة جديدة بنصف من الخمسة (و) أخذت بالاربعة (كرمشنير) أي شدا حواشيه غزل أحمر فانه يسمى عند أهل الريف مشنيرا ولا يلبسه الا الاكابر منهم يقال فلان اليوم لابس لبده وكرمشنير يعني انه بقي من أكابر الكفر فالناظم تشوق الى هذا الامر بمعنى اذا طلع المدينة وهون الله عليه بسرقة الزرابين يأخذ ما في مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكرمشنير في قوة وشهامة مثل الكلب الآتي ذكره ولهذا قال (وأزل كما كاب ابن أبو جغنيف) وكاب ابن أبو جغنيف هذا كان مشهورا في الكفر بالقوة والشجاعة والنط على الكلاب وخطف العيش وأكل البيض فكان الشخص من أهل الكفر اذا أنعم الله عليه بلبدة وكرمشنير يقولون فلان اليوم أصبح مثل كاب ابن أبو جغنيف أي في القوة والشطارة والسرقة حتى ستر نفسه وكسى روحه وبقي من الاكابر كما أنك تشبه الانسان في الخسة بالكلب أو الخنزير فتقول أنت مثل الكلب مثلا وأبو صاحب الكلب كنى بأبي جغنيف أو جغناف أو جغنوف على ما قيل لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جغناف ثقيل الدم مهذار في الكلام من غير فائدة كما رأيته في القاموس الازرق والناموس الابلق (ومن المناسبة) لثقالة الدم وكثرة الكلام الحكاية المشهورة في كتاب ألف ليلة وليلة وهي ما اتفق ان رجلا من أكابر الشام صنع وليمة وخرج يدعو الناس لها فرأى شابا غريبا ظريف الشكل لطيف الذات بديع الحسن والجمال الا انه أعرج فدعاه الى الوليمة فاجاب ودخل به على الجالسين في منزله فقاموا له اجلالا وتعظيما لاجل صاحب المنزل فلما أراد الشاب ان يجلس رأى بين القوم انسانا صنعته مزين فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من المنزل فحلف عليه صاحب الوليمة وقال له ما سبب مجيئك معي ودخولك الى منزلي وما سبب رجوعك قبل فراغ دعوتي فقال له الشاب بالله يا مولاي لا تعترض علي فان سبب هذا كله رؤيتي لهذا النحس المزين قاتله الله تعالى فانه ذميم الخصال قبيح الفعال تعيس الحركة قليل البركة فلما سمع صاحب الدعوة والحاضرون كلام الشاب في حق المزين كرهوا مجالسته وقالوا له لابد والله ما بقينا نأكل حتى تذكر لنا ما وقع لك مع هذا المزين فانا كرهنا من وصفك فيه

فقال الشاب يا جماعة جرى لي مع هذا التعيس في بغداد بلدي حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر وسبب عرجي وكسر رجلي هذا المنحوس فحلفت أني لا أجالسه في مكان ولا أسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من أجله وسكنت هذه المدينة وهي أقصى البلاد وقد نظرته عندكم وأنا الليلة ما أبات الا مسافرا فقالوا له حدثنا ما جرى لك معه فأبى وأخواعليه هذا والمزين قد اصفر وجهه وأطرق برأسه الى الارض وأما الشاب فانه قال اسمعوا يا جماعة ان والدي كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدا غيري فلما كبرت وبلغت انتقل والدي الى رحمة الله تعالى وخلف لي مالا جزيلا وخدما وحشما فصرت ألبس وأتنعم وأنا في أهنا عيش فبينما أنا ذات يوم من الايام ماش في زقاق من أزقة بغداد اذ رأيت مصطبة فجلست عليها لاستريح واذا بصبية كأنها الشمس المضيئة لم ترعيني أجمل منها اطلت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلما نظرت اليها تبسمت ثم انها أغلقت الطاق ومضت فاشتعلت في قلبي النار وشغفت بحبها ومكثت قاعدا على المصطبة غائبا عن الصواب الى قريب المغرب واذا بقاضي المدينة راكب على بغلة وقدامه العبيد والخدم حتى أقبل على هذا البيت الذي فيه الصبية ودخله فعرفت انه أبوها فجئت الى بيتي وأنا مكروب وزاد علي العشق والهيام واعتراني الضنى فمرضت بحبها واستمريت على هذا الحال أياما وأهلي يبكون علي ولا يعرفون حالي الى يوم من الايام دخلت علي عجوز فلم يخف عليها أمري فقالت لي يا ولدي أنت ما فيك مرض غير أنك عاشق فقم واجلس وأطلعني على قضيتك وأنا أبلغك مرادك فأثر كلامها في قلبي وجلست وأخبرتها الخبر فقالت لي ما صفة الموضع الذي رأيتها فيه فوصفته لها وقلت لها ان أباها قاضي بغداد فقالت لي يا ولدي أعرفها وأعرف أباها وأنا أدخل عليها كثيرا لكن عليها الحجر من أمها وأبيها وانما أنا أسعى في اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الا مني فطب نفسا وقر عينا فلما سمعت كلامها وحديثها طابت نفسي للاكل والشرب وقلت لها اسعي وجميع ما تطلبيه خذيه مني فقامت من عندي وتوجهت اليها وجاءتني ثاني مرة ووجهها متغير وقالت لي كلمتها فشتمتني وأغلظت علي فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضي وصارت العجوز في كل يوم تعود لي فجاءتني يوما وهي تضحك وقالت لي هات البشارة قد طاب خاطر الصبية عليك لما ذكرت لها أنك مرضت بحبها ومن أجلها فقالت لي اقرئيه مني السلام وطيبي قلبه وقولي له ان عندي أضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجيء الى الدار وأنا أنزل أفتح له الباب وأطلع به عندي في الطبقة وأجتمع أنا واياه ساعة ويخرج قبل أن يعود أبي من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عني ما كنت أجده من الالم وفرح أهلي ولم أزل مترقبا يوم الجمعة حتى أتى واذا بالعجوز دخلت علي وقالت لي هيء نفسك واحلق رأسك والبس أحسن ثيابك وامض في الميعاد وأزل ما عليك من الاوساخ في الحمام فان معك في الوقت فسحة وخرجت من عندي فقلت لغلام من بعض غلماني امض الى السوق وائتني بمزين يكون عاقلا جيدا قليل الفضول في

ساعة وأتاني بهذا النحس لا كان الله له في عون فلما دخل سلم علي فرددت عليه السلام فقال لي
ياسيدي اني أراك ناحل الجسم فقلت له اني كنت مريضا فقال أذهب الله عنك البأس والاحزان
وجميع الآلام وأماط عنك الاسقام ولازلت بك الاقدام وعافاك الله وشفاك ولا شمتت فيك
أعداك وهناك بما أعطاك فقلت له تقبل الله منك دعاءك فقال لي أبشر يا سيدي فقد جاءتك العافية
ان شاء الله تعالى ثم قال لي تريد يا سيدي أن تقصر شعرك أو تنقص دما فانه قد روى عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروى عنه
أيضا أنه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب بصره فقلت له يا هذا قم الآن واحلق رأسي ودع
عنك الهذيان ولقلقة اللسان فاني ضعيف من أثر المرض فادخل يده في حومدانه وأخرج منديلا
كان معه ففتحه فاذا فيه اسطرلاب فأخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر
فيه ساعة وتأمل طويلا وقال اعلم يا سيدي وفقك الله وهداك ورعاك وعافاك وشفاك وهداك أنه
مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة ثامن عشر صفر الخير سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من
هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد خمسة آلاف سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام وثلاثة
آلاف وعشرين سنة من تاريخ اسكندر الرومي وأربعة آلاف سنة من التاريخ الفارسي والطالع في
يومنا هذا على ما أوجب في الحساب من المريخ ثمان درجات وست دقايق اتفق رب الطالع عطارد
والمريخ داخل معه في تسديسه على أن أخذ الشعر جيد ويدل ذلك يا مولاي أيضا على أنك تريد
الاجتماع بشخص والطالع في هذا الامر مفسود والحال فيه مذموم فقلت له يا هذا والله لقد أضجرتني
وضيقت منافسي وأصغرت روحي وفولت علي بفال غير حسن ولا محمود وما دعوتك للحجامة ولا
لشئ من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتأخذ شعري فافعل ما دعوتك له ومن أجله ودع
عنك ما لا أريد والا فاذهب عني ودعني أحضر لي مزينا غيرك فقال يا مولاي احمد الله أنت طلبت
مزينا فقيض الله عليك بمزين ومنجم وطبيب وعارف بصنعة الكيمياء والسيمياء والنحو واللغة والمنطق
والمعاني والبيان والبديع وعلم الحديث والفقه والتواريخ والحساب والصرف والعروض والانشاء
وقد قرأت الكتب ودرستها ومارست الامور وعرفتها ودبرت جميع الاشياء وركبتها وانما كان سبيلك
أن تحمد الله على ما أعطاك وتشكره على ما أولاك فقد قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وما أنا بحمد الله تعالى عاجز عن
الفضيلة حتى تقول لي هذا القول وانما أشير عليك اليوم أن تعمل ما أقول لك عليه في حساب
الكواكب فاني ناصح لك ومشفق عليك وأود لو كنت في خدمتك سنة لان حقك علي واجب وحق
أبيك من قبلك واجب ولا أريد منك أجرا ولو فعلت ذلك لكان أسر الاشياء الى قلبي وكل هذا لاجل
منزلتك عندي واكراما لوالدك رحمة الله عليه لان له عندي أيادي متقدمة وله علي فضل لا يحصى

لانه كان يحب خدمتي له وما كان يخدمه أحد غيري لما رأى من كثرة أدبي وقلة كلامي وحسن صنعتي وخفة يدي فلهذا كانت رغبته فيّ وكان يحبني كثيرا القلة فضولي لخدمتي لك فرض قال فلما سمعت منه ذلك الكلام قلت أنت اليوم قاتلي لا محالة من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال لي يا مولاي ومثلي من ينسب الى الهذيان وكثرة الكلام فوالله لقد كان والدك رحمة الله عليه اذا حضرت عنده يتمنى أن أتكلم بين يديه سنة كاملة ليقتبس من علمي ويلتقط من درر نظمي وفهمي وينظر الى حسن صنعتي ونحن سبعة اخوة الاول اسمه بقبوق والثاني اسمه الهدار والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسواني والخامس اسمه القشار والسادس اسمه الزعقوق وأنا لقلة كلامي سموني الصامت وان أردت أن أحكي لك عن أصلي وفصلي ونسبي وحسبي وما جرى لاخوتي الستة من أول الزمان الى آخره فاسمع ما أقول فلما أكثر عليّ الكلام وأطاله بلا فائدة أمرض قلبي وحسبت أن مرارتي قد انفطرت فقلت لغلامي ادفع له أربعة دنانير ودعه يروح عني لوجه الله تعالى فما بقيت أحلق رأسي في هذا اليوم فلما سمع ما قلته لغلامي قال لي هذا النحس الخبيث ايش يا مولاي هذا الكلام أعيان المسلمين تلزمني لا آخذ منك أجرة حتى أحلق رأسك ولا بد لي من خدمتك فانها واجبة عليّ واصلاح شأنك لازم لي ولا أبالي بعد ذلك ان أخذت منك شيأ أو لم آخذ فان كنت يا مولاي لا تعرف قدري وحقي فأنا أعرف حقك وقدرك لمقام والدك عندي فالله تعالى يرحمه ويطول عمرك فوالله لقد فجع الناس فيه وكان والله جوادا عظيما كريما حليما سخيا محبا لاخوانه أرسل خلفي مرة في نهار جمعة مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من أصحابه فقال انقص لي دما فأخرجت الاصطرلاب وأخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموما لاخراج الدم فأعلمته بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا الطالع وأقضي حاجة مولانا ففرح بكلامي وقال والله ان عندك فضيلة ولو كان أحد غيرك كان أخرج لي الدم وشكرني لجماعته وحكيت لهم حكايات ظريفة فعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب فأنشدت أقول

أتيت الى مولاي أنقص دمه * فلم أر وقتا يقتضي صحة الجسم
جلست أحدثهم بكل عجيبة * وبين يديه أنثر العلم من فمي
فأعجبه مني السماع وقال لي * تجاوزت حد الفهم يا معدن العلم
فقلت له يا سيدي الكل والورى * أفضت عليّ الفضل لا زلت في حلم
لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا في اللطف والجود والعلم

فلما سمع أبوك رحمه الله حكايتي وشعري طرب وصاح على الغلام وقال اعطه مائة دينار وخلعة فأعطاني ما أمر لي به ثم أخذت الطالع فوجدته جيدا فأخرجت له الدم ثم ان هذا النحس صار يزيد في كلامه وهذيانه فقلت لا رحم الله والدي الذي عرف مثلك قال فضحك هذا النحس من كلامي وقال

لا اله الا الله سبحان من يغير ولا يتغير ما أظن الا أن المرض غيرك لانى أرى عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم زاد عقلهم وما أظن الا أنك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ويروى عن أنس بن مالك أنه قال من أرضى والديه فقد أرضى الله تعالى ومن أسخط والديه فقد أسخط الله تعالى وقال الشاعر

وابى الفقير اذا ما كنت مقتدرا * على الزمان وللاحسان فاغتنم
الفقر داء دفين لادواء له * والمال زين يحلى أحسن الشيم
وافش السلام اذا ما جزت فى ملا * والوالدين فكن عونا لبرهم

(لكن ياسيدى) أنت معذور والله تعالى يقول ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وأبوك وجدك ما كانا يفعلان شيأ الا بمشورتى وقد قالوا فى المثل من لم يكن له كبير فليتخذ له مشير قال الشاعر

اذا ما عزمت على حاجة * فشاور كبيرا ولا تعصه

وما تجد أحدا أدرى بالامور منى ومع ذلك انى واقف بين يديك على أقدامى أخدمك وما ضجرت منك فتضجر أنت منى فقلت له ياهذا لقد أطلت على وأوجعت رأسى من كثرة الكلام فبالله عليك انصرف عنى وأظهرت له الغبن وأردت أن أقوم وقد دنا منى الوقت الذى أنا منتظره والوعد الذى أنا طالبه وأنا فى كرب من هذا النحس وكثرة كلامه فقال يامولاى أنا ما أعتب عليك أبدا وأنا متعجب منك الذى رأيتك بهذه اللحية وبالامس كنت أحملك على كتفى وأمضى بك الى الكتاب فقلت له بحق الله احلق رأسى وقم عنى قال فعند ذلك لما رآنى غضبت أخذ الموسى وسنه وتقدم الى رأسى وحلق منه بعض شعر ثم رفع يده وقال يامولاى ان العجلة من الشيطان والتأنى من الرحمن قال الشاعر

تأن ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وخير الامور ما كان فيه التأنى وأظنك مستعجلا وأنت قاصد حاجة وأنا أخشى أن تكون حاجة غير موافقة وأمرا غير صالح فأخبرنى فان وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده وأخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس وقال بقى لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله ياهذا اسكت عنى فقد ضيقت على الدنيا وقد زهقت روحى منك فتقدم وأخذ الموسى وحلق شيأ يسيرا ثم رماه وصار يهدر على فى الكلام الى أن مضى ساعتان وبقى ساعة واحدة وخشيت ان تأخرت عن الموعد لا أدرى كيف السبيل فى الدخول اليها فقلت له احلق رأسى بسرعة ودع عنك كثرة الكلام فانى أريد أن أتوجه الى دعوة عند بعض أصحابى فلما سمع هذا النحس بذكر الدعوة قال انا لله وانا اليه راجعون

والله ياسيدى ذكرتنى جماعة ضيوفا عندى ومرادى أصنع لهم طعاما وما عندى شئ وأنت تحضر لى بجميع ما أطلبه ولا أروح الا أنا واياك وتشرفنى اليوم فى محلى ووليمتى أحسن من وليمة أصحابك فقلت خذ ما تريد واحلق بقية رأسى ودعنى فى حالى فان الوقت ضاق ولا لى حاجة بالذهاب الى منزلك وأحضرت له جميع ما طلبه حتى البخور العود ومرادى أن الله يصرفه عنى حتى أمضى الى مطلوبى فقال لى ياسيدى وأنا الآخر عندى جماعة ملاح زيتون الحمامى وضليع الفامى وسلاطح الفوال وعكرشة البقال وسعيد الحمال وسويد العتال وحميد الزبال وأبو عكاش البلان وقنبر الخرفان ولكل واحد منهم قصة ان أردت أحكيها لك فأما حميد الزبال فانه يرقص بالطار ويغنى على المزمار وفى وصفه أقول

روحى الفداء لزبال شغفت به * حلو الشمايل كالاغصان ميالا
جاد الزمان به ليلا فقلت له * والشوق ينقص منى كلما زالا
أضرمت نارك فى قلبى فجاوبنى * لا غرو ان أصبح الوقاد زبالا

(فامض ياسيدى) معى الى أصحابى واترك أصحابك فرعا انك تمضى الى ناس يكثرون عليك من الكلام فيشوشون عليك وأما أنا فانى مثل اسمى صامت ولا أكثر الكلام وكذلك ضيوفى لا يتكلمون كلاما كثيرا فاذا توجهت معى اليهم تأنس بى وبهم فى هذا اليوم فى منزلى وانى خائف عليك من الذين أنت قاصدهم ربما يكون فيهم واحد فضولى فيوجع رأسك وأنت قد صغرت روحك من هذا المرض فقلت له غير اليوم فان مرادى أمضى الى أصحابى وامض أنت الى أصحابك فقال هذا النحس معاذ الله يامولاى أن أتخلى عنك وأدعك تمضى وحدك فقلت له ياهذا ان الموضع الذى أنا ماض اليه لا يحتمل أحدا يدخل غيرى فقال لى يامولاى أظنك اليوم فى ميعاد واحدة من أحبابك وأصحابك تريد الخلوة معها لاجل الحظ والخلاعة والانس والمنادمة والا كنت تأخذنى معك وأنا أحق من جميع الناس وأساعدك على ما تريد وأنا خائف أن تكون امرأة أجنبية مخادعة تحتال عليك وتعمل معك شيأ يروعك فان مدينة بغداد ما يقدر أحد أن يعمل فيها شيأ ووالى بغداد جبار وربما صادفك معها أو يخبره أحد بك فيرمى رقبتك فقلت له يا أخس الناس يامنحوس ايش هذا الكلام الذى تقابلنى به وقد ملأتنى غيظا وها هو قد جاء وقت الصلاة فلم يزل يلح على حتى فرغ من حلق رأسى فقلت له الآن امض الى أصحابك بهذا الطعام وأنا منتظرك الى أن تعود وتمضى معى ولم أزل اداهنه واخادعه وهو يقول لا أمضى الا معك ولا أدعك تروح وحدك حتى حلفت له انى أنتظره الى أن يعود وأمضى أنا واياه فأخذ جميع ما أعطيته له وخرج من عندى ثم انه أرسله مع حمال الى منزله وأخفى نفسه فى بعض الازقة وأما أنا فتفقدت من وقتى وساعتى وقد سلم المؤذن وضاق الوقت فلبست ثيابى وسرت مسرعا وحدى الى أن أتيت الزقاق ووقفت على الدار التى رأيت فيها الصبية وهذا التعيس المزين خلفى ولم أشعر به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنتظرنى فطلعتنى

الطبقة التي فيها الصبية فلم أشعر الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة ودخل القاعة وأغلق الباب فأشرفت أنا من الطاق ورأيت هذا المزين المنحوس قاعدا على الباب فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون من أين علم هذا النحس بي حتى ساقه الله تعالى الي لهتك ستري ثم ان صاحب الدار ضرب جارية من جواره فأتى العبد يخلصها فضرب العبد فصاح العبد فاعتقد هذا الكلب المزين الخبيث انه يضربني فصاح ومزق ثيابه ووضع التراب على رأسه وصار يقول قتل سيدي في بيت القاضي واسيداه واسيداه فاقبل اليه الناس من كل جانب وهو يصيح ثم مضى الى داري والناس خلفه وأعلم أهلي وغلماني وقال اهم سيدي قتل في بيت القاضي فجاؤني صارخين ناشرين الشعور وهو يصيح قدامهم الله ينصر السلطان القاضي قتل سيدي فسمع صاحب الدار ضجة الخلق والصراخ والعياط والناس يقولون له تقتل في دارك أولاد الناس والمزين يقول واقتيلاه واسيداه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون في وجهه وهذا النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال ياقوم ماهذه القصة فقال له المزين تقتل سيدنا في دارك وتسألنا ماهي القصة فقال له القاضي وأين سيدك حتى أقتله فقال له هذا الخبيث المزين أنت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن مابقي له حس وسبب ذلك انك قتلته فقال له هذا القاضي ومن أدخل سيدك في داري بغير اذني فقال له انه عاشق بنتك وقد دخل لها وأنت في صلاة الجمعة حكم الموعد الذي أوعدته به فلما جئت ورأيته ضربته وقتلته ومابقي يفرق بيني وبينك الا السلطان أو تخرجه من بيتك في هذه الساعة فقال له القاضي وقد اعتراه الحياء والخجل من الناس ان كنت صادقا فادخل أنت وأخرجه فنهض هذا الكلب المزين النحيس الشقي ودخل الدار فلما رأيته طلبت طريقا أخرج منها أو موضعا أهرب فيه فلم أجد غير صندوق كبير فدخلت فيه ورددت علي الغطاء وقطعت الحس وكتمت النفس فالتفت هذا النحيس الشقي الخبيث المزين فلم ير غير الصندوق في المحل الذي كنت فيه فأتى اليه وحمله على رأسه وقد غاب عقلي وخرج بي مسرعا فلما علمت أنه لا يتركني حملت نفسي ورميت روحي من الصندوق الى الارض فكسرت رجلي وخرجت فرأيت خلقا على الباب مثل التراب فصرت أنثر الدنانير على رؤسهم فالتهوا عني فحملني غلماني وعبيدي على عواتقهم وصاروا يجرون بي في أزقة بغداد وهذا النحس الخبيث المزين يجري خلفي ويقول الحمد لله ياسيدي الذي خلصتك من القتل وأنا وراءك لاتخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت القاضي وعشق النساء صعب وصار يشنع علي في الاسواق ويتكلم بالكلام الى ان أدخلني غلماني في خان فقلت للبواب بالله عليك امنعه عني فقام عليه البواب والغلمان وطردوه ومنعوه وقد زهقت روحي وأشرفت على الهلاك وأحضرت فقيها وكتبت وصيتي وأرسلتها الى أهلي وأخذت معي بعضا من غلماني وجانب دراهم وسافرت من بلدي بغداد وما دخلت منزلي من الفضيحة التي حصلت لي بسبب هذا الكلب وحلفت لا أسكن في بلدة فيها هذا النعيس المزين

فلما جئت الى بلدكم هذه أحضرت لى طبيبا وصار يداوينى حتى شفانى الله تعالى وحمدت الله على ذلك لكن حصل لى من ذلك الكسر عرج فهذا أول يوم خروجى من منزلى وقد لاقينى ودعوتنى الى وليمتك فلما رأيت هذا الشقى جالسا عندكم ما طاب لى الجلوس ولا الاكل وانما أسألفكم أن تسمحوا لى بأن أخرج من عندكم لاجل خاطر هذا المنحوس وهذه يا جماعة قصتى قال فالتفتوا اليه وقالوا والله هذا الكلام صحيح فرفع رأسه وقال نعم وهو يحمد الله الذى سخرنى له فخلصته وانكسرت رجله فان كسر رجله أولى من ضرب عنقه فانا قد عملت معه هذا الجميل لله تعالى فقال له الجماعات الحاضرون قاتل الله الابعد قد هتكت الشاب وغربته عن أهله وفضحت قاضى بغداد ثم انهم نهروه وشتموه وأخرجوه من عندهم وأكرموا الشاب اكراما زائدا وتعجبوا مما فعله معه هذا النحس المزين وتفرق كل منهم الى حال سبيله (وفى الغالب) ان كثرة الكلام عند أرباب هذه الصناعة عادة معروفة وطبيعة جبلية توجد فى كبيرهم وصغيرهم لكن هذا النحس قد زاد فى الثقالة والرذالة وعدم الذوق (ومن المناسبة لذلك) ما قاله العلامة القليوبى فى نوادره وهو ما حكى عن الفضل بن الربيع أنه قال قال لى الرشيد يوما أطلب منك حجاما أسكت من الحجر فقلت له ان لى غلاما عاقلا أديبا ظريفا ذا سكينة ووقار وله معرفة تامة فقال ابعثه الى فبعثته اليه وأكدت عليه أنه يلزم السكوت مع الادب ولا ينطق بشئ وأن يتأهب أحسن أهبة وأكدت عليه ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا متقبضا فقال يا فضل ان لذلك الغلام شأنا وانا لا أراه أبدا بعد اليوم ثم انى سألت فراشا مختصا به عن خبره فقال يا فضل لما أتى الحاجم جئت به الى أمير المؤمنين لاخراج الدم فلما بدأ فى الحجامة قال يا أمير المؤمنين انى أسألك عن شئ فقال له ما هو قال قد قدمت محمدا على المأمون والمأمون أسن منه فقال له أخبرك به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال وأسألك يا أمير المؤمنين عن شئ آخر فقال له ما هو قال لم قتلت جعفر بن يحيى البرمكى فقال له أخبرك به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال وأسألك عن شئ آخر فقال له قل فقال لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد أطيب منها فقال له جوابك عن ذلك اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا خادمه وقال له لا تشرب الماء البارد قبل أن تقتله فانه سألنى عن ثلاث مسائل لو سألنى عنها المنصور ما أجبته قال الفضل فبينما أنا جالس اذ دخل أبو دلامة على الرشيد باكيا وقد تواطأ مع أم دلامة أنه يدخل على الرشيد وهى تدخل على زبيدة فلما مثل بين يديه بكى وانتحب فقال له الرشيد ما بالك تبكى فقال

وكنا كذى روحى قطا فى مفازة * من الامن فى عيش رخى وفى رغد
فأفردنا ريب الزمان بصرفه * ولم أر شيأ قط أوحش من الفرد

ثم أعلن بالنحيب والعويل وقال يا أمير المؤمنين ماتت أم دلامة وأنا محتاج الى تجهيزها فأمر له بمال وكانت أم دلامة قد دخلت على زبيدة وهى باكية فقالت لها زبيدة ما بالك فقالت ان أبا دلامة مضى لسبيله فأعطتها مالا تجهزه به وذهبت فدخل الرشيد على زبيدة وهو مغضب من أسئلة الحجام وموت

يهادون بعضهم بعضا و بينهم محبة ومودة واتحاد غالبا ومناسبة لان الزبلة قريبة من القلوط وان كان القلوط أرق منها لكن ابن خرا الحس أعظم فى البلد وأكبر من الكل وأشهر من الجميع ولذلك اذا ناديت أحدا منهم فى البلد يغلب لسانك الى خرا الحس وتجده فى وجهك (ومن النوادر) أن بعض الولاة من المغفلين قال لكاتبه اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له ياخرا افعل كذا وكذا فقال له الكاتب يامولاى لايصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم القدر لانه من أرباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك الحس موضع الخرا بلسانك ولاتخل فيه اثرا (و) السادس (ابن كنيف) وكان شهيرا موصوفا معروفا يقصده جميع الناس من كل جهة ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد وكان نديما القلوط وابن خرا الحس الا أن ابن خرا الحس كان محبوب ابن كنيف فى الصغر فلما كبر صار ابن كنيف نديما لهذه الجماعة المذكورين ولايستغنون عنه كما قال بعضهم موالياً

وطواط عشق خنفسا وصبح بها محجوب * وبنى لها قصر جوا بيت خلا من طوب
وحضر النقل والمأكول والمشروب * ماللنديم الخرا الالذا المحبوب

ثم ان الناظم لما تمنى أن يجتمع عند هؤلاء الجماعة ليحصل له بهم السرور ويفرح وينشرح بهذه اللمة عنده قال

ص ﴿وأفرح بالمه وينسر خاطرى * وهذا مرادى يا ابن بنت عريف﴾

ش هذا كله خطاب لابن بنت عريف المتقدم ذكره أى انه يرجو من الله أن يبلغه مناه من سرقة الزرابين المتقدمة وبين عليه حتى ينزل من المدينة بلبدة وكرمشنير ويكون له مقام فى البلد ومقال بين الناس ويجتمع عليه شيوخ البلد المتقدم ذكرهم ولايحتاج لاعادتهم فان الاعادة ليس فيها افادة وقد عرفت أسماءهم باللفظ والذوق وملخص القول ان الناظم يقول ان حصل لى هذا فهو غاية مطلوبى ومرادى من الدنيا وتمام مرغوبى من اللذات فانى قد كبرت والزوجة صارت عجوزا عقيما واذا من الله تعالى على بما طلبته يبقى رزق امرأتى على الله تعالى فانه رزاق كريم يرزق الطائع والعاصى والبر والفاجر وأنا على حد قول القائل

يامن طلب رزق ونالو * وقال بقى رزق امراتى قم فى الدجا سرح دقنك * لابدلك عن خراتى

أو أنه اختص بالطلب لنفسه وقال لعقله المرا تاكل خرا وألف دقن ولادقنى ثم انه ختم كلامه بالصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال

ص ﴿وأختم قصيدى بالصلاة على النبى * نبى عربى مكى شريف عفيف﴾

ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره وفى الشفاء لابن سبع عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثروا من الصلاة على فانها تطفئ غضب الرحمن وتوهن كيد

الشيطان والاحاديث الواردة فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كثيرة وبالجملة فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملالى فى شرح ام البراهين ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك ماروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا ومردودا الا الصلاة عليك فانها مقبولة وقد ذكروا أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخلها رياء فهى مقبولة بلاشك وقد روى ان الدعاء موقوف بين السماء والارض حتى يصلى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ابتدائه وفى انتهائه الى أن قال روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أن الصلاة على النبى أمحق للذنوب من الماء البارد وأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب فى مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى مقابلة سلام الله تعالى على أهل الجنة فناهيك بها من منة قاله فى كشف الاسرار وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف نقول قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم وان كان رواه الدارقطنى وحسين العراقى كما فى مسالك الحنفاء وذكره السيوطى مقيدا له بكونه بعد العصر والله أعلم ﴿خاتمة﴾ فى ذكر نوادر متفرقة نختم بها الكتاب وان كان قدم منها البعض استطرادا لمناسبة الكلام لبعضها آنفا قيل تزوج بعضهم بامرأة مات عنها خمسة أزواج فلما مرض هذا السادس صارت تبكى وتقول الى من تكلنى بعدك فقال لها الى السابع الشقى (ويحكى) أن بعض اللطفاء كان يكثر من الشراب سرا وكان عليه حجر من أبيه فبلغ والده ذلك فمازال يتتبع أخباره الى أن رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ماهذا فقال هذا لبن فقال ويحك اللبن أبيض وهذا أحمر فقال الولد صدقت انه كان أبيض فلما رآك خجل واستحى واحمر والعن الله من لا يستحى فخجل أبوه وتركه وانصرف (وحكى) أن بعض الظرفاء كان اذا غضبت زوجته بادر الى رفع رجليها واشتغل بنكاحها فقالت له يوما أنا كلما يشتد غضبى عليك تأتينى بشفيع معك لا نستطيع رده (وقيل) دخل رجل مجنون على قاض وهو ماسك ايره وقال السلام عليكم ورحمة الله فقام القاضى وكشف عن استه وأداره الى المجنون وقال وعليكم السلام قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها مالهذا السلام الا هذا الرد (وحكى) أن الاصمعى قال كنت يوما عند الرشيد فقال لى من عندك يؤانسك فقلت له ليس عندى أحد فلما ذهبت الى منزلى أرسل لى جارية بديعة الحسن والجمال آنستنى بكلامها وبهرنى عذب اقتراحها من بدائع الحركات المطربة المهيجة لسواكن الشهوة التى توقظ النائم وتنعش الفؤاد فلاعبتها ولاعبتنى حتى أمالت نفسى اليها ورغبت فى الركوب عليها وخلعت ثيابى وسألتها أن تخلع

ثيابها فخلعتها وهى تتنفس تنفس السقيم وتأخذ القلوب بكلامها الرخيم ولبسنا ملابس الشراب وأحضرنا المآكل والمشارب وأكلنا وشربنا وتشكهنا وأردت أن أهم بها فاعتراني من الفتور وعدم الانتصاب ما كدّر خاطري وأفسد على ليلتي فتحيرت في أمري وصرت لا أدري ماذا أفعل فأكثرت من ملاعبتها حتى صارت تقلب ايري بيدها فلم يزدد الا فتورا وارتخاء وحصل له انكماش حتى صار كالميت الذي لا حركة فيه فعظمت حسرتي وصرت منها في حياء وخجل فلما أيست منه قالت ياسيدي دع أيرك فما النافيه حيلة ولا نفع فانه ميت ثم قامت وقالت لي نم على ظهرك حتى اغسله وأكفنه فخجلت منها ولم أقدر أخالفها وفعلت لها كما طلبت فسكته بيدها وغسلته وكفنته بمنديل ثم قالت لي قم صل عليه فقمت وأنا في غاية الخجل فتوضأت وصليت الصبح وسرت من وقتي الى الرشيد فقال لي ما خبرك فقلت له يا أمير المؤمنين حكايتي غريبة وأخبرته بما حصل لي معها فضحك حتى استلقى على ظهره وقال لي نحن أحوج اليها منك لصغرها وفطانتها فأخذها مني وعوضني جارية غيرها وعشرة آلاف درهم وحظيت عند الرشيد وسميت من يومها بالاصمعية (وقيل) كان رجل نحوي اسمه زيد فرأى غلاما اسمه بكر فلما اختلى به قال له ياولدي حرك الاير حركة الاعراب فانه فاعل بلا ارتياب ومده الى استك كالمد المتصل واجعل الهمزة آلة له لئلا ينفصل وأطال الكلام في هذا المعنى فدخل عليه رجل يسمى عمرا فصك زيدا وقال له أعرب ضرب عمرو زيدا فقام الولد وهو يجري ويقول واعرب وخرج بكر هاربا (وقيل) مرض رجل نحوي وكان بعيدا عن أهله فرأى غلاما يعرفه من أولاد جيرانه فقال له امض الى أهلي وقل لهم ان فلانا قد أصابه داء أوجع ركبتيه وآذى خصيتيه وأسقم بشرته وزاد علته وأسهر مقلته وأجرى عبرته وصار يكثر على الغلام من هذا الكلام فقال له الغلام ياسيدنا أقصر أنا أقول لاهلك قدمات ولا يحتاج لهذا الكلام (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال له ولده أوصني فقال اذا جلست على مائدة الاكل وتكلم معك انسان فلا تزد عن قول نعم ولا تكررها فانك اذا كررتها ثانية فاتتك مضغة ثانية بتحريك لك بها (وقال بعض الطفيلية) اذا طلعت الشمس على النقير ولم يتغد نادى منادمن سماء سقف حلقه الصلاة على جنازة الغريب (وقيل) جاء رجل الى امرأته بالحم فقال لها اصلقي بعضه فانه ينفع البطن واقلي بعضه فانه ينفع الظهر واشوي بعضه فانه ينفع الجماع فقالت له يارجل ماعندنا قدر ولا حطب والاولى أننا نشوي الجميع (ووقف بعض النحاة) على قصاب وقال له هذا اللحم من الضأن الفتى أو من المعز الثني فقال له القصاب هو من خيار الضأن ثم قال له النحوي أذبحته لغرض أم لمرض فقال له حتى أبلغ أنا وعيالي منه قال النحوي أكان ذكرا ذا خصيتين أم أنثى ذات حلمتين قال له الجزار كان ذكرا ينطح الحائط برميه قال النحوي أكان يمج الماء بشدقيه أم يمصه بشفتيه قال كان يدلي رلومته في الماء ويشرب حتى يشبع قال النحوي أكان مرعاته

الشيح والبعيثران أم العصف والريحان قال كان يرعى من نبات الارض كله قال له النحوى أسننت شفرتك وحددت مديتك قال جعلتها لووقعت على رقبة الابعد قطعتها قال النحوى أبدأت بالبسملة وأظهرت الحيعلة التى هى على وزن فيعلة على قول بعضهم وقال بعضهم هى على وزن فعللة والصحيح الاول فقال القصاب لغلامه هات الجلد حتى أقطعه على أكتاف هذا النحس الذى عطلنا وقطع رزقنا فلما سمع النحوى منه ذلك شتمه وهرب (وحكى) أن بعض الطفيليين امتدح بعض الرؤساء بقصيدة فرسم له ببرذعة حمار وحزام فأخذهما على كتفه وخرج بهما فمر به بعض أصحابه فقال له ما هذا قال انى مدحت مولانا الامير بقصيدة من أحسن القصائد فخلع على خلعة من أحسن ملابسه فبلغ الامير ذلك فضحك وأرسل خلفه وأجازه بجائزة حسنة وحكى عن الاصمعى انه قال رأيت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال أسود فقلت لها ما اسمك قالت مكة فقلت لها ما هذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها اقصدى أن أطوف بالبيت وأقبل الحجر الاسود فقالت هيهات لم تكونوا بالغيه الابشق الانفس فأخرجت لها صرة فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت ادخلوها بسلام آمنين ان شئت فقبل الحجر الاسود وان شئت ادخل الحرم قال وأذهلنى حسنها وجمالها (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امرأة جميلة ومعها ولد جميل فزنا الرجل بالمرأة ولاط بالولد فقالت المرأة للولد اعرفه فلعلنا ان رجعنا نظفر به ونعرض أمره على الحكام فقال لها الولد أما أنا فكان ظهرى لوجهه وأما أنت فكان وجهك لوجهه فعرفتك له أبلغ من معرفتى اياه (ومات مجوسى) وعليه دين وترك وادا الهذا رفقال بعض غرماء الميت لولده لم لا تبيع دارك وتسدد دين أبيك وتخفف بها عنه فقال اهم الولد اذا بعت دارى وقضيت دين أبى هل يدخل الجنة فقالوا لا قال دعوه فى النار وأنا فى الدار (وقال المأمون) ليحيى بن أكثم وهو يعرض له من الذى يقول هذا البيت

قاض يرى الحد فى الزناء ولا ✽ يرى على من يلوط من باس

فقال له القاضى يحيى أو ما يعرف أمير المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى هو من قول الفاجر أحمد بن أبى نعيم الذى قال

أميرنا يرتشى وحاكمنا ✽ يلوط والرأس شر ما راس

فلا أرى الجور ينقضى وعلى الأمة وال من آل عباس

فأفحم المأمون وسكت خجلا (وأرسل) بعض المغفلين الى صديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يامنيتى ✽ يسيل المخاط على لحيتى

وليتك عندى اذا ماخريت ✽ يكون لسانك فى ثقبتى

نسيمك عطل ماء السما ✽ وأورثنى الويل فى ركبتى

اذا

اذالم تزرنى أنا مـدنف * فان الهوى مسهل معدتى

وممـا ينسب للحريرى رحمه الله تعالى

صديقك فى هذا الزمان منافق * وخلك خل دعه واحذر بوائقه

ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فأحوال المنافق نافقه

وعرّص وقدوا ولط وبالفحش فافتخر * فـارفعت دنيالك حرا ولا ثقـه

ومافيك غيرالدين عيب ولن ترى * بدهرك الا الملحـدا وزنادقه

(ومثل ذلك) قول الابوصيرى الاديب عفاالله عنه

سـتة فى اللهـو فافعلهـم * فبعـد الممات بها تذكر

تخول وعرّص على الناس وافسق * وغنّ وقامر اذا تسكر

(ونختم) هذا الكتاب بأبيات من بحر الخرافات فنقول

تم كتاب الهلس والتخريف * وماجرى فى وصف أهل الريف

جعلته جزأين باختصار * فجاء كالزبلة فى التيار

لكنه مع ثقل المعانى * وخبط عشوا ياذوى العرفان

ولفظه الكثيف فى المقال * وحشوه مسائل الهبال

أبحاثه جاءت كمالحس الخرا * ياأوجه الاصحاب حقيقا لامرا

فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتة أوقصة مساهده

وأصل ماألجأنى لفعله * وشرحه ونسخه ونقله

العارف الحبر وحيد الدهر * وعالم الاسلام زاكى الفخر

شيخ امام مصدر الطلاب * وروضة العلوم والآداب

ومعدن الجودمع المطلوب * أعنى الامام أحمد السندوبى

جزاه رب العرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكريم

والله يرحم من قرا كتابى * هذا ويرشده الى الصواب

ومن رأى فيه عيوبا وخلل * وسدّهافالشخص معدن الزلل

ولاتلمنى فالسماح أفضل * واعذر أخالك مكرها يابطل

والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام

على النبى الهاشمى أحمدا * والآل والاصحاب أنجم الهدى

ماغرّدت ساجعة الاطيار * أولاح برق فى دجا الاسحار